بسم الله الرحمن الرحيم

بشرى سارة

هذا هو كتاب

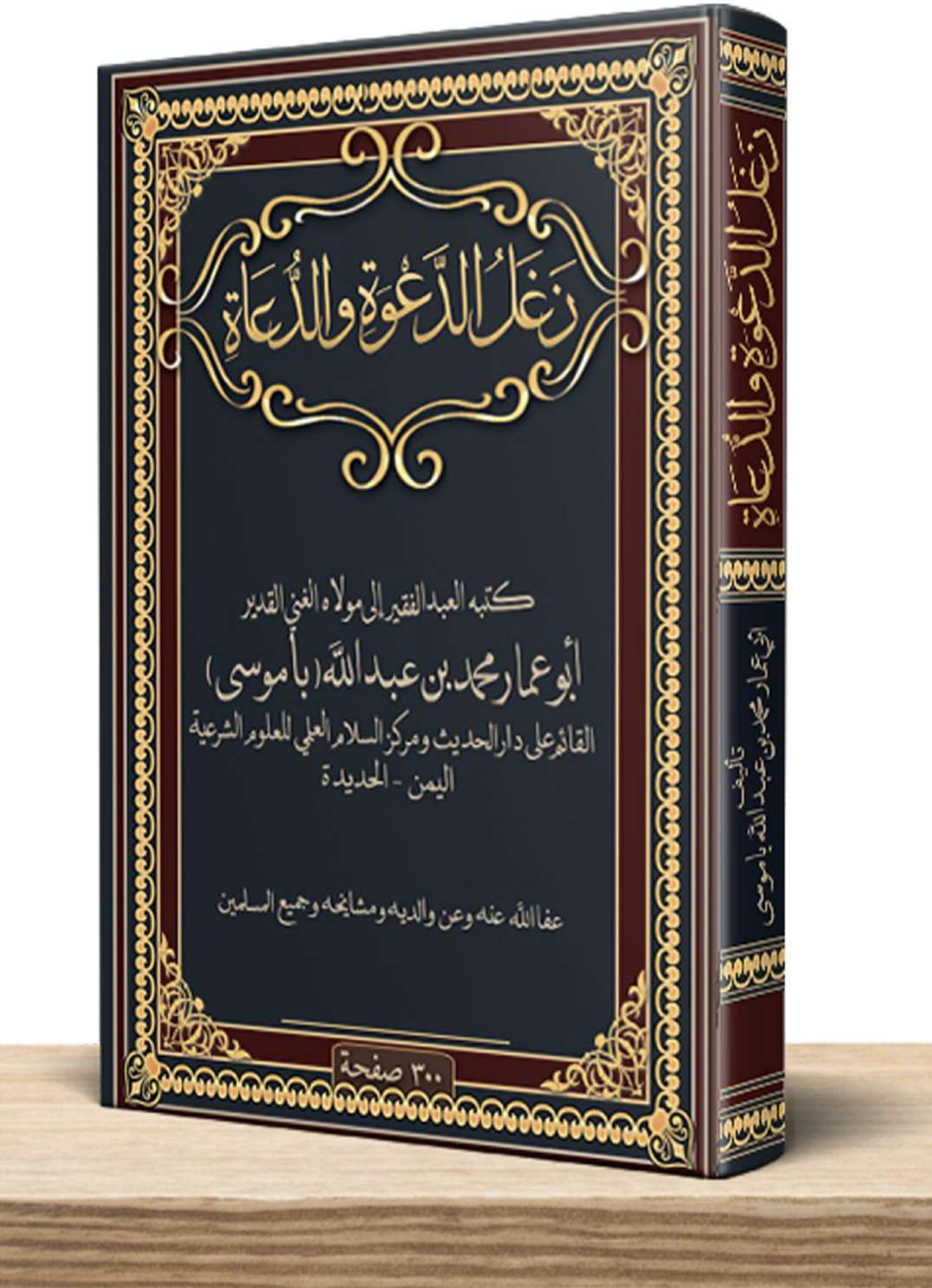
زغل الدعوة والدعاة

الذي طال انتظاره طويلًا قد خرج للقراء الكرام
في أجمل صورة وأبهى حُلّة

والذي ذكر فيه المؤلف حفظه الله ما يقرب من

(٩٠) مسألة

كانت هي السبب الرئيس في مشاكل الدعوة
السلفية منذ ثلاثة عقود تقريبًا


زغل الدعوة والدعاة
كتبه العبد الفقير إلى مولاه الغني القدير
أبو عمار محمد بن عبد الله (باموسى)
القائم على دار الحديث ومركز السلام العلمي للعلوم الشرعية
اليمن - الحديدة
عفا الله عنه وعن والديه ومشايخه وجميع المسلمين
٣٠٠ صفحة
زغل الدعوة والدعاة
تأليف
أبي عمار محمد بن عبد الله باموسى

زغل الدعوة والدعاة

كتبه العبد الفقير إلى مولاه الغني القدير

أبو عمار محمد بن عبد الله (باموسى)

القائم على دار الحديث ومركز السلام العلمي للعلوم الشرعية

اليمن ـ الحديدة

عفا الله عنه وعن والديه ومشايخه وجميع المسلمين

قرأ الكتاب جمع كبير من علماء ومشايخ الدعوة السلفية وأثنوا عليه

تقريظ

فضيلة الشيخ عبد العزيز بن يحي البرعي حفظه الله.

فضيلة الشيخ عثمان بن عبد الله السالمي حفظه الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ فضيلة الشيخ عبد العزيز بن يحي البرعي حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم.

أما بعد.

فقد اطلعت علىٰ الكتاب الذي ألّفه الشيخ المبارك محمد بن عبد الله باموسىٰ الذي أسماه (**زغل الدعوة والدعاة**) ذكر فيه مسائل كثيرة ومهمة مما قد يقع فيه الداعي إلىٰ الله، فشكرًا له علىٰ هذا الاستحضار، وقوة التصور لمشاكل الدعوة، ونحن معشر طلبة العلم غير معصومين، فكلٌّ له نصيب ذو السهم والسهمين والثلاثة وهكذا، ولهذا فقد طلب مني الشيخ أبو عمار محمد بن عبد الله باموسىٰ أن أقرأ الكتاب قراءة إفادة فقرأته قراءة استفادة، وفي أثناء القراءة كنت أنتظر متىٰ ألقي علىٰ نفسي القبض وأقول: ها أنا ذا قد وقعت في الزغل. فإن قلت ماذا وجدت؟ أقول: أمرّوها كما جاءت، نسأل الله أن يستر ما لا تعلمون، وأن يغفر لنا، وأن يهدينا، ثم أقول: لعل بعض الناس يقول: إن المؤلِّف عنىٰ فلانًا أو عرّض بفلان. فأقول: إن الشيخ لم يسمّ أحدًا، وإنما هي نصيحة، فمن كان فيه شيء من الزغل أصلح نفسه، ومن ليس فيه شيء فهو تحذير له أن لا يقع، فجزاه الله خيرًا علىٰ ما كتب، وخلاصة القول فإن الكتاب (**زغل الدعوة والدعاة**) يعتبر ترميمًا للبيت السلفي عبر القرون الآتية، فنحمد الله الذي أوجد في أهل السنة من يقوم بمثل هذه الأعمال المباركة، ولقد أحسن من قال:

يا أمة الإسلام لست عقيمة   بل أنت قادرة علىٰ الإنجاب

كتبه/ عبد العزيز بن يحيىٰ البرعي

في مكة شرّفها الله

بتاريخ ٢٣/ ٥/ ١٤٤١هـ

تقريظ فضيلة الشيخ عثمان بن عبد الله السالمي حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم.

أما بعد.

لقد طلب مني الشيخ الفاضل/ محمد بن عبد الله باموسىٰ -عافاه الله- أن أطلع علىٰ كتابه الموسوم بـ (**زغل الدعوة والدعاة**)، فلقد قرأته كله فوجدته كتابًا نافعًا في بابه، وقد رتبه ترتيبًا حسنًا، وبذل فيه جهدًا مشكورًا عليه، ففيه توجيهات للدعاة تشد لها الرحال، فالذي يدعو إلىٰ الله تعالىٰ ويريد من وراء ذلك وجه الله فهو يتوجه بما وجهه الأئمة الناصحون المجربون، والذين قد عاصروا علماء ربانيين، فأسأل الله أن يوفق شبابنا ودعاة السنة إلىٰ ما فيه نصر الإسلام والسنة، وأن يدفع عن الإسلام وأهله كل سوء، وأسأله سبحانه أن ينفع بهذا الكتاب طلاب العلم، ويجزل المثوبة لكاتبه وقارئه، آمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وسلم.

كتبه/ أبو عبد الله عثمان بن عبد الله السالمي

حرر بتاريخ ١٥ جماد الأول سنة ١٤٤١هـ

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أع مالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن الدعوة إلىٰ الله وظيفة الأنبياء والمرسلين، والدعاة إلىٰ الله هم ورثة الأنبياء والمرسلين، ولا يرث الميت إلا أقرب الناس إليه، قال تعالىٰ عن زكريا عليه الصلاة والسلام: ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ٦﴾ [مريم:٥-٦].

وقال: «إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»(١).

ويكفي الدعوة وأهلها فضلًا وفخرًا قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣]، فلا أحد علىٰ

(١) **صحيح** رواه أحمد (٢١٧١٥)، و«أبو داود» (٣٦٤١)، و«الترمذي» (٢٦٨٢) عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح الجامع» (٦٢٩٧).

الإطلاق أفضل ولا أحسن من الدعاة إلىٰ الله الصادقين المخلصين، فهم أحباب الله وأولياؤه كما ثبت عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ(١).

وهم صفوة الأمة، وحصنها الحصين، ودواء أدوائها، وبلسم جراحاتها، وهم صفحة المجد الثابتة الناصعة في زمن التحولات والتغيرات والتنازلات والانتكاسات والانحرافات.

ودعاة التوحيد والسنة هم خيار الأمة، وفرسان الميادين والمنابر، والثابتون يوم الزحف في ساحة الدعوة والحق، وهم من يحمل هَمّ الأمة بِحَقٍّ، ويسعون في الليل والنهار لإعادة مجدها وعزها وشرفها.

إن دعاة التوحيد والسنة هم أهل الوعي الصافي النقي الطاهر في عصر تلوثت فيه الأفكار والمفاهيم والعقائد والمناهج.

إن دعاة التوحيد والسنة هم أهل الأصالة والمنبع الصافي العتيق لعلوم الشريعة، بعيدين عن البغاء الفكري الخبيث الذي تلوثت به بعض الدعوات فأخذوا علومهم من الشرق والغرب.

إن دعاة التوحيد والسنة هم حراس العقيدة والشريعة، وحماة السنة والمنهج، ودعاة العلم الشرعي الصحيح، وهم بحق العين الساهرة لحماية الأمة من الزيغ والضلال.

---

(١) أخرجه عبد الرَّزَّاق في «تفسيره» (٢/ ١٨٧) ط. الرشد، وابن المبارك في «الزهد» (١٤٤٦)، وابن جرير الطَّبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٦٩) من طريق معمر عن الحسن، وانظر كذلك «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٢٩) تحقيق: حكمت بن بشير بن ياسين، وقد صحح الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ رواية معمر عن الحسن، فقد أورد أثرين عن الحسن أحدهما من رواية معمر عنه تحت قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٠]، ثمَّ قال: وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن، وقال الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السير» (٧/ ٥): «معمر شهد جنازة الحسن البصري، وطلب العلم وهو حدث».

إن الدعاة إلىٰ الله فضائلهم كثيرة، وكمالاتهم[(١)] غزيرة، ومناقبهم جليلة، ومآثرهم نبيلة، ولو أفنيت ما بقي لي من عُمُر في ذكر محاسنهم لكنت مقصرًا، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

وقد قدمت بهذه المقدمة حتىٰ لا يظن غافل أو متغافل وأنا أذكر زغل بعض الدعاة أنهم هم أهل المعايب والمثالب، حاشا لله، وكما يقال: كَفىٰ المَرءَ نُبلاً أَن تُعَدَّ مَعايِبُهْ، فهم بشر كالبشر يخطئون ويصيبون.

منْ ذا الذي ما ساء قطّ ومنْ لهُ الحُسْنىٰ فقطْ

وحتىٰ لا يشوب هذه الدعوة وأهلها شائبة؛ لأنهم ليسوا بمعصومين، أحببت أن أذكر نبذة مختصرة معتصرة في زغل[(٢)] الدعوة والدعاة، لم أقصد

---

(١) عَنْ أَبِي مُوسَىٰ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَىٰ النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ» متفق عليه، «البخاري» (٣٤١١)، «مسلم» (٢٤٣١).
قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «والمراد هنا: التناهي في جميع الفضائل وخصال البر والتقوىٰ» «شرح صحيح مسلم» (١٥/ ١٩٨).
وقال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: « (كَمُلَ من الرجال كثير) في الدِّين، إذ هو الكمال الحقيقي، ويقال: كمال المرء في سنة العلم والحق والعدل والصواب والصدق والأدب، والكمال في هذه الخلال موجود في كثير من الرجال بفضل العقول وتفاوتها» «التنوير شرح الجامع الصغير» (٨/ ٢٣٩).
وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «ولا شك أن أكمل نوع الإنسان: الأنبياء، ثم تليهم الأولياء، ويعني بهم: الصديقين، والشهداء، والصالحين» «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٢٠/ ٧٢).
(٢) الزَّغَلُ: هو الغِشُّ والأخلاط، يقولون: زغل السائغ الذهب أي: غشه، والعملة الزغل هي المغشوشة، والمعنىٰ: أنها مزخرفة مغشوشة. انظر: «المعجم الوسيط» (١/ ٣٩٥)، «العامي الفصيح من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة» (ص:٨٢)، «محيط المحيط» ص (٣٧٣).
وهناك كتاب لطيف اسمه «**زغل العلم**» لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الإمام الشهير والمحدّث النحرير صاحب التصانيف الكثيرة والعلوم الوفيرة.
ذكر فيه ما يعاب علىٰ أهل الفنون وما ينتقد علىٰ أصحاب المذاهب، وتنبيهه رحمه الله علىٰ ما ينبغي لهم أن يترفعوا عنه من الأخطاء والزلات العلمية والعملية.
=

بها داعية دون داعية، أو بلدًا دون بلد، وإنما قصدت بها معالجة الأخطاء الشائعة، والأخطار الذائعة الطارئة التي تصدر من بعض الدعاة وهم قليل والأخطاء قليلة ولله الحمد، أسأل الله لنا ولهم الهداية، وهذا الزغل أو بعضه إذا دخل في أي دعوة عصف بها وجعلها ركامًا ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ إذا لم يتم إصلاحه وتداركه.

والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨]، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

كتبه العبد الفقير إلىٰ مولاه الغني القدير

أبو عمار محمد بن عبد الله (باموسىٰ)

القائم علىٰ دار الحديث ومركز السلام العلمي للعلوم الشرعية

اليمن ـ الحديدة

غرة شهر صفر ١٤٤٣هـ

= **قال محقق كتاب «زغل العلم» للذهبي**: «وقد تناول في هذه الرسالة اللطيفة العلوم المعروفة، وبيّن رأيه فيها وأحوال المهتمين بها في زمانه، كعلم القراءات والتجويد، وعلم الحديث، وتكلم عن فقهاء المذاهب الأربعة في عصره، وعن النحو واللغة، إلىٰ آخر ما ذكر من تلك العلوم، وأن حالهم تلك مخالفة لسلوك الرعيل الأول من الصحابة والتابعين والأئمة الأوائل رحمهم الله، وشدد النكير علىٰ المقلدة والجهلة الجامدين علىٰ التقليد الأعمىٰ، بلا برهان ولا دليل من كتاب وسنة، حتىٰ أصبحوا حجر عثرة أمام أهل العلم وطلابه، وذكر كذلك الذين اتخذوا العلم وسيلة وغرضًا لتحصيل ملذات الدنيا وحطامها الفاني، علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلىٰ الجاه والمنزلة عند أهلها...» اهـ.

تمهيد

لا يخفىٰ علىٰ طلبة العلم القاعدة الأصولية: «**الحكم علىٰ الشيء فرع عن تصوره**».

لذلك لو حصل منا تصور صحيح لأسباب الخلاف الذي هو بمثابة الداء في الساحة الدعوية لتوصلنا بإذن الله تعالىٰ للجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي؛ لقوله ﷺ: «**مَا أَنْزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ**»[(١)].

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ[(٢)]: «ومن القواعد المعروفة المقررة عند أهل العلم: **الحكم علىٰ الشيء فرع عن تصوره**؛ فلا تحكمْ علىٰ شيء إلا بعد أن تتصوره تصوُّرًا تامًّا؛ حتىٰ يكون الحكم مطابقًا للواقع، وإلا حصل خللٌ كبيرٌ جدًّا» اهـ

وقد حصل عند الإمام الشاطبي والإمام ابن عثيمين رحمة الله عليهما تصور لأسباب الخلاف، وحصروه في ثلاثة أمور، وهي[(٣)]:

١- ضعف الدِّين.

٢- ضعف العلم.

---

(١) **صحيح** رواه «أحمد» (٣٩٢٢)، و«الحاكم» (٧٤٢٤)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٩٥٦٠) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «السلسلة الصحيحة» (٤٥١)، و«صحيح الجامع» (١٨٠٩).

(٢) «شرح الأصول من علم الأصول» (ص:٦٠٤).

(٣) أشار إلىٰ أسباب الخلاف الثلاثة الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ في كتاب «الاعتصام» (٢/ ٦٧٩-٦٨٨) حيث قال: «كل خلاف له أسباب ثلاثة، قد تجتمع، وقد تفترق».
وابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ في «شرح صحيح البخاري» (١/ ١٢٦)، و«شرح الأربعين النووية» (ص:١٠٩-١١٠)، وغير ذلك من شروحه.

٣- ضعف العقل.

قلت: وهذه الأمور الثلاثة هي أساس كل خلاف موجود في الساحة الدعوية وغيرها، وقد قمت ببيان ذلك وتوضيحه في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ضعف الدِّين ورقّته عند الداعية يسبب زغلًا كثيرًا في الدعوة.

الفصل الثاني: ضعف العلم عند الداعية يسبب زغلًا كثيرًا في الدعوة.

الفصل الثالث: ضعف العقل عند الداعية يسبب زغلًا كثيرًا في الدعوة.

هذا اللف والإجمال وإليك النشر والتفصيل(١):

(١) **اللف والنشر** عند أهل العلم يقرب من السبر والتقسيم عند أهل الأصول، فإذا ذكرنا أكثر من شيء علىٰ سبيل الإجمال، ثم فصلنا هذه الأشياء علىٰ نفس الترتيب صار اللف والنشر مرتبًا، وإن تحدثنا عنها مع الإخلال بالترتيب صار اللف والنشر غير مرتب، ويسميه أهل العلم المشوش، وجاء القرآن بهذا وهذا، يعني: جاء القرآن بالمرتب وغير المرتب، يقول الله جلّ وعلا: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ هذا إجمال، التفصيل: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ إلىٰ آخره، ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ [آل عمران:١٠٦-١٠٧] جاء التفصيل بعد الإجمال، لكن هل ترتيب التفصيل مطابق لترتيب الإجمال؟ الجواب: غير مطابق، إذًا هذا لف ونشر غير مرتب، وقد جاء في أفصح الكلام.

واللف والنشر المرتب: مثاله في قوله جلّ وعلا: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ ﴾ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ ﴾ [هود:١٠٥-١٠٨] إلىٰ آخره، هذا نشر بعد لف لكنه علىٰ الترتيب، جاء النشر علىٰ ترتيب اللف.

الْفَصْلُ الأَوَّل

ضعف الدِّين ورقّته عند الداعية
يسبب زغلًا كثيرًا في الدعوة

أذكر منه ما يلي:

① ضعف الإخلاص

الإخلاص مركب الخلاص، وهو الركن الركين والأساس المتين لكل عمل، فإذا تخلله خلل أو دَخَن فإن العمل يعتريه من الخلل والدَّخَن بقدر ما يعتري النية.

والبيتُ لا يُبتنى إلّا بأعمدةٍ ولا عماد إذا لم تُبْنَ ركانُ[(١)]

وهذا مصداق لقوله ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ...»[(٢)].

قال الإمام الزاهد الورع الكبير سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ[(٣)]: «ما عالجت شيئًا أشدَّ عليَّ من نيتي» اهـ.

هذا وهو سفيان الثوري إمام الدنيا، فما بالك بنا نحن، نسأل الله أن يرحم ضعفنا.

ولما ذُكِر للإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ **الصدق والإخلاص قال**[(٤)]: «بهذا ارتفع القوم».

ولما قال علي بن الفضيل بن عياض لأبيه رَحِمَهُ اللهُ[(٥)]: «يا أبت، مَا أَحْلَىٰ كَلَامَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَ: يَا بُنَيَّ، وَتَدْرِي لِمَ حَلَا؟ قَالَ: لَا يَا أبت،

---

(١) «روضة العقلاء» (ص:٢٧٠).

(٢) متفق عليه، «البخاري» (١)، «مسلم» (١٩٠٧) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٦٢) بلفظ: «ما عالجت شيئًا أشد علي من نفسي».
والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٣١٧) بلفظ: «ما عالجت شيئا أشد علي من نيتي، إنها تقلب علي».
وذكره الذهبي في «السير» (٧/ ٢٥٨) بلفظ: «ما عالجت شيئا أشد علي من نفسي، مرة علي، ومرة لي». وابن جماعة في «تذكرة السامع والمتكلم» ص (٣٥).

(٤) «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلىٰ (١/ ٦١).

(٥) «شعب الإيمان» (٣/ ٣٠١).

قَالَ: لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا بِهِ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ».

وقال ابن النحاس رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «من أخلص لله النية أثر كلامه في القلوب القاسية فلينها، وفي الألسن الذربة فقيدها، وفي أيدي السَّلَطَة فعقلها».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «والإخلاص لله أن يكون الله هو مقصود المرء و مراده، فحينئذ تتفجَّر ينابيع الحكمة من قلبه علىٰ لسانه».

وصدق الإمام العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ **حيث قال**[(٣)]: «فإخلاص الداعي في دعوته لله تعالىٰ أمر مهم، بالنسبة لنجاحه فيها وثوابه عليها».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «والغالب أن من دعا لنفسه -أعاذنا الله وإياكم من هذا القلب- أن الله لا يجعل في علمه بركة.

وأن من أراد الحق جعل الله في علمه بركة حتىٰ لو كان يتكلم بكلام لا يتكلم به إلا أدنىٰ طلبة العلم.

فمثلاً نجد أناسًا عندهم حسن نية -فيما نعلم- وحسن قصد، يتكلمون بكلام لا يتكلم به أدنىٰ طالب علم ومع ذلك يكون له تأثير بليغ! لماذا؟ لأنهم يريدون الحق، وبيان الحق» اهـ

وقال الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٥)]: «فيجب علىٰ الداعية أن يكون مخلصًا لله عزّ وجلّ، لا يريد رياء ولا سمعة، ولا ثناء الناس ولا حمدهم، إنما يدعو إلىٰ الله يريد وجهه عزّ وجلّ، كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف:١٠٨]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [فصلت:٣٣]،

---

(١) «تنبيه الغافلين» ص (٦٨).
(٢) «النبوات» (١/ ٤٠٩).
(٣) «الصحوة الإسلامية» (ص١٢٠).
(٤) «شرح بلوغ المرام».
(٥) «مجموع فتاوىٰ ابن باز» (١/ ٣٤٥).

فعليك أن تخلص لله عزّ وجلّ، هذا أهم الأخلاق، وأعظم الصفات أن تكون في دعوتك تريد وجه الله والدار الآخرة» اهـ

وسئل العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن علاج ظاهرة الفتور أو الضعف الإيماني لدىٰ بعض الدعاة[١]؟

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا في الحقيقة يعود إلىٰ شيء سبق أن أشرت إليه، **وهو علة العلل في هذا العصر في كثير من الدعاة؛ ألا وهو: عدم الإخلاص في الدعوة**. هناك ظاهرة تلفت نظر المفكر الذي يحاول أن يتعرف علىٰ ما يصيب المسلمين من أدواء، وأن يقدم -في حدود ما يعلم وما عنده من علم- الدواء، الظاهرة هي أن كلمة الدعوة أصبحت اليوم مهنة، وأصبحت يتبناها كل من يشعر أن لديه شيئًا من العلم، وهو كما يقال: ليس في العير ولا النفير في العلم» اهـ. **قلت: ومن علامات ضعف الإخلاص عند الداعية:**

حب الشهرة والتصدر، وحب الثناء والمدح، والتبجيل والإجلال، والإفساح في المجالس، وحب الكلام في الاجتماعات، والغضب إذا لم يُفسَح له المجال أو يتكلم، والغضب إذا لم يُذْكَر اسمه ويُشاد به في اللقاءات والاجتماعات والمحاضرات العامة، ويشار إليه بالبنان، وهكذا إذا خطب يحب أن يُمدَح علىٰ خطبته، وإذا حاضر يحب أن يمدح علىٰ محاضرته، وإذا درّس يحب أن يمدح علىٰ درسه، وإذا ألّف يحب أن يمدح علىٰ مؤلَّفه أو مؤلَّفاته، وإذا قرأ القرآن في صلاته أحب أن يمدحه الناس، وغير ذلك من الأمراض الخفية التي لا يعلم بها إلا رب البرية، فالخلاص

(١) «سلسلة الهدىٰ والنور» (١٨٨).

من كل هذه القاذورات[(١)] بالإخلاص، فالإخلاص سر نجاح الناجحين، وعدم الإخلاص سر فشل الفاشلين، وقد غفل عنه الكثير من المصلحين، فإذا نُزِعَ أو ضعف الإخلاص من أعمالنا أصبحت أعمالنا هباءً، لا قيمة لها ولا أثر ملموس في الواقع، وإذا وجد الإخلاص في الأعمال لمسنا الأثر بإذن الله تعالىٰ.

فالنية الصالحة ترفع صاحبها إلىٰ أعلىٰ عليين، والنية الفاسدة ترميه إلىٰ أسفل سافلين، وكما قال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ فكم من عمل قليل كثرته وعظمته النية الصالحة، وكم من عمل كثير حقرته النية الفاسدة[(٢)]، فينبغي للداعية دائمًا وأبدًا أن يتذكر نصوص الوعيد، وأن أول من تسعر بهم النار يوم القيامة ثلاثة[(٣)]: ومنهم: من طلب العلم ليقال: عالِم، أو حفظ القرآن ليقال: حافظ...، ومع ذلك لا ييأس الداعية إذا كان يجاهد نفسه في تحقيق الإخلاص؛ فإن الله يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩]. **قال ابن جماعة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «قال بعض السلف: **طلبنا العلم لغير الله، فأبىٰ أن يكون إلا لله**، قيل: معناه: فكان عاقبته أن صار لله؛ ولأن إخلاص النية لو شُرِطَ في تعليم المبتدئين فيه مع عسره علىٰ كثير منهم لأدىٰ ذلك إلىٰ تفويت العلم كثيرًا من الناس، لكن الشيخ يحرض المبتدئ علىٰ حسن النية بالتدرج قولًا وفعلًا، ويعلمه بعد أنسه به أنه ببركة

---

(١) قال ﷺ: «اجْتَنِبُوا هَذِهِ الْقَاذُورَةَ الَّتِي نَهَىٰ اللهُ عَنْهَا...» رواه الحاكم (٨١٥٨) وغيره عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٦٦٣)، و«صحيح الجامع» (١٤٩).

(٢) «جامع العلوم والحكم» ص (٧١).

(٣) رواه «مسلم» (١٩٠٥)، و«الترمذي» (٢٣٨٢)، و«الحاكم» (١٥٢٧).

(٤) «تذكرة السامع والمتكلم» (ص:٢٦).

حسن النية ينال الرتبة العلية من العلم والعمل، وفيض اللطائف، وأنواع الحِكم، وتنوير القلب، وانشراح الصدر، وتوفيق العزم، وإصابة الحق، وحسن الحال، والتسديد في المقال، وعلو الدرجات يوم القيامة» اهـ.

(٢) التعالم وحب الشهرة والظهور يقسم الظهور

لا شك أن هذه الفقرة داخلة في الفقرة التي قبلها، ولكني أفردتها للأهمية، فإن التعالم وهو أن يدّعي الشخص بأقواله أو أفعاله أنه عالِم وهو في الحقيقة ليس بعالِم؛ خلَلٌ في عقيدة التَّوحيد، ومرض فتّاك وداء عضال، عَصَفَ ببعض الدعاة من البادئين في العلم خاصة، ويصدُق علىٰ من اتصف بهذه الصفة قول النبي ﷺ: «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ»(١).

وهكذا حب الشهرة والظهور فإنه قاصم للظهور، ولا يسلم منه إلا من عصمه الله، فإذا كانت نية الداعية أن يشتهر اسمه، ويلمع نجمه، ويرتفع ذكره، فقد ﴿أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَـٰارٍ﴾ [التوبة:١٠٩]، وطلب سقيا ظمئه من سرابٍ ﴿بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [النور:٣٩]، ودخل في:

﴿ظُلُمَـٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠].

كيف لا يكون الحال كذلك وقد قال ﷺ: «...إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الرِّيَاءُ، وَالشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ»(٢).

قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «إن الشهوة الخفية حب اطلاع الناس علىٰ العمل».

---

(١) متفق عليه، «البخاري» (٥٢١٩)، «مسلم» (٢١٣٠) عن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا. ولمزيد الفائدة انظر: الكتاب الماتع «التعالم» للعلامة بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) **حسن** رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٤٠٥) عن عباد بن تميم عن عمه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٥٠٨).

(٣) «النهاية» (٢/٥١٦).

فطالب الجاه والشهرة، طالب آفة دنيوية، جاءت نصوص الوحيين بذمهما، قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣] وقال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود:١٥-١٦].

ولو كانت الشُّهرة غاية يسعىٰ إليها ومَنْقبة تتشوَّق لها النُّفوس الكريمة، لأكرَم الله بها سادة الدُّنيا من الأنبياء والمرسَلين الذين لا يعلم عددهم كثرة إلا الله، ورغم ذلك لم يذكر لنا القرآنُ سوىٰ أسماء خمسة وعشرين نبيًّا لا غير[(١)].

وقد كان السلف الصالح يفرون من الشهرة فرارًا عظيمًا، وفي مقدمتهم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فيروىٰ أنه قد حج مع النبي ﷺ ما يربو علىٰ مائة ألف صحابي[(٢)]، فلم يقدر ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ -علىٰ قوَّة حفظِه، وسَعة اطِّلاعه، ومهارة بحثِه- أن يَجمع لنا في كتابه «الإصابة» أكثرَ مِن ثمانية آلاف صحابي، فأين الباقون؟! إنَّهم علىٰ منهاج قوله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ»[(٣)].

ومن اشتهر من الصحابة الكرام اشتهر بغير حب وتطلع للشهرة والظهور.

وقد حذَّر سلَفُنا الصالِحُ من حُبِّ الظُّهور والشهرة، وممن يجعلها هدفَه، وغايته التي يسعىٰ إليها، وتضافرَتْ أقوالُهم المحذِّرة من هذا الخلُق

---

(١) ولمزيد الفائدة حول هذا الموضوع انظر: «الأخلاق والسير في مداواة النفوس» لابن حزم ص (٨٨-٩١).

(٢) قيل: عدد الذين حجوا مع النبي ﷺ في حجة الوداع مائة ألف. وقيل: مائة وأربعة عشر ألفا. وقيل: أقل. وقيل: أكثر. حكاه البيهقي وغيره. وروىٰ ابن الصلاح في مقدمته (ص:٤٩٤) عن أبي زرعة الرازي أن عدتهم أربعون ألفا. والله أعلم.

(٣) رواه «مسلم» (٢٩٦٥) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

الذَّميم، فهذا **سفيانُ الثوريُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ **يقول**[١]: «إيَّاك والشُّهرة؛ فما أتيتُ أحدًا إلاَّ وقد نَهىٰ عن الشُّهرة» اهـ

وقال إمام أهل السُّنَّة أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «أُريد أن أكون في شِعبٍ بمكَّة؛ حتَّىٰ لا أُعرَف، قد بُلِيتُ بالشُّهرة، إنّي أتَمنَّىٰ الموت صباحًا ومساءً» اهـ

هكذا مضىٰ السَّلف الصالِح علىٰ هذا المنهاج، وكان هذا دِينَهم ودَيدنَهم، فأين هذا من أقوامٍ غلبَهم حبُّ الشهرة، وظَنُّوا أنَّ التفاضل بكثرة المعلومات، وكثرة المَحْفوظات، وبالثَّناء، وبانتشار الذِّكر، حتَّىٰ سجَّل التاريخُ عليهم عارًا وشنارًا، ومن قرأ التاريخ وغاص فيه يجد عَجَبًا، فمنهم من قال: ليت فلانًا ذكرني في كتابه ولو في الكذابين[٣]. وهو من أفاضل العلماء، ومنهم من تزندق وهو يبحث عن الشهرة كالعالِم الكبير عبد الله القصيمي[٤].

فيا أيها الداعية الكريم إياك إياك والتعالم وحب الشهرة، فإنهما شهوة خفية تصيب القلوب، فتمنعها من الإخلاص، والصدق مع الله تعالىٰ: فتأكل الحسنات، وتحبط الأعمال الصالحة، وتسبب الغفلة، وقسوة القلب.

أمَّا من اشتهر بالعلم والزُّهد والورع، ونيَّتُه صالحة وعمَلُه خالصٌ لوجه الله، فإنه خارجٌ عن هذه الدائرة، ولكن الواجب عليه أن يتفقَّد حال قلبه بين الفينة والأخرىٰ.

---

(١) «حلية الأولياء» (٧/ ٢٣)، «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٦٠).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (ص:٣٧٧)، «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢١٦).

(٣) هو ابن البناء الحسن بن أحمد بن عبد الله البغدادي. انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٣٨١).

(٤) انظر قصة عبد الله القصيمي في كتابي: «سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب» (ص:٢٩٤) ط.الثالثة.

③ صراع بعض الدعاة علىٰ زعامة الدعوة ورئاستها

حب التسلط علىٰ الآخرين، سببه قوة خارجية وضعف داخلي، القوة الخارجية: كالشهرة، والمكانة، والجاه، والمنصب، والمال، وكثرة الأتباع، وجلساء السوء، وغير ذلك، والضعف الداخلي: كضعف الإيمان، أو ضعف العلم، أو ضعف العقل.

يُذْكَر عن الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ **أنه قال**: «آخر الأشياء نزولًا من قلوب الصالحين: حب السلطة والتصدر» اهـ

قال بعض الحكماء: حب الرئاسة الدينية في قلوب أهلها أشد من حب الرئاسة الدنيوية في قلوب أهلها.

فحب الرئاسة جالب للتعاسة والانتكاسة.

قال يوسف بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «في الدنيا طغيانان: طغيان العلم، وطغيان المال، والذي ينجيك من طغيان العلم العبادة، والذي ينجيك من طغيان المال الزهد فيه» اهـ.

وهذه الآفة الخبيثة سببت صراعًا مريرًا ومعارك طاحنة بين بعض الدعاة والمصلحين في مشارق الأرض ومغاربها، راح ضحيتها خلقٌ لا يحصي عددهم إلا الله، ضحايا في العقائد، وضحايا في المناهج، وضحايا في السلوك، وضحايا في العبادات، وجُرح آخرون في قلوبهم، وحصل بذلك القطيعة والتشاحن والتدابر والتقاطع والتهاجر إلىٰ ما لا نهاية، فإذا خفيت علىٰ الناس أسباب هذه المعارك الوهمية، والصراعات الشيطانية، والانتصارات النفسية، فالله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويوم

---

(١) «اقتضاء العلم العمل» (ص:٣٠).

القيامة يبعثر ما في القبور ويحصّل ما في الصدور، اللهم سلّم سلّم، اللهم سلّم سلّم.

﴿٤﴾ تجميع الداعية الناس حوله لا حول الحق والدعوة

إن بعض الدعاة همّه جمع الناس حوله، يريد ولاءهم له، وحبهم له، وحضورهم له، ودراستهم عنده، يغضب إذا ذهبوا لغيره ممن هو مثله أو أفضل منه علمًا ودينًا، فتجده يغمز فيه ويلمز ويعرّض بذمّه عند كل مناسبة، ولسان حاله يقول: إن طلبت العلم عندي فأنت طالب علم مستفيد وعلىٰ منهج سديد، ورأي رشيد، وإن طلبته عند غيري فأنت جاهل منحرف عنيد. وهذه أفعال الأحزاب والجماعات وليست أفعال الدعاة الصادقين المخلصين الذين يريدون الله والدار الآخرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وليس للمعلمين أن يحزبوا الناس -حولهم- ويفعلوا ما يلقي بينهم العداوة والبغضاء» اهـ.

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تحت حديث:** «**لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ...**»[٢][٣]: «ومن مسائله: التنبيه علىٰ الإخلاص؛ لأن كثيرًا لو دعا إلىٰ الحق، فهو يدعو إلىٰ نفسه» اهـ.

وقال العلامة صالح الفوزان حفظه الله[٤]: «فقد يكون الإنسان يدعو، ويحاضر ويخطب، لكن قصده من ذلك أنه يتبيّن شأنه عند الناس، ويصير له مكانة، ويمدح من الناس، ويتجمهرون عليه، ويكثرون حوله، فإذا كان هذا قصده، فهو لم يدع إلىٰ الله، وإنما يدعو إلىٰ نفسه» اهـ.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ١٦).

(٢) متفق عليه: «البخاري» (٤٢١٠)، «مسلم» (٢٤٠٦)، عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٣) «كتاب التوحيد» (ص:٢١).

(٤) «إعانة المستفيد» (١/ ١٠١-١٠٢).

٥ التحاسد بين الدعاة

إن التحاسد بين بعض الدعاة والمصلحين حاصل علىٰ مر العصور والدهور؛ لأنهم ليسوا بأنبياء معصومين.

ومن صور التحاسد الحاصلة بين الدعاة:

أن يكون أحدهما محبوبًا أكثر من الآخر، أو له جماهير وصيت وشهرة أكثر من الآخر، أو من يحضر له في خطب الجمعة أو في محاضراته أو في دروسه أكثر من الآخر، أو له مؤلفات والآخر ليس له مؤلفات، أو عنده موهبة في فن الخطابة والآخر ليس عنده هذه الموهبة، أو صوته جميل في قراءة القرآن والآخر ليس كذلك، أو أحدهما يحفظ القرآن والآخر ليس كذلك، أو أحدهما أعلم من الآخر...

إلىٰ غير ذلك من أسباب التحاسد بين الناس، ولا شك أن الحسد يدل علىٰ ضعف الإيمان بالقضاء والقدر، والله المستعان.

وقد حصل هذا الداء في أولاد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وما قصة يوسف عليه الصلاة والسلام مع إخوته عنكم ببعيد، فقد ألقوه في غيابة الجُب، وما قصة وَلَدَي آدم عليه الصلاة والسلام عنكم ببعيد، حيث قتل أحدهما الآخر، وهذا مصداق لقوله ﷺ: «كُلّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُود»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «ما خلا جسد من حسد، لكن الكريم يخفيه واللئيم يبديه» اهـ.

---

(١) صحيح رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٤٥٥) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ بشواهده كما في «السلسلة الصحيحة» (١٤٥٣).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ١٢٤-١٢٥)، «أمراض القلوب وشفاؤها» ص (٢١).

وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تحاسد العلماء**[(١)]: «ولو شئت لسردت من ذلك كراريس» أي: لملأت كتبًا ودفاتر من قصص تحاسد العلماء» اهـ.

وقال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «هلاك العلماء بحسدهم» أي: بتحاسد بعضهم بعضًا.

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «مع الأسف الشديد أن الحسد بين العلماء أكثر منه في غيرهم نسأل الله السلامة» اهـ.

---

(١) قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به، لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، ما ينجو منه إلا من عصم الله، وما علمت أن عصرًا من الأعصار سلم أهله من ذلك، سوىٰ الأنبياء والصديقين، ولو شئت لسردت من ذلك كراريس، اللهم فلا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم».
انظر: «سير أعلام النبلاء» (١/ ٥٩-٦٠)، «ميزان الاعتدال» (١/ ١٣٦).

(٢) «محاضرات الأدباء» (١/ ٦٥).

(٣) «فتح ذي الجلال والإكرام» (٦/ ٤٥٢).

٦ تصيير الخلافات الشخصية إلى خلافات دينية عقدية منهجية حتى يشرعن خلافه مع خصمه وينتصر عليه

إن بعض الدعاة عند الاختلاف يحاول كل واحد منهما أن يسبق الآخر بتبديع خصمه أو تحزيبه أو تفسيقه حتىٰ ينتصر عليه ويشرعن خلافه معه، ومن يعيش في الساحة الدعوية يرىٰ عجبًا من الخصومات بين بعض الدعاة، فتجد بعض الدعاة يتعرىٰ من العلم والدّين عند الخلاف والخصومة، ويفجُر فجورًا عظيمًا، لا يبالي بسمعته ولا بمكانته، فتجده يحاول جاهدًا تبديع خصمه أو تحزيبه؛ حتىٰ يسقطه، وينتصر عليه، ويشرعن خلافه معه بهذا التبديع أو التحزيب، وكأن الخلاف لا يصلح أن يكون بين أهل التوحيد والسنة إلا بهذا، وهذه الأفعال تشبه أفعال بعض السياسيين، فإنهم أحيانًا إذا اختلفوا مع جهة أو مع أشخاص اتهموهم بالإرهاب[1]؛ من أجل كسب الرأي العام وشرعنة أفعالهم، وهذا والله انحراف بيّن، فقد اختلف العلماء سلفًا وخلفًا ولم يسارع كل واحد منهم إلىٰ تبديع الآخر، إلا من تحققت فيه الشروط وانتفت الموانع[2].

---

(١) نحن لا ندافع عن الإرهاب وأهله، بل الدعوة السلفية وحملتها يحاربون الإرهاب وأهله تديّنًا قبل محاربة الحكام للإرهاب سياسة.

(٢) وهناك كتاب في هذا الموضوع انظره إن شئت غير مأمور، اسمه: «الخلاف بين العلماء» للعلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

⑦ المسابقة في تبديع الآخرين

وهناك لون آخر من المسابقة في التبديع أو التحزيب، وهو أن بعض الدعاة إذا رأىٰ بعض المخالفات علىٰ بعض الدعاة في أي مكان كان هذا الداعية تجده يسارع ويسابق إلىٰ تبديعه أو تحزيبه قبل العلماء؛ لا لشيء إلا من أجل أن يقول: أنا أول من بدّعت فلانًا وعرفت خباياه. فيكون له السبق في هذا، ويقال عنه: بصير بأهل البدع والأحزاب!، وقد ينحرف هذا الداعية المُبَدَّع أو المُحَزَّب بسبب هذا التبديع الباطل أو التحزيب العاطل، وقد ينحرف المُبَدِّع والمُحَزِّب للناس بغير أدلة ولا براهين، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم:٤٢].

⑧ إخراج الأسرار بعد الخلاف

من الأخلاق المشينة عند بعض الدعاة إفشاء أسرار إخوانهم بعد الخلاف معهم، فينشر غسيلهم(١) للقاصي والداني، والقريب والبعيد، والبر والفاجر، من أجل أن يبرّر خلافه معهم وأنه محق وخصمه مخطئ، وهذا دليل علىٰ عجزه وإفلاسه من الأدلة والبراهين، فيقوم بإخراج أسرار خصمه ولو أدىٰ هذا إلىٰ هدم الدعوة وكسرها ونصر البدعة وأهلها، والدعوة السلفية ولله الحمد ليس فيها سريّة مقيتة، بل ليلها ونهارها وظاهرها وباطنها سواء، لكن المراد بالأسرار: الأسرار الخاصة التي تكون في حياة الناس ولابد، ولا شك أن إفشاء الأسرار خيانة للأمانة، ونقض للعهد، ودليل علىٰ لؤم الطبع، وفساد المروءة، ودليل علىٰ قلة الصبر، وضيق الصدر، وإفساد للأخوة، ومدعاة للتنافر أكثر وأكثر، وقطع حبال الصلة، وإغلاق باب الرجوع للحق أو الرجوع للأخ الذي أفشيت سرّه.

قل لي بربك أيها الداعية يا من أفشيت الأسرار كيف ستخطب وكيف ستحاضر للناس عن هذا الموضوع وعن حكم إفشاء السر، هل ستقول لهم: أيها الناس إن السر من الأماناتِ التي نهَىٰ اللهُ عن خيانتِها، كما قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنفال:٢٧].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾[النساء:٥٨].

وهل ستقول لهم: إن إخراج أسرار الناس للآخرين خيانة للأمانة؟!

---

(١) أي: يعلن ويظهر للناس ما خفي عنهم من أخطائه، مثل الذي ينشر غسيله –أي: الملابس المغسّلة– علىٰ الحبال، فيها لباس الرجال، ولباس النساء، ولباس الصغار، ولباس الكبار...

وهم يعلمون أنك قد فعلت هذا مع الآخرين، ونشرت أسرارهم في المذكرات والملازم والصوتيات!!

هل ستقول لهم: إن الله قد امتدحَ الذين هم لأمانتهم راعون، فقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴾ [المؤمنون:٨].

وهل ستقول لهم: لقد عابَ سبحانه وتعالىٰ علىٰ بعضِ أزواجِ النَّبيِّ ﷺ إفشاءَها سرَّ الرَّسول الكريم ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا ﴾ [التحريم:٣].

وهل ستحدّثهم بهذا الحديث: وهو قوله ﷺ: «إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ»[(١)].

قال ابن رسلان رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «لأن التفاتَه إعلام لمن يحدِّثُهُ أنه يخاف أن يَسمعَ حديثَهُ أحد، وأنه قد خصَّهُ سرَّه» اهـ

والأدلَّةُ من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح متضافرة علىٰ وجوب حفظ السر وتحريم إفشائه.

فاتق الله أيها الداعي إلىٰ الله وكن من الأبرار الذين صدورهم مقابر للأسرار.

قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «إذاعة السرِّ من قلة الصبر، وضيق الصدر، وتوصف به ضعفة الرجال، والصبيان، والنساء».

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «إن من الخيانة أن تحدِّث بسرِّ

---

(١) حسن رواه «أحمد» (١٤٤٧٤)، و«أبو داود» (٤٨٦٨)، و«الترمذي» (١٩٥٩) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وحسنه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح الجامع» (٤٨٦).

(٢) «شرح سنن أبي داود» لابن رسلان (١٨/ ٥٩٠).

(٣) «الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة» للراغب الأصفهاني ص (٢١٢).

(٤) «الصمت» لابن أبي الدنيا ص (٢١٤).

أخيك».

وقال أكثم بن صيفي رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «إن سِرَّك من دمك، فانظر أين تريقه» أي: لا تخبر بسرّك إلا لمن تثق به.

وقال الأعمش رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «يضيق صدر أحدهم بسرِّه حتىٰ يحدِّث به، ثم يقول: اكتمه عليَّ».

(١) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٢٦٨).

(٢) «روضة العقلاء» ص (١٩١).

٩ حب انحراف المشاهير من الدعاة ليتبوأ مكانهم

إن من حظوظ النفس الدنيئة أن يحب الشخص هلاك الداعية الآخر أو انحرافه؛ ليتبوأ هو مكانه، والنبي ﷺيقول: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(١).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «وقد تظاهرت نصوص الشرع **وإجماع** العلماء علىٰ تحريم الحسد واحتقار المسلمين وإرادة المكروه بهم وغير ذلك من أعمال القلوب وعزمها» اهـ

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: «لاَ يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تَسْأَلُ طَلاَقَ أُخْتِهَا، لِتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتَهَا، فَإِنَّمَا لَهَا مَا قُدِّرَ لَهَا»(٣).

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «في هذا الخبر من الفقه أنه لا ينبغي أن تسأل المرأة زوجها أن يطلق ضرتها لتنفرد به، فإنما لها ما سبق به القدَر عليها، لا ينقصها طلاق ضرتها شيئًا مما جرىٰ به القدَر لها ولا يزيدها» اهـ

وهكذا العالِم مع العالِم، والشيخ مع الشيخ، والداعية مع الداعية، قوة إلىٰ قوة يشد بعضها بعضًا، وانظر إلىٰ الفرق الواسع والبون الشاسع بين هؤلاء وبين السلف، فهذا يحيىٰ بن جعفر يقول: «لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت، فإن موتي يكون موت رجل واحد، وموت محمد بن إسماعيل ذهاب العلم»(٥).

---

(١) متفق عليه: «البخاري» (١٣)، «مسلم» (٤٥) عن أنس رضي الله عنه.
(٢) «شرح النووي علىٰ مسلم» (٢/ ١٥٢).
(٣) رواه «البخاري» (٥١٥٢)، و«مسلم» (١٤١٣)، واللفظ للبخاري.
(٤) «التمهيد» (١٨/ ١٦٥).
(٥) «تاريخ بغداد» (٢/ ٣٤٠).

وأيوب السختياني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قال**[1]: «إنه ليبلغني موت الرجل من أهل السنة فكأنما يسقط عضو من أعضائي».

(١) «حلية الأولياء» (٣/ ٩).

⑩ دفن بعض الدعاة لحسنات بعضهم

وهناك لون من ألوان الحسد وهو دفن حسنات بعض الدعاة لبعضهم، فلا يحب إظهارها للناس، ولا يحب مدحه، ولا الثناء عليه بما يستحق، بل إذا ذُكِرَ عنده بالجميل يجد في نفسه عليه، وقد استعاذ النبي ﷺ من هذا الصنف، حيث قال ﷺ: «...اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ خَلِيلٍ مَاكِرٍ عَيْنُهُ تَرَانِي وَقَلْبُهُ يَرْعَانِي إِنْ رَأَىٰ حَسَنَةً دَفَنَهَا، وَإِذَا رَأَىٰ سَيِّئَةً أَذَاعَهَا»(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ طَبْعُهُ طَبْعُ خِنْزِيرٍ يَمُرُّ بِالطَّيِّبَاتِ فَلَا يَلْوِي عَلَيْهَا، فَإِذَا قَامَ الْإِنْسَانُ عَنْ رَجِيعِهِ قَمَّهُ، وَهَكَذَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَسْمَعُ مِنْكَ وَيَرَىٰ مِنَ الْمَحَاسِنِ أَضْعَافَ أَضْعَافِ الْمَسَاوِئِ فَلَا يَحْفَظُهَا وَلَا يَنْقُلُهَا وَلَا تُنَاسِبُهُ، فَإِذَا رَأَىٰ سَقْطَةً أَوْ كَلِمَةً عَوْرَاءَ وَجَدَ بُغْيَتَهُ وَمَا يُنَاسِبُهَا فَجَعَلَهَا فَاكِهَتَهُ وَنُقْلَهُ» اهـ.

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عند ذكره لكتاب «العواصم» لابن الوزير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «ولو خرج هذا الكتاب إلىٰ غير الديار اليمنية لكان من مفاخر اليمن وأهله ولكن أبىٰ ذلك لهم ما جبلوا عليه من غمط محاسن بعضهم لبعض ودفن مناقب أفاضلهم» اهـ.

وذكر الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «سير أعلام النبلاء»** في ترجمة عبد الرزاق بن همّام قال: «قال علي بن المديني: قال لي هشام بن يوسف: كان عبد الرزاق أعلمنا، وأحفظنا».

---

(١) جيّد رواه الطبراني في «الدعاء» (١٣٣٩)، وجوّد إسناده الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٣١٣٧).

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٤٠٦).

(٣) «البدر الطالع» (٢/ ٩١).

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **معلّقًا على هذا الخُلق الكريم:** «هكذا كان النظراء يعترفون لأقرانهم بالحفظ» اهـ.

⑪ العُجب والتطلع لألقاب الثناء والمدح والاغترار بها

لا شك أنه في غمرة انشغال الداعية في أعماله الدعوية، يحصل لديه –أحيانًا– قصور في تزكية نفسه، ومحاسبتها، وربما تسلل إلىٰ قلبه آفات قادحة في عمله وإخلاصه، مفسدة لقلبه، قد يشعر بها وينشغل عن علاجها، وقد لا يشعر بها أصلاً.

ومن هذه الأمراض العُجْبُ، ومما يُدخل العُجب علىٰ الداعية نظره لما منحه الله إياه من بلاغة أو فصاحة وبيان أو سعة في العلم وقوة في الرأي وغير ذلك، فكيف إذا انضاف إلىٰ ذلك حديث الناس عن أعماله، وتعظيمهم له، وإقبالهم عليه، لا شك أن الفتنة تعظم، ولذا يتأكد في حقه حراسة نفسه من العجب، فإنه من الأمراض المهلكة والآفات الممحقة للعمل والعمر؛ لذلك كانت كلمة الشرع فيه شديدة وحاسمة، فهو مذموم أشد الذم، ومسالكه ودروبه كلها مذمومة، حتىٰ أن خير الخلق وسيد الأنبياء والمرسلين ﷺ، الذي قضىٰ عمره كله في خدمة الدين والجهاد في سبيله، فلم يُبلَ أحد مثل بلائه، ولا جاهد وصابر مثل جهاده وصبره، ومع ذلك كله أمره ربه سبحانه وتعالىٰ في بداية طريق الدعوة بقوله: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر:٦].

وقد حذّر النبي ﷺ من هذا الداء العضال فقال: «لَوْ لَمْ تَكُونُوا تُذْنِبُونَ خَشِيتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ الْعُجْبَ الْعُجْبَ»(١).

وحذّر السلف الصالح من العجب ومن ذلك ما جاء **عن كعب** رحمه الله

---

(١) حسن رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٦٨) عن أنس رضي الله عنه، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٥٣٠٣).

أنه قال لرجل رآه يَتَّبِعُ الأحاديث: «اتق الله وارض بالدون من المجالس ولا تؤذ أحدًا؛ فإنه لو ملأ علمك ما بين السماء والأرض مع العجب ما زادك الله به إلا سفالًا ونقصًا»(١).

وعن مسروق رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قال**: «كفىٰ بالمرء علمًا أن يخشىٰ الله، وكفىٰ بالمرء جهلًا أن يُعجب بعلمه»(٢).

وكان يحيىٰ بن معاذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **يقول**: «إياكم والعُجْب، فإِنَّ العُجْب مهلكة لأهله، وإِنَّ العُجْب ليأكل الحسَنات كما تأكل النَّار الحطب»(٣).

وقال الحارث بن نبهان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت محمد بن واسع يقول: «واأصحاباه! ذهب أصحابي قال: قلت: يرحمك الله، أليس قد نشأ شباب يقرؤون القرآن، ويقومون الليل، ويصومون النهار، ويحجون ويقرؤون؟ قال: فبزق، وقال: أفسدهم العُجْب»(٤).

فالعُجب يا معشر الدعاة مرض يعرض للنفس، ويحتاج من المؤمن أن يتفطن له؛ حتىٰ لا يغلبه علىٰ أخلاقه الحسنة، بل حتىٰ لا يخدش في توحيده وإيمانه بالله.

ومن مظاهر هذا المرض: البحث وراء التزكية، وحب الثناء والمدح، وألقاب الشرف، كالدكتوراه(٥) مثلًا، أو العلّامة، والإكثار من الثناء علىٰ

(١) «حلية الأولياء» (٥/ ٣٧٦)، «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٥٦٧).
(٢) «حلية الأولياء» (٢/ ٩٥)، «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٥٦٩).
(٣) «شعب الإيمان» (٩/ ٣٩٥).
(٤) «الزهد» للإمام أحمد (١/ ٤٦٧).
(٥) وقد بسطت القول حول هذا الموضوع في كتابي: «السطور الذهبية في بيان أهداف وثمار دُور الحديث السلفية في الديار اليمنية» ص (٧٧) تحت فقرة «دُور الحديث السَّلفيَّة لها دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحل، إنَّها بيوتٌ مطمئنَّة وروضةٌ من رياض الجنَّة».

النفس ومدحها، لحاجة ولغير حاجة، تصريحـًا أو تلميحـًا، وقد يكون علىٰ هيئة ذم النفس.

قال مطرّف بن عبد الله بن الشّخّير رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَفَىٰ بِالنَّفْسِ إِطْرَاءً عَلَىٰ رُءُوسِ الْمَلَأِ كَأَنَّكَ أَرَدْتَ بِهِ زَيْنَهَا وَذَلِكَ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ شَيْنُهَا»(١).

ومن مظاهر العجب كذلك: النفور من النصيحة، وكراهيتها، وبغض الناصحين، والاعتداد بالرأي، وازدراء رأي الغير، وما أشبه ذلك، وهذا كله خلاف ما كان عليه الأوائل.

كان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ **إذا مُدح يقول**: مَا لِي شَيْءٌ، وَلَا مِنِّي شَيْءٌ، وَلَا فِيَّ شَيْءٌ. ويتمثل بهذا البيت:

أَنَا الْمُكَدِّي وَابْنُ الْمُكَدِّي وَهَكَذَا كَانَ أَبِي وَجَدِّي

وكان إذا أثني عليه يقول: والله إني إلىٰ الآن أجدد إسلامي كل وقت، وما أسلمت بعد إسلامًا جيدًا(٢).

ولم يترجم الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ لنفسه في «سير أعلام النبلاء»؛ لأنه كتاب تزكية، وإنما ذكر نفسه في كتابه «المعجم المختص بالمحدّثين» **حيث قال عن نفسه**(٣): «وجمع تواليف يقال: مفيدة والجماعة يتفضلون ويثنون عليه، وهو أخبر بنفسه في العلم، والله المستعان ولا قوة إلا به، وإذا سلم لي إيماني فيا فوزي» اهـ.

---

(١) «رسائل ابن حزم» (١/ ٨٨)، «تاريخ دمشق» (٥٨/ ٣٠١)، «حلية الأولياء» (٢/ ٢٠٢).

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٥٢٠).

معنىٰ أَنَا الْمُكَدِّي وَابْنُ الْمُكَدِّي: أي: أنا المقِل ابن المقل، أو الذي عمل عملاً قليلًا ثم تركه، وهو مأخوذ من الكُدية وهي: الصخرة التي لا تعمل بها الفؤوس والمعاول، كأن الإنسان حفر شيئًا يسيراً فواجهته صخرة كبيرة فترك العمل، قال تعالىٰ: ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ﴾ [النجم:٣٤]، يعني: ترك.

(٣) «المعجم المختص بالمحدّثين» ص (٩٧).

وترجم لنفسه في كتابه «ذيل ديوان الضعفاء»(١) **فقال:** «محمد بن أحمد بن عثمان الفارقي سيء الحفظ ليس بالمتقن ولا بالمتقي سامحه الله تعالى» اهـ.

وقال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنما أنا طالب علم، لا شيء آخر».

وحين مدحه بعض طلبة العلم مدحًا خفيفًا أجهش بالبكاء، وقال: «أحلِفُ يميناً أنكم مغشوشون، لو عرفتم حقيقتنا ما مشيتوا معنا(٣)» اهـ

وقال الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مقبل يا إخوان لا يساوي بصلة» اهـ

وهكذا الشيخ عبد العزيز بن باز، وابن عثيمين، وكبار أهل العلم في هذا العصر، لم يرفعهم الله عزّ وجلّ إلا بالتواضع، ولم يُعلم عن أحد منهم العجب والبحث وراء الثناء والمدح، بل هم من يحاربه كما في سِيرهم وتراجمهم.

---

(١) «ذيل ديوان الضعفاء» رقم الترجمة (٣٤٥).

(٢) «موسوعة الألباني في العقيدة» (١/ ٢١٣).

(٣) «سلسلة الهدىٰ والنور» (صوتي).

(١٢) الاغترار بالجموع والكثرة

إن الاغترار بالجموع والكثرة في الدروس، أو المحاضرات، أو الخطب أو غير ذلك، خطر عظيم، وهو يدخل في قوله تعالىٰ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر:١]، وقد ذم الله تعالىٰ الإعجاب بالكثرة حتىٰ لو كانت علىٰ الحق؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة:٢٥]. فالخير الكثير يسر ولا يغر[(١)].

قال عبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كنت أجلس يوم الجمعة، فإذا كثر الناس -أي: عليه- فرحت، وإذا قلوا حزنت، فسألت بشر بن منصور، فقال: هذا مجلس سوء فلا تعد إليه»[(٢)].

وهكذا كانوا يحذرون الكثرة من حولهم، أي: الكثرة التي تفضي إلىٰ اغترار الإنسان.

فيا أيها الداعية المبارك لا تغتر بالكثرة والجموع في دروسك، أو خطبك، أو محاضراتك، أو مؤلفاتك أو...، ولا تغتمَّ بالقِلَّة، أو تأسف للغُربَة؛ فهي إلىٰ النجاة أقرب، ومَن أخلص وصبر جمَع اللهُ عليه القلوب ولو بعد حين، فإن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، فإذا أقبل العبد بقلبه إلىٰ الله وحده أقبل الله بقلوب العباد إليه، وانظر كيف رفع الله سلفك الصالح يوم صلحت نياتهم.

قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «كنت آتي نافعًا وأنا غلام حديث السِّن، فينزل

---

(١) انظر كتابي: «سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب» ص (١٣٣) تحت عنوان «العُجب بالكثرة هزيمة وحسرة».

(٢) «حلية الأولياء» (٩/ ١٢)، «سير أعلام النبلاء» (٩/ ١٩٦).

ويُحدّثني، وكان يجلس بعد الصبح في المسجد، لا يكاد يأتيه أحد»[(١)].

وقال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مات عطاء بن أبي رباح يوم مات وهو أرضَىٰ أهل الأرض عند الناس، وما كان يشهد مجلسه إلا تسعة أو ثمانية»[(٢)].

فَرَحِمَ الله سلفنا الصالح، أخلصوا لله العمل، وفطِنُوا إلىٰ هذا الداء العُضال فهَجروه ومَضوا إلىٰ الله، شعارهم ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ [العنكبوت:٢٦]، فأبَىٰ الله إلا أن يجمع عليهم قلوب العباد إلىٰ يوم المعاد.

---

(١) «المعرفة» للفسوي (١/ ٦٤٦)، «تاريخ دمشق» (٦١/ ٤٣٦)، «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٩٨).

(٢) «حلية الأولياء» (٣/ ٣١١)، «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٨٤).

⑬ بعض الدعاة والمشايخ يجعل نفسه ميزان السنة، من اقترب منه اقترب من السنة، ومن ابتعد عنه ابتعد عن السنة

لقد طَفَتْ هذه الظاهرة علىٰ السطح في الآونة الأخيرة، حيث يجعل بعض الدعاة والمشايخ من نفسه ميزانًا للحق والسنة، من أحبه وأكثر من زيارته فقد أحب السنة وأهلها وهو من أهل السنة والجماعة، ومن انشغل عنه مع حفظ مكانته وكرامته فهو من أهل البدع والأهواء، أو علىٰ أقل تقدير فيه نظر، فعلىٰ قدر قربك من هذا الشيخ يكون قربك من السنة، هكذا جعل لنفسه أو جعل له الأتباع هذه الصفة، نعم قد يكون هذا الميزان إذا كان هذا الداعية إمامًا في السنة في بلده، أو لا يوجد غيره في بلده من أهل السنة إلا هو، فهنا نقول: نعم من أتىٰ من هذه البلاد وأثنىٰ علىٰ هذا الداعية أو هذا الشيخ فهذه علامة حبه للسنة وأهلها، ومن أبغضه فهذه علامة بغضه لأهل السنة، لكن **الأصل** في هذه المسألة أن نقول: علىٰ قدر تمسك الشخص بالكتاب والسنة علىٰ فهم السلف الصالح يكون قربه من الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، والعكس بالعكس، والمقرر في **القاعدة** المشهورة أن الرجال يُعرفون بالحق ولا يُعرف الحق بالرجال[(١)].

واسمع إلىٰ هذه القصة العجيبة: قال عبد الله بن محمد الوراق: كنت في مجلس أحمد بن حنبل، فقال: من أين أقبلتم؟ قلنا: من مجلس أبي كريب. فقال: اكتبوا عنه، فإنه شيخ صالح. فقلنا: إنه يطعن عليك. فقال: فأي شيء حيلتي، شيخ صالح قد بُلي بي[(٢)]. اهـ

---

(١) «الواضح في أصول الفقه» (٥/ ٢٠٨) لأبي الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري (المتوفىٰ: ٥١٣هـ).

(٢) «تاريخ دمشق» (٥٥/ ٥٨)، «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣١٧).

قلت: هذا هو العلم والدين والعقل، وهؤلاء هم الكبار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «وليس لأحد منهم أن يأخذ علىٰ أحد عهدًا بموافقته علىٰ كل ما يريده؛ وموالاة من يواليه؛ ومعاداة من يعاديه، بل من فعل هذا كان من جنس جنكيزخان وأمثاله الذين يجعلون من وافقهم صديقًا مواليًا ومن خالفهم عدوًّا باغيًا» اهـ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ **أيضًا**[(٢)]: «كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، فمن جعل شخصًا من الأشخاص غير رسول الله ﷺ، من أحبه ووافقه كان من أهل السنة والجماعة، ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة -كما يوجد ذلك في الطوائف من اتباع أئمة في الكلام في الدين وغير ذلك- كان من أهل البدع والضلال والتفرق». اهـ.

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ١٦).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٣٤٧).

(١٤) احتكار الحق في أفراد في الحكم بالسنة أو البدعة

بعض الدعاة يحتكر الحق علىٰ نفسه، لا يمكن أن يخرج إلىٰ غيره، ويدعو الناس إلىٰ تقليده، والتقليد المطلق محرّم بالكتاب والسنة **وإجماع** الأمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «ومن نصّب شخصًا كائنًا من كان، فوالىٰ وعادىٰ علىٰ موافقته في القول والفعل، فهو ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾ الآية، وإذا تفقه الرجل وتأدب بطريقة قوم من المؤمنين، مثل: اتباع الأئمة والمشايخ؛ فليس له أن يجعل قدوته وأصحابه هم العيار، فيوالي من وافقهم، ويعادي من خالفهم» اهـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «وقد نهىٰ الأئمة الأربعة عن تقليدهم، وذمُّوا من أخذ أقوالهم بغير حجة» اهـ

قلت: وهذا لسان مقال بعض الدعاة والعلماء في هذا العصر وليس لسان حالهم، فتجدهم ينكرون علىٰ الأتباع التقليد في المسائل العلمية والعملية ويلزمونهم بتقليدهم في الأحكام علىٰ الأشخاص بالسنة والبدعة.

ثم قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)]: «وأعجب مِن هذا أن أئمتهم نَهَوْهم عن تقليدهم فعَصَوهم وخالفوهم، وقالوا: نحن علىٰ مذاهبهم، وقد دانوا بخلافهم في أصول المذهب الذي بنوا عليه، فإنهم بنوا علىٰ الحجة، ونهوا عن التقليد، وأوصوهم إذا ظهر الدليل أن يتركوا أقوالهم ويتبعوه، فخالفوهم في ذلك كله وقالوا: نحن مِن أتباعهم، تلك أمانيهم، وما أتباعهم

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٠/ ٨-٩).
(٢) «إعلام الموقعين» (١/ ٧٩).
(٣) «إعلام الموقعين» (٣/ ٤٨٤).

إلا مَن سلك سبيلهم واقتفىٰ آثارهم في أصولهم وفروعهم» اهـ.

قلت: وما أشبه الليلة بالبارحة، وقد وصل الأمر ببعض المتعصبة إلىٰ أن قالوا: كل آية تخالف ما عليه المذهب فهي مؤولة أو منسوخة، وكل حديث يخالف ما عليه المذهب فهو مؤول أو منسوخ. وهذا كله من آفات التقليد الأعمىٰ، ونسمع اليوم من يقول: كل قول يخالف قول فلان في الرجال فارموا به عُرْض الحائط. فالتقليد تقليد وهو أنواع.

فقد كانوا والله يحاجّون الرجال بالأدلة، واليوم أصبحوا يحاجّون الأدلة بالرجال!

وكانوا يقولون: اعرف الحق تعرف الرجال. وأما اليوم فلسان حالهم يقول: اعرف الرجال تعرف الحق!

فقد احتكروا الحق في الرجال، وأي احتكار أعظم من هذا! ولا يحتكر إلا خاطئ.

ورحم الله الإمام الوادعي فقد كان يكرر كثيرًا هذه المقولة علىٰ طلابه: «لا يقلدني إلا ساقط».

وقال الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «لا يجوز أن تقلد زيدًا ولا عمرًا في خلاف السنة، ولو كان عظيمًا، ولو كان مالكًا، أو كان أبا حنيفة، أو الشافعي، أو أحمد، طالب العلم لا يقلّد العلماء، يأخذ بالدليل» اهـ

وهكذا هو كلام الشيخ الألباني، والشيخ ابن عثيمين، والشيخ العبّاد، وعلماء اللجنة الدائمة، وجميع علماء السنة، رحمة الله علىٰ الجميع.

ولا يعني هذا ردّ كلام علماء السنة في أهل البدع والأهواء بالحجة والبرهان.

(١) «فتاوىٰ نور علىٰ الدرب» (٨/ ١٥١).

١٥ السكوت عن الموافقين وإن أخطأوا، والقدح في المخالفين وإن أصابوا

إن لسان حال بعض الدعاة يقول: من وقف معي وصفّ في صفي سكتّ عنه ومدحته ولو كان من المفسدين، ومن خالفني قدحت فيه ولو كان من المصلحين.

لا شك أن هذه الطريقة طريقة من تشبّع بالهوىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:٢٣].

فإن الميزان الشرعي في الحب والبغض والقرب والبعد هو التمسك بالكتاب والسنة علىٰ فهم السلف الصالح وليس الميزان الهوىٰ والمزاج، إن الصادقين من السلف الصالح كان الواحد منهم إذا سُئِلَ عن أبيه قال: إنه الدِّين، إن أبي ضعيف. وكم من السلف الصالح من ترك أقرب الناس إليه من أجل هذا الدين[١]، ورحم الله الإمام الألباني حين قال له والده رَحِمَهُ اللهُ: إما

(١) قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللهُ في «شرف أصحاب الحديث» ص (٤١): «فليس أحد من أهل الحديث يحابي في الحديث أباه، ولا أخاه، ولا ولده. وهذا علي بن عبد الله المديني، وهو إمام الحديث في عصره، لا يروىٰ عنه حرف في تقوية أبيه بل يروىٰ عنه ضد ذلك» اهـ.

وقال ابن حبان رَحِمَهُ اللهُ في «المجروحين» (٢/ ١٥): «سئل علي بن المديني عن أبيه فقال: اسألوا غيري. فقالوا: سألناك، فأطرق، ثم رفع رأسه وقال: «هذا الدين، أبي ضعيف» اهـ.

وهذا يحيىٰ بن معين رَحِمَهُ اللهُ يتكلم في صاحب له ممن كان يحبه، فنقل عنه الحسين بن حبان قوله في محمد ابن سليم القاضي: «هو والله صاحبنا، وهو لنا محب، ولكن ليس فيه حيلة ألبتة، وما رأيت أحداً قط يشير بالكتاب عنه ولا يرشد إليه» وقال: «قد والله سمع سماعاً كثيراً، وهو معروف، ولكنه لا يقتصر علىٰ ما سمع، يتناول ما لم يسمع»، قلت له: يكتب عنه؟ قال: «لا» اهـ انظر «تاريخ بغداد» (٣/ ٢٧٤).

=

الموافقة أو المفارقة.

فقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: بل المفارقة[(١)].

إن هؤلاء القوم الذين يسكتون علىٰ أخطاء من وافقهم تشبّهوا بأصحاب الثورات الذين ثاروا علىٰ الحكومات بسبب الفساد -زعموا-، فإذا شعر بعض السياسيين بغرق سفينة الحكومة قفز إلىٰ سفينة الثوار، فيرحب به الثوار مباشرة، ويفرحون به، ويجعلونه من المصلحين، وكان عندهم من كبار المفسدين، لكنه الآن وقف في صفّهم، فنعوذ بالله من هذا التشابه، وكم من ثورة حصلت في الدعاة، فإذا انتقل الشخص من مجموعة إلىٰ مجموعة أخرىٰ رحبوا به وجعلوه من خير البرية، فنعوذ بالله من هذه البلية، وصدق من قال:

وافقتني مُدِحْتَ خالفتني جُرِحْتَ

وهذا جرير بن عبد الحميد رَحِمَهُ اللَّهُ يقول عن أخيه أنس: «لا يكتب عنه؛ فإنه يكذب في كلام الناس»اهـ «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٢/ ٢٨٩).

والإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ يروي في صحيحه كثيرًا عن شيخه محمد بن يحيىٰ الذهلي رغم ما تعرض له من الأذىٰ بسبب كلامه فيه وهجره له، إلا أن العداء لم يمنعه من قبول حديثه وروايته.

(١) «سلسلة الهدىٰ والنور» شريط رقم (١٦٧)، وقصة هذه المقولة: أن والد الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ كان حنفيًا متعصبًا للمذهب، فطلب من ابنه المحدّث السلفي محمد ناصر الدين الألباني أن يكون حنفيًا مثله، فقال له: إما الموافقة -أي: علىٰ المذهب الحنفي- أو المفارقة. فقال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: بل المفارقة.

(١٦) سكوت بعض الدعاة والعلماء عن جلسائهم المفسدين في الدعوة

إن بعض الدعاة يسكتون عن جلسائهم المفسدين؛ لأنهم يقومون بخدمتهم وتبجيلهم، وإظهار المحبة لهم، والدفاع عنهم، فأصبح هؤلاء الجلساء حلقة فصل وليسوا حلقة وصل بين العلماء ومحبيهم، ولا يخفىٰ علىٰ هؤلاء العلماء أنه قد ضُعّف بعض العلماء بسبب ورّاقه الفاسد(١)، نعم قد يتزين هؤلاء الجلساء للمشايخ ويتظاهرون لهم بالصلاح، وقد وثَّق بعض العلماء من السلف الصالح من تزين له بالصلاح(٢)، لكن كما قال ﷺ: «لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ»(٣)، وليحرص الشيخ أن يكون كما قيل: لست خبًّا ولا الخب يخدعني(٤)، ولا يخفىٰ علىٰ هؤلاء

---

(١) مثل: سفيان بن وكيع، كان له ورَّاق سوء يُدْخِل في كتبه ما ليس منها فضُعِّفَ بسببه.
انظر: «الكامل» لابن عدي (٣/ ١٢٥٣-١٢٥٤)، و«التهذيب» (٤/ ١٢٣) رقم (٢١٠)، و«التقريب» رقم (٣١٢و٣٢٣).

(٢) مثل: عبد الكريم بن أبي المخارق ضعيف الحديث، وكان يرىٰ الإرجاء مع تعبد وخشوع، قال النسائي والدارقطني: متروك. وقال أحمد: ضربت علىٰ حديثه. وقال ابن عبد البر: **اغتر مالك ببكائه في المسجد، وروىٰ عنه في الفضائل**. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٨٣)، «التاريخ الكبير» (٦/ ٨٩)، «التاريخ الصغير» (٢/ ٧)، «الجرح والتعديل» (٦/ ٥٩)، «تهذيب الكمال» (٨٥٠)، «ميزان الاعتدال» (٢/ ٦٤٦)، «تهذيب التهذيب» (٦/ ٣٧٦).

(٣) متفق عليه، «البخاري» (٦١٣٣)، «مسلم» (٢٩٩٨) عن أبي هريرة ﵁.

(٤) هذا الأثر مروي عن الفاروق ﵁ نسبه إليه ابن تيمية في «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٣٠٢)، وابن القيم في «إعلام الموقعين» (٣/ ١٨٩)، وجاء مسندًا عن إياس بن معاوية: أخرجه ابنُ قتيبة، في «عيون الأخبار»، ووكيعٌ في «أخبار القضاة» (١/ ٣٤٨)، ومن طريقه ابنُ عساكرَ، في «تاريخ دمشق» (١٠/ ١٩)، وأخرجه المزي في «تهذيب الكمال» (٣/ ٤١٨)، من طريق ابن النقور، أربعتُهم رووه من قول إياس بن معاوية ﵀ بلفظ «لست بخِبٍّ، والخِبُّ لا يخدعني، ولا يخدع ابنَ سيرين، ويخدع الْحَسَن، =

العلماء شروط الجليس الصالح السبعة التي ذكرها الله في قوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

فليس من العقل ولا من العلم ولا من الدين أن يكون واجهة العلماء هؤلاء المشاغبين، وأخشىٰ أن تكون هذه مؤامرة كبرىٰ علىٰ العلماء والدعاة والمصلحين.

=

ويخدع أبا معاوية بن قرة، ويخدع عُمَرَ بْن عَبْد العزيز»، وهذا لفظ وكيع، واستشهد به الإمام الألباني ونسبه للفاروق ﷺ. انظر: «سلسلة الهدىٰ والنور» رقم (٢٨٨).

(١٧) إعطاء بعض الدعاة والعلماء الضوء الأخضر لجلسائهم بالرد والتحذير من بعض الدعاة ويبقىٰ العالِم في صورة الصالح المصلح

ومما يحزن القلب ويدمع العين ما يفعله بعض الدعاة والمشايخ حيث إنه يوعز إلىٰ بعض جلسائه بالرد علىٰ فلان والتحذير منه، إما بالصوت، أو بالكتابة، أو في المجالس، ويبقىٰ هذا العالِم في صورة الناصح الصالح المصلح، وقد قال بعض الحكماء: إذا أردت أن تعرف ماذا عند الكبار فانظر ماذا عند الصغار[(١)].

وإذا اشتد الخلاف قد يحتكمون عنده، ويقف هذا العالِم في صف من أوعز إليه بالكلام ويحكم له، ولا يقبل من الطرف الثاني صرفًا ولا عدلًا، وهذا الأسلوب المشين لم يعهد عن أحد من حملة عرش الدعوة من لدن رسول الله ﷺ إلىٰ عصرنا هذا، عصر الباز، والعثيمين، والألباني، والوادعي، وغيرهم من الكبار علمًا ودينًا وعقلًا وحكمة.

---

(١) قال الجاحظ في «الرسائل الأدبية» (٩٥-٩٦): «وأكثر ما يذيع أسرار الناس أهلوهم وعبيدهم، وحاشيتهم وصبيانهم، ومَن لهم عليهم اليد والسلطان. فالسرُّ الذي يودعه خليفة في عامل له يلحقه زينه وشينه، أحرىٰ ألا يكتمه. وهذا سبيل كلِّ سرٍّ يستودعه الجلة والعظماء، ومن لا تبلغه العقوبة ولا تلحقه اللائمة».

⑱ مخالفة بعض أقوال الدعاة لأفعالهم

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف:٢-٣].

وقال تعالىٰ: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤].

وقال سبحانه وتعالىٰ عن شعيب عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾ [هود:٨٨].

فالتزام الداعية بما يدعو إليه سبب من أسباب نجاحه، والعكس بالعكس.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **مبينًا أهمية القدوة**(١): «علماء السوء جلسوا علىٰ باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلىٰ النار بأفعالهم؛ فكلما قالت أقوالهم للناس: هلمّوا... قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم؛ فلو كان ما دعوا إليه حقًا كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع الطرق» اهـ.

وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «**زغل العلم**»(٢): «إذا رأيت الواعظ راغبًا في الدنيا قليل الدين، فاعلم أن وعظه لا يتجاوز الأسماع، وكم من واعظ مفوه قد أبكىٰ وأثّر في الحاضرين تلك الساعة، ثم قاموا كما قعدوا» اهـ.

---

(١) «الفوائد» ص (٦١).

(٢) «زغل العلم» ص (٥٠).

⑲ الكيل بمكيالين، والوزن بميزانين في الحكم علىٰ الأفراد

ومن الظواهر السيئة التي سببت عند البعض ارتجاجًا هو الكيل بمكيالين، والوزن بميزانين في الحكم علىٰ الأفراد، فإنه قد يشترك اثنان في خطأ واحد ويكونان بمنزلة متقاربة في العلم والسُّنَّة، ويختلف الحكم عليهما بدون فوارق(١).

والصادق المخلص يحذر من الكيل بمكيالين: مكيال للنفس يستوفي فيه، ومكيال للمخالف يُخسره فيه ويبخسه حقه، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣﴾ [المطففين:١-٣](٢).

(١) هناك **قاعدة** متقررة عند العلماء وهي أن العالِم السُّنِّي إذا كثرت حسناته فإنها تمنع من القدح فيه، ويحكم علىٰ فعله بالخطأ؛ لأن الماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث. انظر لمزيد الفائدة حول هذه القاعدة: «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٠٩٣)، و«التمهيد» (٢/ ٣٤)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٢٠/ ٢٣٢)، و«سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٧١)، و«إعلام الموقعين» (٣/ ٢٨٣)، وغير ذلك.

وإياك أن يختلط عليك أمر هذه القاعدة بقاعدة الموازنات الفاسدة، حيث ألزم بعض الناس العلماء بذكر الموازنة بين الحسنات والسيئات عند الرد علىٰ المبتدع، وهذه قاعدة باطلة عاطلة، فالعلماء سلفًا وخلفًا لا يذكرون محاسن المبتدعة إلا حال التراجم، أما عند التحذير من بدعهم وضلالهم فيكتفون بذكر خطر هذه الضلالات والبدع والتحذير منها ومن صاحبها؛ لئلا يغتر به الآخرون، وهذه هي الطريقة الصحيحة والمنهج السوي.

(٢) **قال القشيري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لفظ المطفف يتناول التطفيف في الوزن والكيل، وفي إظهار العيب وإخفائه، وفي طلب الإنصاف والانتصاف؛ ويقال: من لم يرض لأخيه المسلم ما يرضاه لنفسه فليس بمنصف، والمعاشرة والصحبة من هذه الجملة، والذي يرىٰ عيب الناس ولا يرىٰ عيب نفسه من هذه الجملة، ومن طلب حق نفسه من الناس ولا يعطيهم =

فعند تقويم مواقف الرجال كم نستنكر سلوكًا لرجل نخالفه وهو من أهل السنة، فنبدّعه أو نحزبه بسببه، ثم تمر السنون، ويدور الزمان دورته، ويصدر نفس السلوك في موقف مشابه من داعية نحبه ونتفق معه، فنعلّل له ونبرّر ونحسن الظن به، ولا نبدّعه ولا نحزبه.

والله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:١٣٥].

ويقول سبحانه وتعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٨].

وقال ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»(١).

حقوقهم كما يطلبه لنفسه فهو من هذه الجملة، والفتىٰ من يقضي حقوق الناس ولا يطلب من أحد لنفسه حقًّا» اهـ «التفسير الوسيط» (١٠/ ١٨٢٥).

(١) متفق عليه: «البخاري» (٣٤٧٥)، «مسلم» (١٦٨٨) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

⓴ تتبع العثرات عند الاختلاف، والسكوت عنها عند الائتلاف

إن تتبع عثرات دعاة أهل السنة عند الاختلاف والسكوت عنها عند الائتلاف ليس من منهج السلف[١]، فمنهج السلف رد الزلات الظاهرة وإنكارها عند الاختلاف وعند الائتلاف بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن للتي هي أقوم، أما هذه الطريقة الفَجَّة فهي طريقة مريبة، وقد قال ﷺ: «إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ»[٢].

وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا»[٣].

---

(١) علّق الشيخ عبد العزيز البرعي حفظه الله علىٰ هذه الفقرة بقوله: «فما ظنّك بمن يجمعها عند الائتلاف ليبثها عند الاختلاف، وهو نظام الأرشفة».
ثم قال: «وهذه الطريقة استوردها الإخوان المسلمون من الماسونيين للإطاحة بأي شخص متىٰ ما أرادوا، ثم قلّدهم من قلّدهم من أهل السنة» اهـ
قلت: غلقُ هذا الباب مطلقًا غير صحيح، وفتحُه مطلقًا غير صحيح، لكن إذا علمت عند رجل أخطاء يصل ضررها إلىٰ الشرع أو حملة الشرع ونحو ذلك فلا بأس للمتأهلين بتتبع أخطائه والرد عليها وعليه، وتحذير الأمة إذا كان في ذلك مصلحة راجحة، لكن المعيب السكوت عن أخطائه إذا كان موافقًا لك، والرد عليه والبحث عن أخطائه إذا اختلفت معه.

(٢) **صحيح** رواه «أبو داود» (٤٨٨٨) عن معاوية ﷺ، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٤٨٨٨)، وشيخنا الوادعي في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١١١٦).

(٣) **صحيح** رواه «النسائي» (١٣٠٥)، والطبراني في «الدعاء» (٦٢٤) عن عمار بن ياسر ﷺ، وصححه الألباني في تحقيقه علىٰ «الطحاوية» ص (١٠١)، وشيخنا الوادعي في «الجامع في القدر» (ص:٣٤).

قال بعض السلف[(١)]: «لا تكن ممن إذا رضىٰ أدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب أخرجه غضبه من الحق».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «ليس لأحد أن يتبع عورات العلماء، ولا له أن يتكلم فيهم؛ فمن عدل عن الحجة إلىٰ الظن والهوىٰ فهو ظالم، وكذلك كل من آذىٰ المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا، ومن عظم حرمات الله، وأحسن إلىٰ عباد الله، فهو من أولياء الله» اهـ.

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)]: «وأما إذا كان مرادُ الرادِّ بذلك إظهارَ عيب من ردَّ عليه وتنقصَه وتبيينَ جهله وقصوره في العلم ونحو ذلك كان محرماً سواء كان ردُّه لذلك في وجه من ردَّ عليه أو في غيبته، وسواء كان في حياته أو بعد موته، وهذا داخل فيما ذمَّه الله تعالىٰ في كتابه وتوعد عليه في الهمز واللمز، وداخل أيضًا في قول النبي ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تؤذوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته». وهذا كله في حق العلماء المقتدىٰ بهم في الدين، فأما أهل البدع والضلالة ومن تشبه بالعلماء وليس منهم فيجوز بيان جهلهم وإظهار عيوبهم تحذيرًا من الاقتداء بهم» اهـ.

هذا وقد ابتلينا في هذا العصر بهذه البلية وهي تتبع عثرات وأخطاء علماء أهل السنة ودعاتها لأدنىٰ خلاف معهم، فيكلّف بعض الدعاة طلابه بنخل مؤلفات هذا الداعية السني وأشرطته ودروسه وخطبه ومحاضراته،

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٩).

(٢) «مسائل لخصها الشيخ محمد بن عبد الوهاب من كلام ابن تيمية» ص (٣١).

(٣) «الفرق بين النصيحة والتعيير» ص (١٣).

وللفائدة: للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ كلام نفيس في هذه المسألة في «شرح رياض الصالحين» (٢/ ٣٩٣-٣٩٥)، و«شرح حلية طالب العلم» ص (٤٠).

وقبل الاختلاف معه كان لا يرىٰ له خطأ يُذْكَر، والله المستعان، وهذه الطريقة خلاف طريقة السلف وكبار علماء الخلف.

وإن تعجب فاعجب والأعاجب جمة، أن الذي يقوم بجمع وتتبع عثرات الشيخ والداعية هو طالب من طلابه، وحسنة من حسناته، فلا غرابة فنحن في زمن العقوق والجفاء.

قال العلامة الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «لئيم الطلبة وخبيث الحضَّار عند العالم متتبع العثرات، وكاشف العورات، ودافن الحسنات، وما أكثر هذا النوع -لا كثرهم الله- فإنهم الذين أفسدوا معالم العلم، وملأوا المواقف على العلماء أحاديث كاذبة... وبئس الجزاء أن يجازي التلميذ شيوخه بإشاعة هفواتهم وزلاتهم فإنه لا بد لكل جواد من كبوة ولكل صارم من نبوة:

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضَىٰ سَجَايَاهُ كُلُّهَا كَفَىٰ الْمَرْءَ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُه

فخير الناس من أشاع الخير عن العلماء وأذاعه ودافع عنهم إن سمع قادحاً فيهم...» اهـ.

(١) «التنوير شرح الجامع الصغير» (٩/ ٥٢٧-٥٢٨).

(٢١) عند الخلاف يصبح الرجل عالمًا ويمسي جاهلاً، ويمسي جاهلًا ويصبح عالمًا

ومن زغل بعض الدعاة ما ظهر في الآونة الأخيرة وذلك أنه إذا اختلف عالِمٌ أو داعية مع آخر يقوم أحدهما بتجهيل الآخر مباشرة، وأنه لا يفقه من دين الله شيئًا، وأنه أجهل من حمار أهله، وأنه وأنه... وقد كان عنده قبل الخلاف من الراسخين في العلم، ومن الدعاة المصلحين، فإذا تراجع هذا العالِم عن خطئه في نفس المجلس أو في نفس اليوم يعيد له ألقابه المسلوبة ومكانته المنهوبة، ومنها: الشيخ الفاضل، والداعية المبارك، والعالِم، والعلّامة، والمصلح الكبير، فهل العلم يُسلَب بالمخالفة للآخرين؟! ﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنعام:١٤٣].

هذا والله خلاف ما كان عليه السلف وجرىٰ عليه كبار علماء الخلف، وهو نوع من البهت الذي اتصفت به اليهود، فقد قال ﷺ لليهود: «فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلامَ؟» قَالُوا: ذَاكَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا. فلما أعلن إسلامه وخالف ما هم عليه نكسوا علىٰ أعقابهم، وقالوا: شَرُّنَا، وَابْنُ شَرِّنَا. وَوَقَعُوا فِيهِ -وجهّلوه وسفّهوه-[(١)].

فوقوع العالِم في المخالفة ولو أصبح مبتدعًا لا يسلبه صفة العلم، كما قال الله: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ [الأعراف:١٧٥]، فأثبت له العلم مع أنه انسلخ من الدِّين.

وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء:١٩٧]، فأثبت لهم العلم وهم علىٰ ضلال.

---

(١) رواه «البخاري» (٣٣٢٩) و(٣٩١١) عن أنس ﷺ.

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية:٢٣]، فأثبت له العلم مع أنه ضال.

وكان ﷺ في مراسلته يقول: «...إِلَىٰ هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ...»[١].

إذًا نحكم علىٰ المبتدع بالبدعة إذا أصبح مبتدعًا، ولا نحكم عليه بالجهل إذا كان ممن عُرف بالعلم، فإثبات العلم شيء، والمخالفة والبدعة شيء آخر، نعم قد يُسْلَب منه نور العلم إذا استمر علىٰ ضلاله.

(١) متفق عليه: «البخاري» (٧)، «مسلم» (١٧٧٣) عن أبي سفيان ﷺ.

﴿٢٢﴾ عند الخلاف يصبح الرجل سنيًّا سلفيًّا ويمسي مبتدعًا ضالًّا، ويمسي مبتدعًا ضالًّا ويصبح سنيًّا سلفيًّا بغير أدلة مرضية أو قواعد علمية

هذه المسألة أيضًا كسابقتها وهي العجلة والتسرع في التبديع أو التسنين بغير أدلة مرضية أو قواعد علمية، فكم من داعية أمسىٰ سنيًّا ثم حصل بينه وبين زميله خلاف فبدَّعه وأصبح مبتدعًا، ثم اصطلحا واعتذر بعضهم من بعض فسنّنه، وكان قد ملأ الانترنت ضجيجًا بتبديعه، ثم حين اعتذر منه ملأ وسائل التواصل الاجتماعي تسنينًا له، وأنه قد رجع إلىٰ منهج السلف، وهو إنما رجع إليه واعتذر منه، وقد حصلت فتنة بين أهل السنة شرّقت وغرّبت واستمرت سنين عددًا: ملازم، وردود، وصوتيات، ومحاضرات، ومهاترات، ومضاربات، وتباغض، وتدابر، ثم نسمع من أحدهم يقول: لو أن فلانًا يعتذر منا فنحن نقبل اعتذاره وينتهي كل شيء ونعود إخوة كما كنا.

فيا سبحان الله!! أين التراجع عن الأخطاء العقدية، والأخطاء المنهجية، والأخطاء السلوكية، والأخطاء الدعوية التي كنت تتهمه بها؟! أصبحنا كالسياسيين نختلف في الصباح ونصطلح في المساء، والشعوب لا تدري لماذا اختلفنا ولماذا اصطلحنا وإنما هم تبع لحكامهم.

(٢٣) الانتقام للنفس وتصفية الحسابات في وقت الفتن بلباس الشريعة والغيرة علىٰ الدِّين

إن كثيرًا من الناس يستتر بالفتن ويتترّس بها، فتجده ينتقم لنفسه من خصومه إذا حانت له الفرصة، كل ذلك بلباس الشريعة والغيرة علىٰ الدِّين، وسلفهم في ذلك قاتل خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي تستحي منه الملائكة، قتله بحجة الغيرة علىٰ الدِّين والدفاع عن الحق المبين، طعنه الباغي تسع طعنات، ثم قال: ثلاث لله، وست لما في نفسي عليه[(١)].

والمؤمن حقًّا لا يشفي غيظه[(٢)]، لا سيّما من أخيه السُّنِّي، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَىٰ إِلَيْهِ حَتَّىٰ يُنْتَهَكَ مِنْ حُرُمَاتِ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ للهِ»[(٣)].

والحذر كذلك ممن يبدأ موقفه نصرة لدين الله، وينتهي بنصرة نفسه وأغراضه الشخصية، فالحذر من انقلاب النوايا في مثل هذه المسائل الشائكة.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ[(٤)]: «ومن تلبيس إبليس: قدح بعضهم في بعض طلبًا للتشفي، ويخرجون ذلك مخرج الجرح والتعديل الذي استعمله قدماء هذه الأمة للذب عن الشرع، والله أعلم بالمقاصد» اهـ

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤٨٤)، «تاريخ الإسلام» (٢/ ٢٤٢)، «البداية والنهاية» (٧/ ١٨٥).

(٢) جاء في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٩٤) في ترجمة سعيد بن سليمان المديني المساحقي القاضي الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ ما نصه: «قال نوفل بن ميمون: جاء سعيد بن سليمان إلىٰ عبد الله بن محمد بن عمران شاهدًا، فرد ابن عمران شهادته، فلما ولي سعيد القضاء، جاء عبد الله بن محمد بن عمران شاهدًا، فأخذ شهادته فنظر فيها ساعة ثم رفع رأسه، فقال: **المؤمن لا يشفي غيظه**، أوقع شهادته يا ابن دينار، فأوقعها».

(٣) متفق عليه: «البخاري» (٦٨٥٣)، «مسلم» (٢٣٢٨)، واللفظ للبخاري.

(٤) «تلبيس إبليس» ص (١٠٥).

وقال الشيخ عبد السلام بن برجس رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «والله وبالله وتالله لن يفلح من جعل دين الله وشرعه وسنة نبيه محمد ﷺ بابًا لتصفية الحسابات الشخصية والتشفي ممن نقده أو وضح باطله» اهـ

قلت: وصدق الشاعر حين قال:

أَسلَمَني قَوْمي ولم يغضَبوا ... لِسَـوْءة حلّتْ بهِمْ فادحَهْ
كـلُّ خـليـلٍ كنتُ خاللتُهُ ... لا تـركَ اللهُ لـه واضِـحـهْ
كـلُّـهُـمُ أروَغُ مـن ثعلبٍ ... ما أشـبـهَ اللّيْلَةَ بالبـارحَـهْ[(٢)]

فنحن والله وبالله وتالله نرىٰ اليوم هذه المشاهد الظلامية الظالمة تتكرر، فكم من شخص يتخذ المواقف العدائية ضد فلان من الناس؛ لا لشيء إلا من أجل أغراض دنيئة دنيوية، كأن يكون قد أساء إليه في يوم من الأيام بكلمة، أو بموقف، أو لم يمدحه ويجعل له جاهًا بين الناس، أو لم يعطه مالًا، أو من أجل مشاكل أسرية بين النساء أو بين الأولاد...، أو لحسد، أو لأي خلاف حقير دنيوي، فإذا حصل لصاحبه أي فتنة وقف ضده مع خصومه باسم الدفاع عن الحق والدِّين وإن كان من وقف ضده مظلومًا، فاللهم سلّم سلّم، ويوم القيامة يبعثر ما في القبور ويُحَصّل ما في الصدور، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٨]، فالجسد مكشوف عار، وما في الصدور مكشوف، والصحائف مكشوفة، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:٢٢٧].

---

(١) محاضرة بعنوان «ذم الإرجاء والتحذير من المرجئة» (صوتي).
(٢) «ديوان طرفة بن العبد» ص (٤).

(٢٤) تسجيل مكالمات العلماء الهاتفية بغير إذنهم ونشرها بين الناس بقصد الفتنة

من البلايا التي أشعلت الفتن وزادت الطين بلّة: تسجيل المكالمات الهاتفية بغير إذن ونشرها بين الناس بقصد الفتنة، فالأصل في هذه المسألة المنع والتحريم، وقد قال ﷺ: «إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الحَدِيثَ ثُمَّ التَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ»(١).

وقال ﷺ: «الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ»(٢).

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «فلا يحل لأحد من أهل المجلس أن يفشي علىٰ صاحبه ما يكره إفشاؤه» اهـ.

وقال فضيلة الشيخ محمد بن سعيد رسلان حفظه الله(٤): «إذا سجلت مكالمة من تُكلمه دون إذنه وعلمه فهذا مكر وخديعة، وخيانة للأمانة، وإن نشرت هذه المكالمة للآخرين فهي زيادة في التخون وهتك للأمانة... وإن فعلت فعلتك الثالثة، فتصرفت في نص المكالمة بتقطيع وتقديم وتأخير ونحو ذلك، إدخالًا أو إخراجًا ودبلجة، فالآن ترتدي الخيانة مضاعفة وتسقط علىٰ أم رأسك في أم الخبائث غير مأسوف علىٰ خائن.

تأمل، ولذا ضُعّف التسجيل عن حجية الإثبات والحكم قضاء إلىٰ رتبة القرائن ولا يُعد دليلًا، ويحتاج إلىٰ إذن كما هو معلوم، وهو هدر إذا

---

(١) **حسن**. رواه «الترمذي» (١٩٥٩) عن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وحسنه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (١٠٩٠).

(٢) **حسن**. رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٧٠٤) عن علي رضي الله عنه، وحسنه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح الجامع» (٦٦٧٨).

(٣) «فيض القدير» (٢/ ٥٦٩).

(٤) (صوتي).

جيء به غير مأذون به، ومعلوم أن كل من سجل لغيره بدون علمه ثم ظهر ذلك فإنه يُعاقب قانونًا، فكيف بشرع ربك؟؟

فهذه خصوصيات الناس، وهذه أسرار الخلق، وهذا تبسط أخيك معك، وهذا ائتمانه إياك علىٰ ما يُبلغك إياه، والمحدّثون رحمة الله عليهم -لنا في هذا سلف- فإن الشيوخ إذا كانوا بمجلس المذاكرة، يعني: يُسقطون الأسانيد ويأتون بالمتون، يتعجلون، أو يأتون في المذاكرة بما لا يرتضونه إسنادًا أو متنًا، أو إسنادًا ومتنًا معًا، إذا كانوا في المذاكرة وحضر بعض الطلاب، يقولون: لا يحل لكم أن ترووا عنا ما سمعتموه في حال المذاكرة.

والخلاصة: أن تسجيل الكلام سواء كان عبر الهاتف أو غيره دون علم المتكلم وإذنه فجور وخيانة وجرح في العدالة، ولا يفعلها إلا الضامرون في الدِّين والخُلق والأدب، لا سيما إن تضاعفت كما ذُكر، فاتقوا الله عباد الله ولا تخونوا أماناتكم ولا تغدروا بإخوانكم» اهـ.

وقال فضيلة الشيخ محمد بن علي فركوس حفظه الله(١): «التسجيل الخفي الذي يكون غرضه الوقيعة بمن يتكلم، أو غرضه كسر الدعوة الصّافية التي يحملها، أو غرضه تقزيم دوره للانتقاص منه، أو التسجيل للجهات الحكومية تحريشًا منه لتطويقه أو لسجنه، فهذه أفعال لا تتماشىٰ مع خُلُق المسلم والصدق، فالصدق يأبىٰ الخيانة والتلبيس والتدليس والتزوير والكذب والافتراء، أما إذا كان لقمع عصابة أو جماعة أشرار، أو أرسله الحاكم لمعرفة جماعات إسلامية مخربة فسجلت عنهم هذه التسجيلات لتطويق الشر، أو إبعاده دفعًا للفساد، وإحقاقًا للعدل، إذا كانت في هذه المعاني فلا بأس في ذلك» اهـ.

---

(١) من سماعات أبي محمد الطرابلسي.

٢٥ طرح الأسئلة التي يراد من ورائها إيقاع الفتن بين العلماء والدعاة

لا شك أن سؤال العلماء فيما أشكل أمر مهم، قال تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

وقال ﷺ: «فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ»(١).

وهذا أمر **مجمع عليه**، أن تسأل العلماء بقصد التعلم عن مسائل في العقيدة، أو في الفقه، أو في المنهج، أو في الجماعات والأحزاب، أو تسأل عن فرد تذكر اسمه وتسأل عنه سؤالًا واضحًا صريحًا بقصد الاستفادة والخير.

لكن من المؤسف له جدًّا أن تجد بعض من ينتسب إلىٰ طلب العلم الشرعي من يطرح بعض الأسئلة علىٰ العلماء بقصد التحريش بين العلماء والمشايخ، بأسلوب ألْيَقَ ما يكون بفعل الهمج الرعاع من الدهماء، لا يليق بطالب علمٍ ينتسب إلىٰ سنة النبي ﷺ، وإلىٰ طلب العلم.

فتجده يتقَصَّد طرح أسئلة علىٰ بعض المشايخ حول بعض الألفاظ والأقوال والأفعال الصادرة من بعض المشايخ والدعاة الآخرين، والتي ظاهرها الخطأ، وقد يكون قائلها أو فاعلها متأولاً، أو لعل السامع لم يفهم مراد المتكلم، أو غير ذلك من الأعذار الشرعية، ثم إذا أجابه الشيخ عن سؤاله يذهب إلىٰ حيث أراد، وينشر مقولة ذلك المجيب في حكم العبارة المنقولة، ويضع لها عنوانًا سَمِجًا من عنده: **(رد الشيخ فلان علىٰ فلان)**،

---

(١) حسن. رواه «أحمد» (٣٠٥٦)، و«أبو داود» (٣٣٧)، و«ابن ماجه» (٥٧٢)، و«الحاكم» (٦٣٠) عن عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وحسَّنه الشَّيخُ الألبانيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ في «صحيح سنن أبي داودَ» (٣٣٧)، و«صحيح سنن ابن ماجه» (٤٧٠)، و«صحيح الجامع» (٤٣٦٣).

مع أنه سأل عن الكلمة أو العبارة أو الفعل أو القول ولم يسم الفاعل أو القائل، وهذا ديدن بعض من ينتسب إلىٰ طلب العلم، تجد شغله الشاغل في الليل وفي النهار السؤال عن زيد وعبيد، ولا يسأل عن العلم الشرعي ولا يهتم به ولا يهتم بالدعوة ولا يهتم بالعبادة.

فعلىٰ طالب العلم حقًّا أن يتَّقيَ الله سبحانه وتعالىٰ فيما يقول ويذر، ويعلم أنه ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق:١٨].

قال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «أنا كثيرًا ما أُسألُ ما رأيك بفلان؟ فأفهم أنه متحيز له أو عليه، وقد يكون الذي يُسألُ عنه من إخواننا القدامىٰ يقال عنه: انحرف، فأنا أنصح السائل يا أخي: ماذا تريد بزيد وبكر وعمرو؟ استقم كما أُمِرتَ وتعلَّم العلم، وهذا العلم سيميز لك الصالح من الطالح والمخطئ من المصيب» اهـ.

وقال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «يا أخي لا تجعل ديدنك وهمك ما تقول في فلان؟ ما تقول في فلان؟ كَفِّرْ فلانًا! بَدِّعْ فلانًا! فَسِّقْ فلانًا! ما يصير هذا!».

وسئل العلامة ربيع المدخلي حفظه الله(٣): هل السؤال عن الرجال من هدي السلف؟

فأجاب: «نعم، السؤال عن الرجال من منهج السلف، كما قال ابن سيرين: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم.

لكن في الناس من يسأل بصدق وإخلاص، يريد أن يأخذ دينه من الأكفاء،

---

(١) «سلسلة الهدىٰ والنور» (٧٨٤).

(٢) «لقاء الباب المفتوح» (٢٢٥).

(٣) «مرحبًا يا طالب العلم» ص (٣٣٧).

من أهل العلم والعقيدة الصحيحة والمنهج الصحيح، فهذا له أن يسأل.

وبعض الناس يسأل للفتن، في هذا الوقت كثير من الأسئلة، ما رأيك في فلان؟ ما رأيك في فلان؟ ما رأيك في منهج فلان؟

وليس قصده الاستفادة منه، أو الابتعاد عنه، وإنما قصده شيء آخر هو: الإشاعات، ونشر الفتن بين الناس! فهذه الأسئلة لا تجوز؛ لأنها للفتن، والأمور بمقاصدها.

وأما إذا كان السائل يريد الخير، ويريد أن يتعلم، ويأخذ دينه الصحيح، فيجب أن تدله علىٰ من يأخذ منه العلم» اهـ

وقال العلامة صالح الفوزان حفظه الله[1]: «في بعض الإخوان سامحهم الله يصير عندهم هوىٰ علىٰ أحد أو بغض لأحد من طلبة العلم أو من العلماء فيسألونك عن سؤال أنت تجيب عليه، هم يركِّبونه علىٰ ذلك الشخص وأنك تعنيه، ويقولون: قال فلان في فلان كذا وكذا، أنت ما طرأ عليك فلان ولا فلان ولا علان، أنت تجيب علىٰ سؤال فقط، هم يركِّبونه ويقولون: قصده فلانًا، قصده الطائفة الفلانية، ويدبلجون في الأشرطة ويؤلِّفون كتبا بأن فلانًا قال في فلان كذا، وأجاب عن كذا، وقصدهم بهذا الإفساد بين الناس والتحريش بين طلبة العلم وإيقاع العداوة بين طلبة العلم.

فنحن نحذركم ونعيذكم بالله من هذه الخصلة، أن لا تغتروا بها أو تنطلي عليكم، احذروا منها غاية الحذر» اهـ.

قلت: وقد رد هذا الأسلوب الشنيع وهذه الطريقة السمجة جميع علماء ومشايخ الدعوة السلفية في هذا العصر، كالعلامة عبد العزيز بن باز، والعلامة ابن عثيمين، والعلامة الوادعي، والعلامة صالح الفوزان،

---

(١) مقطع صوتي.

والعلامة العبّاد، والعلامة عبد العزيز آل الشيخ، والعلامة اللحيدان، والعلامة الغديان، والعلامة أحمد بن يحيىٰ النجمي، والعلامة زيد المدخلي، والعلامة صالح السحيمي، والعلامة محمد آدم الأتيوبي، والعلامة وصي الله عباس، وغيرهم، رحم الله الأموات منهم ومتع بالأحياء.

﴿٢٦﴾ طغيان الجرح والتعديل والرد علىٰ المخالفين علىٰ طلب العلم والدعوة إلىٰ الله مخالف لمنهج السلف

لا شك أن الجرح والتعديل مشروع بالكتاب والسنة و**إجماع** الأمة[(١)]، وإن اختلفت أسماؤه، فبعضهم يقول: لا نسميه جرحًا وتعديلًا وإنما هو نصيحة. والبعض يقول: لا نقول: جرحًا وتعديلًا بل أمر بالمعروف ونهي عن المنكر...، والخلاصة: أنه لولا علماء الجرح والتعديل لاختلط الحابل بالنابل والقابل بالدابر، وأصبح الحق باطلًا والباطل حقًا، لكن نقول: كل شيء زاد عن حدّه انقلب إلىٰ ضدّه، **فالجرح والتعديل كالملح للطعام إن زاد أفسد وإن قلّ أفسد،** ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

فالإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ له كتاب «المسند» خمسون مجلدًا، وأما في باب الردود فليس له إلا جزء يسير لطيف في الرد علىٰ الجهمية والزنادقة[(٢)]،

---

(١) أدلة الجرح والتعديل في القرآن الكريم كثيرة، من أشهرها: قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات:٦].
وأما أدلة السنّة علىٰ مشروعية الجرح والتعديل فهي كثيرة كذلك، من أشهرها في التعديل: قول النبي ﷺ: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ» متفق عليه: «البخاري» (١١٢٢)، «مسلم» (٢٤٧٩) عن حفصة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.
وفي الجرح: قول الرسول ﷺ: «بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ» متفق عليه: «البخاري» (٦٠٣٢)، «مسلم» (٢٥٩١) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.
وقد سرد شيخنا العلامة الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أدلة الجرح والتعديل الكثيرة المتكاثرة في كتبه، منها: «نشر الصحيفة» ص (٦٢-١٢٥)، و«المخرج من الفتنة» (ص:٢١-٢٦)، و«الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين»، وقد انعقد **الإجماع** علىٰ مشروعية هذا العلم العظيم، نقل **الإجماع** غير واحد، منهم: الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رياض الصالحين» باب: مَا يُباح من الغيبة ص (٤٣٢).

(٢) لا شك أن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ له كلام كثير في الرجال في كتب الجرح والتعديل، وهكذا الإمام البخاري، وفي صحيح البخاري وبقية كتب السنة أبواب في الرد علىٰ الخوارج، =

وهو إمام أهل السنة والجماعة، والإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ له «صحيح البخاري»، وله كتاب «خلق أفعال العباد»، وله «الأدب المفرد»، وله كتب كثيرة في العلم، وله جزء يسير لطيف في مسألة القراءة خلف الإمام، يردّ فيه علىٰ من يقول بعدم القراءة، وكتاب «رفع اليدين في الصلاة» رد فيه علىٰ الأحناف عند أن كرهوا رفع اليدين في الصلاة، هذا منهج السلف، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام:٩٠][(١)].

قال شيخنا العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «علىٰ أنني أنصحكم أن تقبلوا علىٰ العلم النافع، ولا تنشغلوا بالجرح والتعديل فإن هذا يشغلكم.

أقبلوا -حفظكم الله- علىٰ حفظ القرآن، وعلىٰ حفظ ما استطعتم من سنة رسول الله ﷺ، وعلىٰ تعلم اللغة العربية، وهكذا أيضًا دراسة العقيدة.

أقبلوا علىٰ العلم النافع أنفع لكم من الكلام في فلان وفلان؛ اللهم إلا إذا رأيت الناس يغترون بهذا الرجل، وهو ملبس مبتدع ضال؛ فلك أن تبين شيئًا من ضلاله بحسب ما تعلم».

والرد علىٰ المرجئة، والرد علىٰ الجهمية، وغيرهم من أهل البدع، وإنما القصد هنا أنهم لم يفردوا الردود في أجزاء مستقلة إلا الشيء اليسير، ولم ينشغلوا بكثرة الردود عن العلم الشرعي والدعوة إلىٰ الله.

(١) قال الشيخ عبد العزيز البرعي حفظه الله معلّقًا علىٰ هذه الفقرة: «ونتمنىٰ أن يتفرغ عالم للجرح والتعديل لرجال العصر علىٰ طريقة السلف الصالح ليخرج بمؤلَّف ينفع الله به في بابه» اهـ.

قلت: وأنا أتمنىٰ لو أن عالِمًا متخصصًا ورعًا تقيًا في هذا العصر يجمع في كتاب واحد جميع المجروحين المعاصرين، من أفراد، وأحزاب، وجماعات، ومواقع، وكتب، بالأدلة والبراهين، ويكون الكتاب نافعًا من جهتين: **الجهة الأولىٰ**: التحذير من أهل البدع والأهواء بعلم ودين وعقل. **والجهة الثانية**: إغلاق الباب أمام بعض الشباب السلفي المتهور في باب الردود والجرح والتعديل.

(٢) شريط «محاضرة وأسئلة هاتفية من إيرلندا».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «المبتدعة لا تهتموا بهم ويشغلوكم عن طلب العلم، تكفيهم لطمة علىٰ الطريق، إذا سجلت شريطًا أو في درس أو في غيرها وإلا ركضة أو نطحة أو غير ذلك، ولا تشغل نفسك بهم جزاك الله خيرًا.

نحن نُعِدُّك إلىٰ أن تكون مرجعًا للمسلمين، إلىٰ أن تكون مؤلفًا، إلىٰ أن تكون داعيًا إلىٰ الله، فهذه هي وظيفة الأنبياء، ما نُعِدُّك فقط للرد علىٰ الإخوان المسلمين وأصحاب جمعية الحكمة، ومَنْ أصحاب جمعية الحكمة؟! حتىٰ أننا نتشاغل بهم؟!».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «الذي أنصح به إخواننا بالجد والاجتهاد في تحصيل العلم النافع وألا يشغلوا أنفسهم بما لا يعنيهم، فهذا الاختلاف وهذه الفُرْقَة ناشئة عن فراغ، والشيخ الفلاني مصيب والشيخ الفلاني مخطئ! والشيخ فلان لا يؤخذ عنه العلم، والشيخ فلان كذا وكذا! فأنا أقول: يجب أن تحدثك نفسك أن تكون مثل الشيخ الفلاني أو أحسن».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «ننصح إخواننا بالإقبال الكلي علىٰ طلب العلم؛ فهذا الاختلاف الموجود... بين أهل العلم هو ناشئ عن فراغ، فما أسهل أن تحفظ لك كلمات (فلان حزبي) أو (فلان عميل) وترددها من هذا المجلس إلىٰ هذا المجلس!

أريد أن تبدأ بحفظ القرآن، وبحفظ ما استطعت من أحاديث رسول الله ﷺ، وهكذا اللغة العربية، فأنا أقول: إن هذا الصراع عندهم ناشئ عن فراغ أعجبهم هذا الكلام أم لم يعجبهم، فلو شغلتم أنفسكم بحفظ القرآن وبتحصيل العلم النافع لما وجدتم وقتًا لهذا الكلام».

(١) «تحفة المجيب» (ص:٣٣٢).
(٢) «غارة الأشرطة» (٢/ ١٠٣).
(٣) «غارة الأشرطة» (٢/ ٤١١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إنني أنصح طلبة العلم بالإقبال الكلي علىٰ طلب العلم وعدم الالتفات إلىٰ هذه الأمور التي ليست بضائرة، فلا تشغل نفسك بالتعصب لفلان ولا التعصب لفلان، بل أقبل علىٰ طلب العلم.

ففي ذات مرة كتب إلي أخ... وقال لي: إن الحزبية استفحلت عندنا فماذا أعمل؟ فنصحته وقلت له: أقبل إقبالًا كليًّا علىٰ طلب العلم ولا تلتفت إلىٰ هذه الأمور، وكان متألما من وضعهم ويريد أن يرد عليهم، فقلت له: لا تشغل نفسك بالردود عليهم فأنت طالب علم تحتاج إلىٰ التزود من العلم، وإذا شغلت نفسك في هذا؛ تُشغَلُ عن حفظ القرآن وعن تحصيل العلم النافع، فلا تشغل نفسك بهذا، وأقبل إقبالًا كليًّا علىٰ تحصيل العلم النافع».

وقال العلامة أحمد النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «إن المبالغة في هذه الأمور تخرج بطالب العلم عن نطاق الحق إلىٰ الجدل، وتضييع الوقت في الكلام الذي لا ينتج عنه فائدة، بل يكون الإنسان في حلقة مفرغة! فهذا لا ينبغي.

بل يجب علىٰ طالب العلم أن يستغل وقته في طاعة الله، وفي البحث عن العلم، وحضور الحلقات.

ولا بأس أن يسمع التحذير منهم من علماء أهل السنة وبيان صفاتهم حتىٰ يحذرهم، أما أننا جعلنا كل أوقاتنا في الكلام فيهم ولا ننشغل بطلب العلم الذي ينفعنا! فهذا لا شك خطأ كبير، وخطأ عظيم» اهـ.

---

(١) «غارة الأشرطة» (١/ ٧٤).

(٢) «الفتاوىٰ الجلية» (ص٢٧-٢٨).

﴿٢٧﴾ إتقان بعض المسائل العلمية ثم طرحها في المجالس ليقال: عالِم محرّر ومدقّق

ومن المظاهر المخزية وهي صورة من صور التعالم أنك ترىٰ بعض طلبة العلم يتقن مسألة من مسائل العلم الفرعية ويميتها[١] بحثًا ليلًا ونهارًا وربما يستمر في بحثها الزمن الطويل، ويحفظ الأقوال والردود والراجح والمرجوح في هذه المسألة ثم يفتح هذه المسألة في المجالس بطريقة أو بأخرىٰ حتىٰ يقال عنه: بحر لا ساحل له في العلم، وأنه من الباحثين المدققين المحررين المتحررين. فإن سألته عن مسألة في نفس الباب حار عن الجواب، بل لو سألته في أصول الدين وفي الكليات والقطعيات والثوابت لا يحسن جوابها.

قال الإمام ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «اعلموا إخواني أني فكرت في السبب الذي أخرج أقوامًا من السنة والجماعة واضطرهم إلىٰ البدعة والشناعة، وفتح باب البلية علىٰ أفئدتهم، وحجب نور الحق عن بصيرتهم، فوجدت ذلك من وجهين، أحدهما: البحث والتنقير وكثرة السؤال عما لا يعنيه ولا يضر العاقل جهله ولا ينفع المؤمن فهمه ... إلخ».

وقال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «احذر ما يتسلىٰ به المفلسون من العلم، يراجع مسألة أو مسألتين، فإذا كان في مجلس فيه من يشار إليه، أثار البحث فيهما، ليظهر علمه! وكم في هذا من سوءة، أقلها أن يعلم أن الناس

---

(١) قتَل الموضوعَ بحثًا: درسه من جميع جوانبه. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» (٣/ ١٧٧٤).

(٢) «الإبانة» (١/ ٣٩٠).

(٣) «حلية طالب العلم» (ص:١٩٨).

يعلمون حقيقته» اهـ.

وقال شيخنا الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «ولكن بعض طلبة العلم رضي بما عنده من العلم وأصبح يجادل به كل من خالفه.

وهذا سبب من أسباب الفُرْقَة والاختلاف، روىٰ الإمام الترمذي في جامعه[٢] عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًىٰ كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ»، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف:٥٨]».

وقال الشيخ عبد السلام بن برجس رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «... وقد بلينا في هذا الزمن بشرذمة قليلة ولله الحمد يقرؤون كتابًا أو كتابين، ويحفظون مسألة أو مسألتين، ثم بعد يوم أو يومين من أعمارهم في الطلب يصبحون مجتهدين، وليتهم يقتصرون علىٰ هذا الخيال الكاسد، بل يستصغرون غيرهم من العلماء، بل طلبة العلم والدعاة، ويرون لأنفسهم مكانًا عاليًا لا يصل إليه أحد، يظهر ذلك علىٰ ملابسهم، ومشيهم، وكلامهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ما أعظم ضررهم وأقلّ نفعهم، وأمتن جهلهم! نسأل الله تعالىٰ أن يهديهم سواء السبيل ...» اهـ.

---

(١) «الترجمة» (ص:٢٠١).

(٢) **صحيح** رواه «أحمد» (٢٢١٦٤)، و«الترمذي» (٣٢٥٣)، و«ابن ماجه» (٤٨)، و«الحاكم» (٣٦٧٤)، وحسنه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح الجامع» (٥٦٣٣)، وصححه شيخنا الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الجامع الصحيح» (٤٥٢٣).

(٣) «عوائق الطلب» (ص:٤٠).

(٢٨) العجلة في التصدر في فتاوىٰ النوازل، وفي الدعوة، والتأليف.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «فصل: فليسمع هذه النصيحة من يخاف علىٰ دينه، ويعرض علىٰ طلب الرئاسة في غير وقتها، فقد قال الحكماء: من تصدر وهو صغير فاته علم كثير» اهـ.

قلت: وفي القاعدة المتفق عليها في الجملة «من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه»، ومن منهج أهل السنة والجماعة «**التَّأهيل قبْل التَّشغيل**».

قال بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «فكم رأينا نِزالًا في حَلائِب العلم، مِن رَائِم للبُروز قبل أن ينضج، وتَزَبَّبَ قبل أن يَتَحَصْرَمَ» اهـ.

وقال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذا الصنف: «طار ولمّا يريش بعد»[(٣)].

---

(١) «تعظيم الفتيا» ص (١٣٠).

(٢) «التعالم» ص (٧).

(٣) «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١١)، وهي مقولة الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قبل الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٣٧٧).

(٢٩) زيغ بعض الدعاة بسبب الطمع وحب المال

لا شك أن النفوس قد جُبلت على حب المال، قال تعالىٰ: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر:٢٠]، وروىٰ البخاري ومسلم[(١)] من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَىٰ ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ».

وروىٰ البخاري ومسلم[(٢)] من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَكْبَرُ ابْنُ آدَمَ وَيَكْبَرُ مَعَهُ اثْنَانِ: حُبُّ المَالِ، وَطُولُ العُمُرِ».

وقد حذَّر النبي ﷺ أمتَّه من فتنة المال، فروىٰ البخاري ومسلم[(٣)] من حديث عمرو بن عوف ﷺ أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ لَا الفَقْرَ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخشَىٰ عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَىٰ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ».

لذلك تجد بعض الدعاة يضعف ضعفًا شديدًا أمام المال، فتجده في الدعوة والعبادة سنيًّا، وفي المعاملة المالية جنيًّا، يأخذ المال من حلّه وحرامه، **قال الألباني** رَحِمَهُٱللَّهُ[(٤)]: **«قد يكون الشخص سلفيًّا في عقيدته، ولكنَّه ليس سلفيًّا في تربيته وسلوكه»** ا هـ

فمن الدعاة من اتجه للتجارة وترك الدعوة، ومن الدعاة من اتجه للرقية وترك الدعوة، ومن الدعاة من اتجه للسياسة وترك الدعوة، ومن

---

(١) «البخاري» (٦٤٣٦)، «مسلم» (١٠٤٩).
(٢) «البخاري» (٦٤٢١)، «مسلم» (١٠٤٧).
(٣) «البخاري» (٣١٥٨)، «مسلم» (٢٩٦١).
(٤) «سلسلة الهدىٰ والنور» شريط رقم (٧٨١).

الدعاة من سافر إلىٰ بعض البلاد وترك الدعوة، ومن الدعاة من خطفته بعض الجماعات والأحزاب وترك الدعوة...

حقًا لقد فتن المال خلقًا كثيرًا، وهذا مصداق لقوله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ»(١).

ومن الأدلة علىٰ أن سبب زيغ كثير من الناس هو المال: قوله ﷺ: «آلْفَقْرَ تَخَافُونَ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُصَبَّنَّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا، حَتَّىٰ لاَ يُزِيغَ قَلْبَ أَحَدِكُمْ إِزَاغَةً إِلاَّ هِيَهْ...»(٢).

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «الْعَالِمُ طَبِيبُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَالْمَالُ الدَّاءُ، فَإِذَا كَانَ الطَّبِيبُ يَجُرُّ الدَّاءَ إِلَىٰ نَفْسِهِ كَيْفَ يُعَالِجُ غَيْرَهُ؟» اهـ.

قال ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الصنف من الدعاة:

يَا جَاعِلَ الْعِلْمِ لَهُ بَازِيًّا ... يَصْطَادُ أَمْوَالَ الْمَسَاكِينِ
احْتَلْتَ لِلدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا ... بِحِيلَةٍ تَذْهَبُ بِالدِّينِ
فَصِرْتَ مَجْنُونًا بِهَا بَعْدَمَا ... كُنْتَ دَوَاءً لِلْمَجَانِينِ
أَيْنَ رِوَايَاتُكَ فِيمَا مَضَىٰ ... عَنِ ابْنِ عَوْنٍ وَابْنِ سِيرِينِ
وَدَرْسُكَ الْعِلْمَ بِآثَارِهِ ... وَتَرْكُكَ أَبْوَابَ السَّلَاطِينِ
تَقُولُ أُكْرِهْتُ فَمَاذَا كَذَا ... زَلَّ حِمَارُ الْعِلْمِ فِي الطِّينِ(٤)

---

(١) صحيح رواه «الترمذي» (٢٣٣٦) عن كعب بن عياض رضي الله عنه، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٥٩٢)، وحسنه شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١٠٩٣).

(٢) حسن رواه «ابن ماجه» (٥) عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٦٨٨).

(٣) «حلية الأولياء» (٦/ ٣٦١)، «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٤٣)، «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٥٢)، «تاريخ الإسلام» (١٠/ ٢٣٣).

(٤) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٦٣٧)، «سير أعلام النبلاء» (٩/ ١١٠).

فالواجب على الدعاة وطلاب العلم الصبر على الفقر، لذلك كان يكرر الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب «أضواء البيان» هذا البيت:

الْجُوعُ يُطْرَدُ بِالرَّغِيفِ الْيَابِسِ فَعَلَامَ تَكْثُرُ حَسْرَتِي وَوَسَاوِسِي

وهذه سنة الله في الدعاة وطلاب العلم أن الله اختار لأكثرهم الفقر، حتى قال أحدهم:

قلتُ للفقر: أين أنت مُقيم؟ قال لي: في عمائم الفقهاءِ
إنَّ بيني وبينهم لإخاءً وعزيزٌ عليَّ تركُ الإخاءِ!

وقال آخر: الفرق بين الفقيه والفقير:

إن الفقيه هو الفقير وإنما راء الفقير تجمعت أطرافها

وقد فضّل ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الماتع العظيم «مفتاح دار السعادة» العلم على المال من خمسين وجهًا.

فوصيتي للدعاة هي وصية النبي ﷺلنا جميعًا: «...وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ...»[1].

قال الشاعر:

رَضِينَا قِسْمَةَ الْجَبَّارِ فِينَا لَنَا عِلْمٌ وَلِلْجُهَّالِ مَالُ
فَكَنْزُ الْمَالِ يَفْنَى عَنْ قَرِيبٍ وَكَنْزُ الْعِلْمِ بَاقٍ لَا يَزَالُ

(١) حسن رواه «أحمد» (٨٠٩٥)، و«الترمذي» (٢٣٠٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٩٣٠)، و«صحيح الجامع» (١٠٠).

٣٠ غياب القدوة أحيانًا، خاصة في باب السلوك ومكارم الأخلاق

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «من أصول أهل السنة والجماعة الدعوة إلىٰ مكارم الأخلاق».

لذلك أمر الله نبيه ﷺ أن يقتدي بالأنبياء وهم أكمل الناس أخلاقًا، حيث قال سبحانه: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام:٩٠].

وأمرنا أن نقتدي به ﷺ وهو أكمل الناس أخلاقًا، حيث قال: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب:٢١].

وقال الله عن أخلاق نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم:٤].

والعلماء والدعاة هم ورثة الأنبياء في العلم والأخلاق، فينبغي أن يكون الداعية طليق الوجه، حليمًا صبورًا كريمًا، ملازمًا للورع والتواضع والوقار وجميع مكارم الأخلاق ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلًا، وأن يتجنب ما يذهب المروءة ويزيل الهيبة؛ مثل كثرة الضحك والمزاح، وأن يحافظ علىٰ مظهره الخارجي وغير ذلك[٢].

قال شيخنا الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «حسن الخلق وحسن المعاملة الطيبة، ربما تكون أبلغ وأبلغ من ألف موعظة» اهـ.

---

(١) «العقيدة الواسطية» ص (١٢٩).

(٢) للاستزادة في هذا الموضوع انظر كتاب: «أخلاق العلماء» للآجري.

(٣) شريط «أسئلة من لندن».

٣١ العنصرية في بعض الدعاة إما بالحسب أو النسب أو البلد، أو الغنىٰ أو الفقر

اعلم رحمني الله وإياك أن ميزان التفاضل بين الناس ومقياس الكرامة عند الله تعالىٰ هو التقوىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣].

فقد ذكرت هذه الآية ثلاثة أشياء: المساواة، وتعارف المجتمع الإنساني، وحصر التفاضل بالتقوىٰ والعمل الصالح.

والمراد بالمساواة بين الناس: المساواة في الأصل والمنشأ، فهم جميعًا من أب واحد وأم واحدة.

أما اختلاف الألسنة والألوان والمواهب والطباع والاستعدادات والغنىٰ والفقر فهذه الأشياء لا ينبغي أن تكون مدعاة للتفاخر والتعاظم علىٰ الآخرين، فالأكرم عند الله الأتقىٰ والأصلح في نفسه وللأمة المسلمة، قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»(١).

وقد حارب ﷺ هذه الأخلاق النازلة الدنيئة فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلَانِ: بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَىٰ اللهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَىٰ اللهِ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَخَلَقَ اللهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ» قَالَ اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣](٢).

---

(١) رواه «مسلم» (٢٥٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) **صحيح** رواه «الترمذي» (٣٢٧٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٧٨٦٧)، وصححه شيخنا الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٧٨٩).

والحاصل أن أساس التفاضل في الإسلام هو تقوىٰ الله تعالىٰ، ولكن من ضعف دينه لا يحكم بميزان الشرع وإنما بالعادات والتقاليد والأعراف والأهواء.

فالغني منهم يحتقر الفقير، وصاحب النسب يحتقر وضيع النسب، والأبيض يحتقر الأسود، والعربي يحتقر العجمي وهكذا، وإن كان المحتقَر أفضل منهم علمًا وتقىٰ ودعوة ونفعًا للأمة في بلاده، لكن هذا ميزان عامة الناس وليس ميزان أهل العلم والتقوىٰ.

قال العلماء: العِلْم رَحِمٌ بين أهله، وَصلةُ خيرٍ بين أصحابه وحَمَلَته.

وقال بعض العلماء: العوام ينسبون بالأولاد، والأغنياء بالأموال، والعلماء بالعلم[(١)].

فكم من العلماء العظماء من الموالي والأعاجم[(٢)]، فقانون العلم والتقوىٰ فوق كل القوانين، قال تعالىٰ: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ [المجادلة:١١].

وقال ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»[(٣)].

---

(١) «النكت في المسائل المختلف فيها بين الشافعي وأبي حنيفة» ص (٢٨).

(٢) وانظر لمزيد الفائدة: «فتح المغيث» للسخاوي (٤/ ٣٩٣-٣٩٩)، فقد ذكر بابًا مستقلًا في هذه المسألة بعنوان: «**الْمَوَالِي مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالرُّوَاةِ**».

(٣) رواه «مسلم» (٨١٧) عن عمر رضي الله عنه.

(٣٢) الاهتمام بالمظهر أكثر من المخبر خلل في التربية

خلقَ الله الإنسان في أحسن تقويم، كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين:٤]، وأنعم عليه بالمظهَر الجميل، والمخبَر السويِّ الجَليل، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار:٦-٨].

واكتِمالُ جمالِ الإنسان بصَلاحِ المخبَر الذي يُبرِزُ حُسنَ المظهَر، ونقاءِ الجَوهَر الذي يُثمِرُ طِيبَ المنظَر.

ولئِن كان المظهَرُ هو محلَّ اهتِمامِ الخلقِ ومُنتهَىٰ إدراكِهم، فإن المخبَرَ هو محلُّ نظر الله تعالىٰ، فينبغي الاهتمام به أكثر.

قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»[(١)].

وقال ﷺ: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ»[(٢)].

فينبغي علىٰ الداعية والمربي أن يهتم بالمخبر أكثر من المظهر فيربي طلابه، وقبل ذلك نفسه علىٰ الإخلاص والورع والخشية والخوف من الله والتواضع والمراقبة وجميع أعمال القلوب.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ[(٣)]: «**اعلم أن الجمال ينقسم قسمين: ظاهر، وباطن**، فالجمال الباطن هو المحبوب لذاته، وهو جمال العلم والعقل والجود والعفة والشجاعة، وهذا الجمال الباطن هو محل نظر الله من عبده

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) متفق عليه، «البخاري» (٥٢)، «مسلم» (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) «روضة المحبين» (ص:٢٢١).

وموضع محبته كما في الحديث الصحيح «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»، وهذا الجمال الباطن يزين الصورة الظاهرة وإن لم تكن ذات جمال، فتكسوا صاحبها من الجمال والمهابة والحلاوة بحسب ما اكتست روحه من تلك الصفات، فإن المؤمن يعطىٰ مهابة وحلاوة بحسب إيمانه، فمن رآه هابه، ومن خالطه أحبه، وهذا أمر مشهود بالعيان، فإنك ترىٰ الرجل الصالح المحسن ذا الأخلاق الجميلة من أحلىٰ الناس صورة وإن كان أسود أو غير جميل، ولا سيما إذا رزق حظًّا من صلاة الليل فإنها تنور الوجه وتحسنه.

وقد كان بعض النساء تكثر صلاة الليل، فقيل لها في ذلك، فقالت: إنها تحسن الوجه، وأنا أحب أن يحسن وجهي. ومما يدل علىٰ أن الجمال الباطن أحسن من الظاهر: أن القلوب لا تنفك عن تعظيم صاحبه ومحبته والميل إليه» اهـ.

٣٣ الاستدلال بأخطاء العلماء علىٰ صحة مذهبه الخاطئ

العلماء والدعاة ليسوا بمعصومين من الخطأ، فكل ابن آدم خطاء، لكن من العيب الكبير أن تجد بعض الدعاة يخطئ في بعض المسائل المنصوص عليها، أو المُجْمَع عليها، أو الخلاف فيها ضعيف جدًا، فإذا أُحْرِجَ بَحَثَ عن أخطاء بعض العلماء التي توافقه علىٰ خطئه ويستدل بها علىٰ صحة قوله، فيقول: إن فلانًا من العلماء قال بهذا القول... وهكذا، فنقول له: أقوال العلماء يُحتَجُّ لها بالأدلة ولا يُحتَجُّ بها كالأدلة، ويستدل لها ولا يستدل بها، فالعالِم دليل إلىٰ الدليل، وليس قوله دليلًا مستقلًا عن الدليل.

فيا عجبًا من دعاة تقول لهم: قال الله، قال رسوله ﷺ. فيقول لك: لكن قال فلان وفلان[(١)].

قال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ[(٢)]: «ليس الاختلاف حُجّة، وبيان السُّنة حجة علىٰ

---

(١) **فائدة**: أثر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ وتقولون: قال أبو بكر وعمر). **(لا أصل له بهذا اللفظ)**، والذي صحَّ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هو ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣١٢١)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٢٣٩-٢٤٠)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» أن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (أراهم سيهلكون، أقول: قال النبي ﷺ ، ويقولون: قال أبو بكر وعمر) صححه العلامة أحمد شاكر في تحقيق «المسند» (٣١٢١).

وجاء بلفظ: (والله ما أراكم منتهين حتىٰ يعذبكم الله، أحدثكم عن رسول الله ﷺ وتحدثونا عن أبي بكر وعمر). صححه محققا «زاد المعاد» (٢/ ٢٠٦) شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط.

انظر كتابي: «إسعاف الأخيار بما اشتهر ولم يصح من الأحاديث والآثار والقصص والأشعار» (٢/ ٢٦٣).

(٢) «أعلام الحديث» (٣/ ٢٠٩٢).

المختلفين من الأولين والآخرين».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «وليس لأحد أن يحتج بقول أحد في مسائل النزاع وإنما الحجة النص والإجماع، ودليل مستنبط من ذلك تقرر مقدماته بالأدلة الشرعية لا بأقوال بعض العلماء؛ فإن أقوال العلماء يحتج لها بالأدلة الشرعية لا يحتج بها علىٰ الأدلة الشرعية» اهـ

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «ولسنا ممن يعرف الحق بالرجال وإنما ممن يعرف الرجال بالحق، ولسنا ممن يعرض الحق علىٰ آراء الخلق فما وافقه منها قبله وما خالفه رده! وإنما نحن ممن يعرض آراء الرجال وأقوالها علىٰ الدليل فما وافقه منها اعتد به وقبله وما خالفه خالفه».

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)]: «أما أن نقعد قاعدة ونقول هذا هو الأصل، ثم تُرَدُّ السنة لأجل مخالفة تلك القاعدة!! فلعمر الله، لهدم ألف قاعدة لم يؤصلها الله ورسوله أفرض علينا من رَدِّ حديث واحد» اهـ.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٦/ ٢٠٢).
ولمزيد الفائدة انظر كتاب «الاحتجاج بالخلاف حقيقته وحكمه» للدكتور أسامة بن محمد الشيبان.

(٢) «الفروسية» (ص:٤١).

(٣) «إعلام الموقعين» (٢/ ٣٦٨).

٣٤ ضعف التحاكم للكتاب والسنة عند الخلاف

إن مما يتضمنه الإيمان بالله ورسوله وجوب الرجوع عند النزاع إلىٰ الله ورسوله، قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [النساء:٥٩].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾ نكرة في سياق الشرط تعم كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين دقه وجله، جليه وخفيه، ولو لم يكن في كتاب الله وسنة رسوله بيان حكم ما تنازعوا فيه، ولم يكن كافيًا لم يأمر بالرد إليه إذ من الممتنع أن يأمر تعالىٰ بالرد عند النزاع إلىٰ من لا يوجد عنده فصل النزاع، وقد أجمع الناس أن الرد إلىٰ الله جلّ جلاله هو الرد إلىٰ كتابه، والرد إلىٰ الرسول ﷺهو الرد إليه نفسه في حياته وإلىٰ سنته بعد موته» اهـ.

فالواجب علىٰ الدعاة قبل غيرهم إذا دبَّ خلاف ونزاع بينهم أن يبادروا في سرعة البرق إلىٰ التحاكم إلىٰ كتاب الله وسنة النبي ﷺ؛ لأنهم قدوة للآخرين، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [النساء:٨٣].

فإذا ظهر الحقُّ بأدلته لفلان لزم الآخر الانصياع والإذعان لحكم الله ورسوله، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب:٣٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا

---

(١) «إعلام الموقعين» (١/ ٣٩).
(٢) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٤٢٣).

حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحدٍ مخالفته، ولا اختيار لأحد هاهنا، ولا رأي ولا قول، كما قال تبارك وتعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]، ولهذا شدد في خلاف ذلك، فقال: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦]، كقوله تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]: «أي: عن أمر رسول الله ﷺ، وسبيله ومنهاجه وطريقته وسنته، وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبل، وما خالفه فهو مردود علىٰ قائله وفاعله كائنًا من كان»(١).

وإن تعجب فاعجب والأعاجب جمّة من بعض الدعاة إلىٰ الله الذين يدعون القريب والبعيد، والصغير والكبير، والرجل والمرأة، والغني والفقير، والحاكم والمحكوم، إلىٰ التحاكم إلىٰ الكتاب والسنة في خطبهم، ومحاضراتهم، ودروسهم، وكتبهم، فإذا اختلف هو مع بعض الدعاة تجده في حقيقة الأمر من أبعد الناس عن التحاكم للكتاب والسنة في هذه المسألة، وصدق الله القائل: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [النور:٤٨-٤٩].

فإذا دُعي إلىٰ التحاكم للشرع يحيص ويميص، ويلف ويدور، ويحلف الأيمان المغلظة أن خصمه كذاب ومراوغ ولن يقبل بحكم الشرع ويستمر النزاع والخلاف بينهم ويذهب كلٌّ في طريق، وما رأيت خلافًا بدأ

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٨٢).

في الدعوة والتآم أبدًا إلا أن يشاء الله، ثم تكون مآلات هذا الخلاف أن يسقط بعضهم في وحل المعاصي والتحزبات والبدع والخرافات وفي أحضان الجماعات الذين يقولون له كما قال ملك غسان لكعب ﷺ حين هجره النبي ﷺ: «الحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ»(١).

والخلاصة: أن الدعاة المختلفين:

١- لم يجلسوا مع بعضهم البعض ويناقشوا المسائل المختلف فيها بروح الأخوة، ويردّوا المسائل المختلف فيها بكل تجرّد للكتاب والسنة بفهم السلف الصالح.

٢- لم يحتكموا لكبار الدعاة في بلادهم، ويرضوا بحكمهم ويكون فيصلًا للنزاع وإطفاء للفتنة، وللأسف أنك تجد العامة تحتكم للدعاة في مسائل كبيرة ويرضون بحكمهم ويسلمون تسليمًا، وبعض الدعاة للأسف لم يفعلوا كما فعل العامة، فكلٌّ يرىٰ نفسه أكبر من الآخر، والله يقول لنبيه داود عليه السلام وهو نبي: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ [ص:٢٦].

٣- لم يرفعوا المسائل التي اختلفوا فيها إلىٰ أكبر عالم من أهل السنة في بلدهم، فإن لم يكن فيرفعوا قضيتهم إلىٰ أكبر عالم سنة علىٰ وجه الأرض ثم يقبلوا بحكمه، وهذا سهل وميسر في هذا الزمان ولله الحمد.

٤- في بعض الأحيان يحل مشاكل الدعاة والمعلمين والخطباء والناصحين بعض الوجهاء أو مشايخ القبائل.

٥- في بعض الأحيان تصل مشاكل الدعاة إلىٰ أقسام الشرطة وتحل هناك.

٦- قد تصل بعض مشاكل الدعاة أحيانًا إلىٰ المحاكم والقضاء، ويشمت بنا الأعداء في كل ما تقدم؛ لأنهم لم يستجيبوا لصوت الحق ونداء السماء.

---

(١) متفق عليه، «البخاري» (٤٤١٨)، «مسلم» (٢٧٦٩).

٧- بعض الدعاة يدعو خصمه للمباهلة علىٰ مسائل خلافية فرعية، والمباهلة لا تكون إلا في مسائل العقيدة، أو القضايا الخطيرة الهامة، وتستعمل في أضيق الأحوال وليس في كل حال[(١)].

وأخيرًا: أجدني أصرخ صرخة ملحة من أعماق قلبي إلىٰ إيجاد علماء عقلاء حكماء منصفين يقومون بدور الوساطة بين المختلفين والمتخاصمين من دعاة الحق والتوحيد والسنة في أنحاء العالم، وأن يتولىٰ ذلك في كل بلد أناس علىٰ درجة عالية من الوعي والفهم والإدراك والحكمة والخبرة والعلم والحلم، يعتمدون مع المختلفين لغة الحوار والإقناع والتعقل، كل ذلك مدعومًا بلغة العلم والدليل، ويكون هدفهم تقديم مصلحة الدعوة علىٰ مصلحة الداعية، ورأب الصدع، وتصفية النفوس بين الدعاة والعلماء، وترتيب البيت السلفي وترميمه.

---

(١) هذا هو **الراجح** من أقوال أهل العلم أن المباهلة تكون في القضايا المتعلقة بالعقيدة خاصة، أو المسائل الهامة جدًا، كالخصام مع الملحدين والكفرة والمبطلين، ولا تكون في النزاعات المالية أو العلمية؛ لأن المباهلة تتضمن اللعن والإبعاد والطرد من رحمة الله عزّ وجلّ، ولا ينبغي أن يقع ذلك من مسلمين بسبب خلافٍ مالي أو نحوه.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ **في فوائد قصة أهل نجران:** «وفيها مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة، وقد دعا ابن عباس إلىٰ ذلك، ثم الأوزاعي، ووقع ذلك لجماعة من العلماء» «فتح الباري» (٨/ ٩٥).

وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «لا يجوز سحب هذه الواقعة (المباهلة) أو هذا الحكم الشرعي إلىٰ الأمور المادية **لسببين اثنين:**

أولًا: لأن القصة جاءت في الأمور العقدية كما يقولون اليوم.

وثانيًا: الأمور المادية جعل لها الإسلام نظامًا وقاعدة فقال: (البينة علىٰ المدعي و اليمين علىٰ ما أنكر) فتحل هذه القضية المادية بهذه القاعدة الشرعية فلم يبق هناك مجال للجوء إلىٰ المباهلة التي شرعها الله» اهـ «سلسلة الهدىٰ والنور» شريط رقم (٧٠٣).

وقريب من تفصيل الشيخ الألباني قال الشيخ ابن عثيمين رحمة الله علىٰ الجميع.

الفصل الثاني

ضعف العلم عند الداعية يسبب زغلًا كثيرًا في الدعوة

أذكر منه ما يلي:

(٣٥) قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنصاف المتعلمين هم منشأ الشر والفتن في الدعوة.

إن الناظر في الخلافات والصراعات الدعوية يجد أكثر من يشعلها بعض طلاب العلم كما ذكر ذلك الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «البدر الطالع»، حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمة علي بن قاسم حنش(١): «ومن محاسن كلامه الذي سمعته منه: **الناس علىٰ طبقات ثلاث:**

فالطبقة العالية: العلماء الأكابر، وهم يعرفون الحق والباطل، وإن اختلفوا لم ينشأ عن اختلافهم الفتن؛ لعلمهم بما عند بعضهم بعضًا.

والطبقة السافلة: عامة علىٰ الفطرة، لا ينفرون عن الحق، وهم أتباع من يقتدون به، إن كان محقًّا كانوا مثله، وإن كان مبطلًا كانوا كذلك.

والطبقة المتوسطة: هي منشأ الشر، وأصل الفتن الناشئة في الدِّين، وهم الذين لم يمعنوا في العلم حتىٰ يرتقوا إلىٰ رتبة الطبقة الأولىٰ، ولا تركوه حتىٰ يكونوا من أهل الطبقة السافلة، فإنهم إذا رأوا أحدًا من أهل الطبقة العليا يقول مالا يعرفونه مما يخالف عقائدهم التي أوقعهم فيها القصور فوقوا إليه سهام الترقيع، ونسبوه إلىٰ كل قول شنيع، وغيروا فطر أهل الطبقة السفلىٰ عن قبول الحق بتمويهات باطلة، فعند ذلك تقوم الفتن الدينية علىٰ ساق» اهـ

وقال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أفضل الأشياء التزيد من العلم، فإنه من اقتصر علىٰ ما يعلمه، فظنه كافيًا؛ استبد برأيه» اهـ

---

(١) «البدر الطالع» ترجمة علي بن قاسم حنش (١/ ٤٧٢-٤٧٣).
(٢) «صيد الخاطر» (ص: ١٢٧).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «وقد قيل: إنما يفسد الناس أربعة -وذكر منهم-: نصف فقيه» اهـ.

وقال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «احذر أن تكون «أبا شبر»، فقد قيل: العلم ثلاثة أشبار، من دخل في الشبر الأول تكبّر، ومن دخل في الشبر الثاني تواضع، ومن دخل في الشبر الثالث علم أنه ما يعلم» اهـ.

وقال العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «ينبغي لنا جميعًا ألا نمكّن الفوضويين من الدعوة؛ فإنهم سيحطمون الجماعة وستذكرون».

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ(٤): «أنصح القائمين علىٰ الدعوة ألا يتسرعوا وألا يستفزهم الطائشون، فالطائشون سبب لضرب الدعوات» اهـ.

قلت: لكن لا ينسحب ويعمم كلام العلماء علىٰ جميع طلاب العلم في أصقاع(٥) المعمورة، فهناك كوكبة كبيرة من الدعاة وطلاب العلم أهل عقل وحلم وأدب ودِين، هم سفراء العلماء، يصلحون في الأرض ولا يفسدون، فهؤلاء لهم كل التقدير والإجلال والاحترام.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ١١٨)، «الرد علىٰ البكري» (٢/ ٧٣٠).
ولمزيد الفائدة انظر «الاعتصام» للشاطبي (٢/ ٦-٧) عند قوله تعالىٰ: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ﴾ [آل عمران:٧].

(٢) «حلية طالب العلم» (ص:١٩٨)، وانظر: «تذكرة السامع والمتكلم» (ص:٦٥).

(٣) «السير الحثيث شرح اختصار علوم الحديث» (ص:٤٣٨).

(٤) «غارة الأشرطة» (١/ ٣٠٥).

(٥) قال ابن منظور رحمه الله في «لسان العرب»: «كلُّ مَا يُذْكَرُ فِي تَرْجَمَةِ صَقَعَ بالصَّادِّ فَالسِّينُ فِيهِ لُغَةٌ. قَالَ الْخَلِيلُ: كلُّ صَادٍ تَجِيءُ قَبْلَ الْقَافِ، وكلُّ سِينٍ تَجِيءُ قَبْلَ الْقَافِ، فَلِلْعَرَبِ فِيهِ لُغَتَانِ» اهـ

٣٦ عدم توفر بعض شروط الدعوة في الداعية يسبب خللًا في الدعوة

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ[(١)]: «لا يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث:

١- رفيق بما يأمر رفيق بما ينهىٰ،

٢- عدل بما يأمر عدل بما ينهىٰ،

٣- عالم بما يأمر عالم بما ينهىٰ» اهـ

لا شك أن الأصل في الدعوة هو الرفق، والأدلة علىٰ ذلك كثيرة متكاثرة، وكذلك العدل في الدعوة إلىٰ الله واجب من الواجبات، ولا تتحقق هذه الأمور إلا بالعلم، لذلك لا ينبغي للداعية أن يبادر إلىٰ إنكار ما يراه منكرًا حسب علمه القاصر حتىٰ يتحقق من عدم وجود الخلاف السائغ والمعتبر فيه، وحتىٰ لا يحصل ظلم وجور وعدم عدل، هذا هو الأصل، خاصة في المسائل التي قد يحصل بسببها خلاف وشر.

والمنكرات قسمان:

القسم الأول: المنكرات الظاهرة التي يعلمها العالِم والجاهل، والخاص والعام، كترك الصلاة والصيام والزكاة، وكالكذب، والظلم، والغش، والخيانة، والزنا، وشرب الخمر، وأكل حقوق الناس، فهذه المنكرات ينبغي لكل مسلم أن ينكرها بالأساليب المرعية والطرق الشرعية، فكل الناس علماء بها.

القسم الثاني: المنكرات التي في حكمها شيء من الخفاء، أو اختلف

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٦/ ٣٧٩)، «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٥٦)، «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» للخلال ص (٢٤)، «لوامع الأنوار» للسَّفَّارينيِّ (٢/ ٤٢٩-٤٣٠).

فيها العلماء المجتهدون، فهذه المنكرات لا يتكلم فيها إلا العلماء ومن عرف حكمها جيدًا من طلاب العلم الشرعي، بالأساليب المرعية والطرق الشرعية كما تقدم.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «إنما يأمر وينهىٰ من كان عالمًا بما يأمر به وينهىٰ عنه، وذلك يختلف باختلاف الشيء، فإن كان من الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة، كالصلاة، والصيام، والزنا، والخمر، ونحوها، فكل المسلمين علماء بها.

وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال، ومما يتعلق بالاجتهاد، لم يكن للعوام مدخل فيه، ولا لهم إنكاره، بل ذلك للعلماء.

ثم العلماء إنما ينكرون ما أجمع عليه، أما المختلف فيه فلا إنكار فيه» اهـ

وليس من الحكمة أن يتعجل الداعية في الإنكار لمجرد قول عالِم سمعه أو قرأه قبل هضم المسألة، فقد يكون في المسألة خلاف بين العلماء، وهناك أدلة أخرىٰ لا يعلمها، وقد يكون الصواب هو القول الآخر الذي لا يعلمه الداعية الآن.

والله عزّ وجلّ يقول: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء:٣٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «إذا كانت الدعوة إلىٰ الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلىٰ أقصىٰ حد يصل إليه السعي» اهـ

وإذا لم يلتزم الداعية بهذا وتكلم فيما لا يعلمه فإنه سيفسد وهو يظن

---

(١) «شرح مسلم» (٢/ ٢٣).
(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٥٤).

أنه من المصلحين، ويتسبب في نزاعات وخصومات بين المسلمين، **ولذلك قال عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «من عمل بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح» اهـ.

---

(١) «الزهد» للإمام أحمد ص (٢٤٤).

٣٧ عدم الحكمة في الدعوة

قال تعالىٰ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل:١٢٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «الحكمة: فعل ما ينبغي، علىٰ الوجه الَّذي ينبغي، في الوقت الَّذي ينبغي».

زاد ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «والمكان الَّذي ينبغي».

ثم قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا**: «والله تعالىٰ أورث الحكمة آدم وبنيه، فالرجل الكامل من له إرث كامل من أبيه، ونصف الرجل -كالمرأة- له نصف ميراث، والتفاوت في ذلك لا يحصيه إلا الله تعالىٰ، فكل نظام الوجود مرتبط بهذه الصفة، أي: صفة الحكمة، وكل خلل في الوجود وفي العبد فسببه الإخلال بها، فأكمل الناس أوفرهم نصيبًا، وأنقصهم وأبعدهم عن الكمال أقلهم منها ميراثًا، ولها ثلاثة أركان: العلم، والحلم، والأناة، وآفاتها وأضدادها: الجهل، والطيش، والعجلة، فلا حكمة لجاهل، ولا طائش، ولا عجول، والله أعلم» اهـ

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: « ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ أي: كل أحد علىٰ حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده.

ومن الحكمة: الدعوة بالعلم لا بالجهل، والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلىٰ الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٤٤٩).

(٢) «فتاوىٰ نور علىٰ الدرب» (١٢/ ٢٢٤و٢٢٧و٢٣٨)، «شرح العقيدة السَّفَّارينيَّة» ص (٨١)، «اللقاء الشهري» رقم (٤٠).

(٣) «تفسير السعدي» (ص:٤٥٢).

انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب» اهـ

فالداعي إلىٰ الله كقائد السفينة الحكيم، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴾ [آل عمران:٧٩]، والرباني مأخوذ من ربان السفينة وهو القائد الحكيم الخبير الذي يقود السفينة في خضم الأمواج المتلاطمة والرياح العاصفة والأخطار المتلاحقة ويخرج بها إلىٰ بر الأمان، فينجو هو والسفينة والركاب والبضائع المحملة وأموال الناس، والفضل في هذا لله ثم بحكمته وخبرته، والله عزّ وجلّ يريد من الداعية أن يكون هكذا[١].

(١) يفسر البعض الرباني فيقول: هو الذي يُعَلِّم صغار العلم قبل كباره. وهذا التفسير صحيح لكنه يدخل في التفسير العام الذي ذكرناه، وهناك تفسير آخر للرباني، وهو العالِم الذي جمع بين العلم والعمل. وهناك أقوال أخرىٰ انظرها في «مفتاح دار السعادة» لابن القيم (١/ ١٢٥-١٢٦).

(٣٨) ضعف الخبرة والبصيرة في الدعوة إلىٰ الله

قلة خبرة بعض الدعاة وضعف بصيرتهم في الدعوة سببت أخطاء فادحة في الدعوة، لذلك لا بد للداعية من البصيرة في الدعوة.

قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨].

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «**علىٰ بصيرة في ثلاثة أمور:**

الأول: علىٰ بصيرة فيما يدعو إليه، بأن يكون عالمـًا بالحكم الشرعي فيما يدعو إليه؛ لأنه قد يدعو إلىٰ شيء يظنه واجبـًا، وهو في شرع الله غير واجب فيلزم عباد الله بما لم يلزمهم الله به، وقد يدعو إلىٰ ترك شيء يظنه محرّمـًا، وهو في دين الله غير محرّم، فيحرّم علىٰ عباد الله ما أحلّه الله لهم.

الثَّاني: علىٰ بصيرة في حال المدعو، قال ﷺ لمعاذ رضي الله عنه لما بعثه إلىٰ اليمن: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَىٰ قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ»(٢).

الثَّالث: علىٰ بصيرة في كيفية الدَّعوة» اهـ

أي: بصيرة بوسائل الدعوة وكيفيتها.

---

(١) «شرح دعاء قنوت الوتر» ص (٦)، «مجموع فتاوىٰ ورسائل العثيمين» (١٤/ ١٥١)، كتاب «العلم» ص (١٦٩)، «شرح الثلاثة الأصول» ص (٢٢)، «زاد الداعية إلىٰ الله» ص (١٢).

(٢) متفق عليه، «البخاري» (١٤٥٨)، «مسلم» (١٩).

فمن البصيرة مراعاة حال المدعوين، إذ ليس من الحكمة استخدام أسلوب واحد في الدعوة مع الكبير والصغير، والرجل والمرأة، والمتعلم والجاهل، والرئيس والمرؤوس، والهادئ والغضوب، بل لا بد من تنويع أسلوب المخاطبة كل بما يناسبه.

إن الداعية الناجح هو الذي يعطي كل إنسان ما يلزمه من أفكار سليمة وتوجيهات كريمة، ويحاول أن يقنعه بالأسلوب الذي يناسبه، ويناسب مداركه وثقافته ومكانته.

٣٩ عدم التدرج في الدعوة وتقديم الأولويات

إن التدرج في الدعوة إلىٰ الله منهج الأنبياء والمرسلين، ويعتبر من أهم الخصائص التي تيسِّر قَبول دين الإسلام، وتحمُّل تكاليفه، وتطبيقه في الواقع بيسر وسهولة، ومعنىٰ التدرج في الدعوة إلىٰ الله التقدم خطوة خطوة، والبَدْء بالأهم فالمهم؛ للترقي بالناس المدعوِّين إلىٰ أعلىٰ المراتب، فكما يقال: من أراد الوصول إلىٰ السطح فليصعد من الدرجة الأولىٰ والدور الأول.

وكما يقال: طعام الكبار سم الصغار.

ومن معاني الرباني في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩]، **الرباني**: هو الذي يعلِّم صغار العلم قبل كباره.

ومن أهم دعائم التدرُّج هو علم هذه الأولويات، حتىٰ يتسنىٰ للداعية أنْ يعلم من أين يبدأ، وما هو الشيء الذي يجب أنْ يبدأ به قبل غيره، فلا يكفي أنْ يكون الداعية عالمـًا بأحكام الدين، حافظًا لها، بل يجب عليه كذلك أنْ يكون ملمًّا بواقع المجتمع الذي يعيش فيه، ويدرس ما فيه من طبائع وصفات، ويشخِّص ما فيه من علل وأمراض، حتىٰ يتمكن من علاجها، فالحكم علىٰ الشيء فرع عن تصوره، و«مَا أَنْزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ»[1].

ومن الأحاديث الدالة علىٰ التدرج في الدعوة ما قاله ﷺ لمعاذ ﷺ حين

---

(١) **صحيح** رواه «أحمد» (٣٩٢٢)، و«الحاكم» (٧٤٢٤)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٩٥٦٠) عن عبد الله بن مسعود ﷺ، وأصله في الصحيحين، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤٥١).

بعثه إلىٰ اليمن: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَىٰ قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ»(١).

فهذا الحديث يعتبر أصلًا أصيلًا ومنهجًا قويمًا في التدرج في الدعوة إلىٰ الله وتقديم الأولويات، لكن وللأسف تجد بعض من قلّ علمه وعقله يحذّر المسلم الجديد في بلاد الكفر من فلان وعلّان الذي ربما لا يعرفه بعض خواص المسلمين ومن عاش في بلاد الإسلام، فتجده يحذّره منه ويجلب عليه بخيله ورَجله، وربما يهجره ويزجره، أو يمتحنه بآخِر فتنة حصلت في الدعوة وما موقفه منها، فأين فقه الأولويات كتعليم التوحيد وأصول الإيمان، وأركان الإسلام، ومحاسن الإسلام؟!، نعم، لا بأس أن يُدَلُّ هذا المسلم الجديد علىٰ أهل السنة والجماعة، ويُعرّف بأكبر علمائها ورموزها والنهر الذي ينهل منه، أما الدخول به في بنيات الطريق وفي هذه الأنفاق المظلمة وهو ليس معه النور الكافي أخشىٰ أن ينطفئ نوره بالكليّة، وتكون أنت سبب هذه الضحية.

قال العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «اعلم أن تقديم الأصلح فالأصلح، ودرء الأفسد فالأفسد، مركوز في طبائع العباد نظراً لهم من رب الأرباب ... ولا يقدم الصالح علىٰ الأصلح إلا جاهل بفضل الأصلح، أو شقي متجاهل لا ينظر إلا ما بين المرتبتين من التفاوت» اهـ.

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «لا ريب أن المرشدين

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) «قواعد الأحكام» (١/ ٤-٥).
(٣) «مجموع فتاوىٰ ابن باز» (١/ ٣٢١-٣٢٢).

هم أطباء المجتمع، ومن شأن الطبيب أن يهتم بمعرفة الأدواء ثم يعمل علىٰ علاجها بادئًا بالأهم فالأهم، وهذه طريقة أنصح الأطباء وأعلمهم بالله وأقومهم بحقه وحق عباده، سيد ولد آدم عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم؛ فإنه ﷺلما بعثه الله بدأ بالنهي عن أعظم أدواء المجتمع وهو الشرك بالله سبحانه، فلم يزل ﷺمن حين بعثه الله يحذر الأمة من الشرك ويدعوهم إلىٰ التوحيد إلىٰ أن مضىٰ عليه عشر سنين، ثم أمر بالصلاة، ثم ببقية الشرائع، وهكذا الدعاة بعده: عليهم أن يسلكوا سبيله وأن يقتفوا أثره، بادئين بالأهم فالأهم.

ولكن إذا كان المجتمع مسلمًا ساغ للداعي أن يدعو إلىٰ الأهم وغيره، بل يجب عليه ذلك حسب طاقته؛ لأن المطلوب إصلاح المجتمع المسلم وبذل الوسع في تطهير عقيدته من شوائب الشرك ووسائله، وتطهير أخلاقه مما يضر المجتمع ويضعف إيمانه. ولا مانع من بداءته بعض الأوقات بغير الأهم، إذا لم يتيسر الكلام في الأهم، ولا مانع أيضًا من اشتغاله بالأهم وإعراضه عن غير الأهم، إذا رأىٰ المصلحة في ذلك وخاف إن هو اشتغل بهما جميعًا أن يخفق فيهما جميعًا» اهـ.

وقال شيخنا الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أهل السنة ينكرون كل مُنكَر يوجد علىٰ ظهر الأرض، ويقدمون الأهم فالأهم، فهم ينكرون التمسح بأتربة الموتىٰ، وهم ينكرون تشييد القباب، وهم ينكرون الضرائب والجمارك التي أنهكت المسلمين، وهم ينكرون التبرج والسفور، وهم ينكرون أيضًا الاختلاط في الجامعة» اهـ.

---

(١) «إجابة السائل» (ص:٢١).

٤٠ عدم تفريق بعض الدعاة بين جهاد الدعوة وجهاد السيف

إن بعض الشباب المتحمس في الدعوة إلىٰ الله يخبط خبط عشواء في الدعوة، فتجده لا يفرق بين جهاد الدَّعوة وجهاد السيف من حيث الأسلوب، فجهاد الدَّعوة الأصل فيه أن يكون بالرفق واللين، وجهاد السيف الأصل فيه أن يكون بالشدة والغلظة، قال تعالىٰ في جهاد السيف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [التوبة:٧٣](١).

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣﴾ [التوبة:١٢٣].

وقال تعالىٰ في جهاد الدَّعوة: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه:٤٣-٤٤].

والدَّعوة إلىٰ الله تعالىٰ نوع من الجهاد، بل هي أعظم من جهاد السيف

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٤/ ١٧٨): «أَمَرَ تَعَالَىٰ رَسُولَهُ ﷺ بِجِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْغِلْظَةِ عَلَيْهِمْ، كَمَا أَمَرَهُ بِأَنْ يَخْفِضَ جَنَاحَهُ لِمَنِ اتَّبَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ مَصِيرَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ إِلَىٰ النَّارِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَرْبَعَةِ أَسْيَافٍ: سَيْفٍ لِلْمُشْرِكِينَ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة:٥]، وَسَيْفٍ لِلْكُفَّارِ أَهْلِ الْكِتَابِ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴿يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ [التوبة:٢٩]، وَسَيْفٍ لِلْمُنَافِقِينَ: ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣]، وَسَيْفٍ لِلْبُغَاةِ: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات:٩].

وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُمْ يُجَاهَدُونَ بِالسُّيُوفِ إِذَا أَظْهَرُوا النِّفَاقَ، وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ» اهـ

كما قالَ تعالىٰ: ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٢][1]، أي: بالقرآن والحجة والبرهان؛ لأن الآية مكية بالإجماع ولم يكن هناك جهاد بالسيف.

وقد بيّن سبحانه وتعالىٰ طريق الدَّعوة إليه فقال سبحانه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥].

---

(١) وقد أشرت إلىٰ هذه المسألة في كتابي: «السطور الذهبية في بيان أهداف وثمار دُور الحديث السلفية في الديار اليمنية» الهدف العاشر بعنوان: «الحرص علىٰ تعليم المجتمع المسلم العلم الشَّرعي الصحيح ونشره في كل مكان، وهذا من أفضل الجهاد في سبيل الله كما قالَ علماء السَّلَف والخَلَف».

٤١ عدم تفريق بعض الدعاة بين النصيحة والفضيحة

لا شك أن النصيحة الصحيحة مشروعة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر:١-٣].

وقالَ نوح عليه السلام لقومه: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف:٦٢].

وقال هود عليه السلام لقومه: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف:٦٨].

وقال ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[(١)].

لكن النصيحة لها ضوابط وآداب شرعية، من ذلك: **أن تكون النصيحة سرًّا**، فقد قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ وَعَظَ أخاهُ سِرًّا فقد نَصَحَه وزَانَه، ومَنْ وَعَظَهُ عَلانِيَةً فَقَدْ فَضَحَهُ وشَانَه»[(٢)].

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ:

تَعَمَّدني بِنُصحِكَ في اِنفِرادي ... وَجَنِّبني النَصيحَةَ في الجَماعَة
فَإِنَّ النُصحَ بَينَ الناسِ نَوعٌ ... مِنَ التَوبيخِ لا أَرضىٰ اِستِماعَه
وَإِن خالَفتَني وَعَصيتَ قَولي ... فَلا تَجزَع إِذا لَم تُعطَ طاعَة[(٣)]

بهذه الكلمات اليسيرة حدّد الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ الفرق بين النصيحة والفضيحة، وبين النصح والتوبيخ، وبين ناصح أمين وفاضح مهين، فالدين النصيحة، لكن شريطة الالتزام بآداب النصيحة الشرعية، ومعرفة حدودها،

---

(١) رواه «مسلم» (٥٥) عن تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) «حلية الأولياء» لأبي نُعَيْم (٩/ ١٤٠)، «شرح النووي علىٰ مسلم» (٢/ ٢٤).
(٣) «الديوان المنسوب للشافعي» (ص:١٥).

والإخلاص في توجيهها، فليست كل النصائح سواء، وليس كل الناصحين أمناء، وليس كل المنصوحين بتوجيههم سعداء، فكم من نصيحة وجهت بشكل خاطئ أدت إلىٰ شقاق وجفاء، فالتزموا الأمانة والإخلاص في نصحكم، والسرية في توجيهكم لإخوانكم دعاة المنهج السلفي، والتزموا الرفق، وتخيروا الأوقات المناسبة، والظروف الملائمة لكم ولهم.

وللنصيحة مجالات شتّىٰ، وطرق عدة، وأساليب متعددة، وأهداف متنوعة، لكن الأهم أن نلتزم بضوابطها وآدابها، خصوصًا النصيحة سرًّا، وكل شخص يُنْصَح بما يناسبه بالآداب الشرعية والضوابط المرعية.

لأن مقصدك من النصيحة أن تدلَّ الغير علىٰ الخير، وأن ترشده إلىٰ الحق، وتهديه إلىٰ عيوبه، حتىٰ تنير بصيرته، فيقلع عن خطئه، ويعدل سلوكه، وينبغي لكل ناصح أن يمتلك من الفطنة والذكاء والكياسة، إضافة إلىٰ الخبرة والإلمام بموضوع النصيحة والمنصوح ما يجعله أهلًا لنصح الآخرين، علىٰ أن يدرك تمامًا أن هدف النصيحة العام هو تصحيح عيوب وأخطاء الغير، وليس إشاعة أفعاله السيئة أو فضحه بين الناس.

وفي مَعْرِض التفريق بين النصيحة والفضيحة يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]:

«**النصيحة**: إحسان إلىٰ مَنْ تنصحه بصورة الرحمة له والشفقة عليه والغيرة له وعليه؛ فهو إحسان محض يصدر عن رحمة وَرِقَّة، ومراد الناصح بها وجه الله ورضاه والإحسان إلىٰ خَلْقه؛ فيتلطَّف في بذلها غاية التلطُّف، ويحتمل أذىٰ المنصوح وَلَائِمَته، ويعامله معاملة الطبيب العالِم المشفق للمريض المُشْبَع مرضًا، وهو يحتمل سُوء خُلُقِه وشراسته ونفرته، ويتلطَّف في وصول الدواء إليه بكلِّ ممكن؛ فهذا شأن الناصح.

---

(١) «الروح» (ص:٣٥١-٣٥٢).

وأما المُؤنِّب: فهو رجل قَصْدُه التعيير والإهانة وذَمُّ مَنْ أنَّبه وشَتْمُه في صورة النصح؛ فهو يقول له: «يا فَاعِلَ كذا وكذا، يا مُسْتَحِقًّا الذمَّ والإهانة» في صورة ناصح مُشْفِق.

وعلامة هذا: أنه لو رأىٰ مَنْ يُحِبُّه ويُحْسِن إليه علىٰ مِثْل عَمَلِ هذا أو شرٍّ منه لم يَعْرِضْ له ولم يَقُلْ له شيئًا، ويَطْلُب له وجوه المعاذير، فإن غُلِبَ قال: «وأنَّىٰ ضُمِنَتْ له العصمة؟ والإنسان عُرْضَة للخطأ، ومَحَاسِنُه أكْثَر مِنْ مَساويه، والله غفور رحيم»، ونحو ذلك.

فيا عجبًا، كيف كان هذا لِمَنْ يُحِبُّه دون مَنْ يبغضه؟ وكيف كان حَظُّ ذلك منك التأنيب في صورة النصح، وحظُّ هذا منك رجاء العفو والمغفرة وطَلَبَ وجوه المعاذير؟

ومِنَ الفروق بين الناصح والمؤنِّب: أن الناصح لا يعاديك إذا لم تَقْبَلْ نصيحته، وقال: «قد وَقَعَ أجري علىٰ الله، قَبِلْتَ أو لم تَقْبَلْ»، ويدعو لك بظَهْر الغيب، ولا يذكر عيوبك ولا يُبيِّنها في الناس، والمؤنِّب بضدِّ ذلك» اهـ

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد **وَعَظوه سرًّا**، حتىٰ قال بعضهم: «مَنْ وَعَظَ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة، ومَنْ وَعَظَهُ علىٰ رؤوس الناس فإنما وبَّخَه»، وقال الفضيل رَحِمَهُ اللَّهُ: «المؤمن يَسْتُر وينصح، والفاجر يَهْتِك ويُعيِّر»، وقال عبد العزيز بن أبي روَّاد رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان مَنْ كان قبلكم إذا رأىٰ الرجلُ مِنْ أخيه شيئًا يأمره في رِفْق فيُؤْجَرُ في أَمْرِه ونَهْيِه، وإنَّ أَحَدَ هؤلاء يخرق بصاحبه فيَسْتَغْضِبُ أخاه ويَهْتِكُ سِتْرَه...» اهـ

فيا أيها الداعية اللبيب الأريب النجيب إذا سمعت عن أخيك أو قرأت له بعض الأخطاء الواضحة البينة فلا تشهّر به من علىٰ المنابر، في الخطب،

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص:٨٢).

والمحاضرات، والدروس، والمجالس، والكتابة في وسائل التفاضح الاجتماعي، لكن الذي يتطلب منك هو المبادرة في نصحه سرًّا، بالزيارة أو المهاتفة أو المكاتبة، وانصحه برفق ولين بالتي هي أحسن للتي هي أقوم، إذا كنت تريد بنصحك وجه الله والدار الآخرة، وتريد نصحه لا فضحه.

قال علّامة اليمن عبد الرحمن المعلمي رَحِمَهُ اللهُ[1]: «وكم من عالم أخطأ في مسألة فلم يهتم إخوانه من العلماء بأن يزوروه ويذاكروه فيها، أو يكاتبوه في شأنها، بل غاية ما يصنع أحدهم أن ينشر اعتراضه في مجلة أو رسالة يشنّع علىٰ ذلك العالم ويُجهِّله، أو يبدعه ويكفّره، فتكون النتيجة عكس المطلوب» اهـ.

وقال علامة الجزائر محمد بن علي فركوس حفظه الله[2]: «وليس مِنْ طُرُق النصيحة تمريرها علىٰ شبكات الأنترنت والصحف والمجلات وغيرها إذا لم يأذن فيها المنصوح له، فإنْ أَذِنَ فإنه يُراعَىٰ الجانب الأخلاقي في التعامل بالنصيحة معه؛ تقصُّدًا لتعميم فائدة النصيحة؛ ذلك لأن هذه الوسائل موضوعة ابتداءً للإعلام والتشهير والتبليغ، وقد تُسْتَعْمَل -غالبًا في بعض الشبكات ووسائل الإعلام- للتعيير والإهانة والذمِّ في صورة النصيحة؛ الأمر الذي يَقْضي بمُنافاتِها للنصيحة في قالَبِها السِّرِّي والأخلاقي؛ لأنها -بهذا الشكل- تدخل في التأنيب والتشنيع» اهـ.

ومن مفاسد عدم التزام آداب النصيحة: إظهار الخلاف الخاص بالدعوة وأهلها أمام العامة والطوائف الضالة والأحزاب المنحرفة وخصوم الدعوة، وهذا يؤدي بدوره إلىٰ ضعف الدعوة السلفية وأهلها،

---

(١) «صفة الارتباط بين العلماء في القديم» (ص:١٠).

(٢) «الكلمة الشهرية» رقم (٤٩).

وذهاب هيبتها وهيبة علمائها، وزعزعة ثقة العامة في الدعوة السلفية وفي حملتها، وكفىٰ بها من مفسدة، فيا ليت قومي يعلمون.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «اجتماع الناس علىٰ كلمة واحدة لا شك أنه سبب للنصر، ولهذا ينبغي لطلبة العلم وللعلماء أن لا يُظهروا خلافهم ونزاعهم أمام العامة، اختلاف الآراء لا بد أن يكون، أما كون كل واحد منهم يعيب علىٰ الآخر إن خالفه، هذا خطر عظيم جدًا؛ لأن العامة ترىٰ هذا النزاع فلا تثق بواحد منهم، علىٰ أن العامة أيضًا سوف يتفرقون، فالنزاع لا شك أنه سبب للخذلان والفشل وتمزق الأمة» اهـ.

(١) «تفسير سورة آل عمران» (٢/ ٣١٤).

(٤٢) تقديم العلم علىٰ الرحمة في الرد علىٰ المخالف، منهج مخالف لمنهج القرآن الكريم

إن الناظر في ردود بعض الدعاة علىٰ المخالفين يجد أن علمه يسبق رحمته في الرد عليه، فيشد عليه ويغلظ عليه بلا رحمة، ويضيّق عليه جميع الطرق، فلا يترك له للرجوع ثقب إبرة، بخلاف طريقة الراسخين في العلم، كشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مثلًا، فإن من ينظر في مناظراته لخصومه يجده يناقشهم وتجد الرحمة واضحة جلية في نقاشه لهم، ويحتمل لخصمه الأعذار، ويفتح له طرقًا كثيرة للتراجع والعودة إلىٰ الحق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أهل السُّنة هم أعلم بالحق وأرحم بالخلْق» اهـ

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «ما ناظرت أحدًا قط علىٰ الغلبة، ووددت إذا ناظرت أحدًا أن يظهر الله الحق علىٰ يديه» اهـ

وهكذا سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ من تتبع ردوده علىٰ المخالفين وجد فيها الحلم والعلم والرحمة، وقد أُلِّف في منهجه في الرد علىٰ المخالفين كتاب: «**أصول ابن باز في الرد علىٰ المخالفين**».

وكتاب: «الكاشف لمنهج ابن باز في الرد علىٰ المخالف».

وكلاهما بيّن طريقة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرد علىٰ المخالفين، وأن الرحمة في ردوده تسبق علمه.

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٥/ ١٥٨).
ولمزيد الفائدة في هذه المسألة انظر كتاب: «رحمة أهل السنة بالمخالفين، ابن تيمية نموذجًا».

(٢) «المجموع» (١/ ١٢)، «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٢٩).

وقال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ **موصيًا أهل السُّنة قبل موته**[1]: «...وأن ينصحوا الناس بالتي هي أحسن ويبتعدوا عن الأساليب القاسية والشديدة؛ لأننا جميعًا نعتقد أن الله عزَّ وجلَّ حين قال: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥]، إنما ذلك لأن الحق في نفسه ثقيل على الناس، ثقيل على النفوس البشرية، ولذلك هي تستنكف عن قبولها إلا ما شاء الله، فإذا انضم إلىٰ ثقل الحق على النفس البشرية عذر آخر وثقل آخر وهو القسوة في الدَّعوة كان ذلك تنفيرًا للناس عن الدَّعوة بدلًا من أن ندعوهم إليها، وقد تعلمون جميعًا قول الرَّسول ﷺ: «إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ»[2]، وختامًا، أسأل الله عزَّ وجلَّ ألّا يجعل منّا مُنَفِّرين وإنما أن يجعلنا حكماء عاملين بالكتاب والسُّنَّة» ا هـ

قلت: هذا هو المنهج الصحيح، ومن تدبر القرآن الكريم يجد أن من عجائبه أن الرحمة دائمًا تسبق العلم، قال الله: ﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ [الكهف:٦٥].

وقال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ [غافر:٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ [الرحمن:١-٢].

فالعلم بدون رحمة يدمّر ولا يعمّر، ويهدم ولا يردم، والله قال عن نبيه ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

---

(١) شريط: «وصية الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ قبل موته» من سلسلة الهدىٰ والنور.

(٢) متفق عليه: «البخاري» (٧٠٢)، «مسلم» (٤٦٦) عن أبي مسعود رضي الله عنه.

﴿٤٣﴾ المجاوزة والمجازفة وعدم التزام الأدب وضبط النفس في الرد علىٰ المخالف

إن الجرح والتعديل نعمة من نعم الله الكريم، يحفظ الله به الدِّين الصافي المتين، **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «هذه الأمة ولله الحمد لم يزل فيها من يتفطن لما في كلام أهل الباطل من الباطل ويرده».

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «لولا من يُقيمه الله لدفع ضرر أهل البدع؛ لفسد الدِّين وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإنَّ هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدِّين إلا تبعًا، وأمَّا أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً» اهـ.

وقال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «ولولا هذا الجرح والتعديل لتلاعب الناس الكاذبون بالسُّنَّة، واختلط المعروف بالمنكر، ولم يتبين ما هو صحيح وما هو باطل» اهـ.

قلت: لكن هناك في زماننا من تجاوز الحد في الرد علىٰ الخصوم، والله يقول: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨].

وكان من دعائه ﷺ: «...اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ...»[(٤)].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٩/ ٢٣٣).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٢٣٢).

(٣) «رفع الريبة عن ما يجوز وما لا يجوز من الغيبة» ص (٢١).

(٤) **صحيح** رواه «النسائي» (١٣٠٥) عن عمار بن ياسر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح سنن النسائي» (١٣٠٥)، و«صحيح الجامع» (١٣٠١)، وشيخنا الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الجامع في القدر» (ص:٣٤).

ونعوذ بك يا الله أن نكون ممن إذا خاصم فجر، وإذا أسيء إليه تزمجر، وأذكر هنا بعضًا من صور المجاوزة والمجازفة في الرد علىٰ المخالف، كتبديع من ليس بمبتدع، وتفسيق من ليس بفاسق، وتكفير من ليس بكافر، وهجر من لا يستحق الهجر، والتحذير ممن لا يستحق التحذير، والكلام في أعراض الخصوم، ونسائهم، ودينهم، ومكاسبهم، ومعايشهم، وفي مأكلهم ومشربهم، وفي علمهم، وفي أحسابهم وأنسابهم وبلدانهم وفي عربيتهم وأعجميتهم، وفي طولهم وقصرهم وألوانهم...، وهذا والله من التجاوز، والنبي ﷺحين التقط حصىٰ الجمار قال: «بِأَمْثَالِ هَؤُلاءِ-أي: فارموا- وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ»[(١)]، فالجمار وهي الجمار لا تُرمىٰ إلا بحصىٰ قدّرها الشرع، وهكذا الزاني وهو الزاني يُرمىٰ بحجر معتدل لا صغير ولا كبير، والمخالف من باب أولىٰ يُرمىٰ بما يستحق وبميزان الشرع، بهذا تنتصر الدعوة إذا أردتم نصرها لا نصر أنفسكم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «إن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة» اهـ

وقال أيضًارَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «أنا في سعة صدر لمن يخالفني فإنه وإن تعدىٰ حدود الله فيَّ بتكفير أو تفسيق أو افتراء أو عصبية جاهلية، فأنا لا أتعدىٰ حدود الله فيه، بل أضبط ما أقوله وأفعله وأزنه بميزان العدل وأجعله مؤتمًّا بالكتاب الذي أنزله الله وجعله هدىٰ للناس حاكمًا فيما اختلفوا فيه» اهـ.

---

(١) **صحيح** رواه «أحمد» (١٨٥١)، و«النسائي» (٣٠٥٧) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٢١٤٤).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٦٣) بتصرف يسير.

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٢٤٥).

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «**تحرس السنة بالحق والصدق والعدل، ولا تحرس بكذب ولا ظلم**، فإذا رد الإنسان باطلًا بباطل، وقابل بدعة ببدعة، كان هذا مما ذمه السلف والأئمة» اهـ.

لذلك يجب علىٰ الداعية قبل الشروع في الرد علىٰ المخالف -سواء كان الرد مشافهة أو كتابة- أن يراعي الآداب والضوابط الشرعية؛ حتىٰ يكون لهذا الردّ ثمرته المطلوبة، ولا يؤدّي إلىٰ مفاسد شرعية تربو علىٰ مفاسد ترك الردّ.

ومن أهم هذه الضوابط والآداب في الردّ علىٰ المخالف ما يلي:

أولًا: أن يكون الرَّاد موصوفًا بالعلم الشرعي الصحيح الموافق لسنة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبخاصة في المسألة التي يريد الرد عليها ومناقشتها، بعد تحديد موضع النزاع وتحريره، وأن يكون الكلام بعلم ودليل ومأخذ صحيح في الاستدلال؛ ومن ذلك التوثق والتثبت من كلام المردود عليه من كتبه أو صوتياته المؤكدة، أو من الثقات الأثبات أهل العقل والدين والرزانة والاعتدال، لا من الظنون والأوهام وكلام كل من هَبَّ وَدَرَج.

ثانيًا: اتصاف الرَّاد بالإخلاص والتجرد لله تعالىٰ في رده وبعده عن الهوىٰ والعصبية والتشفي، وهذا يلزم عليه أشياء كثيرة، من أهمها: العدل مع المخالف وإنصافه وتجنب ظلمه، والاعتداء عليه وعلىٰ عرضه بالسب والشتم والاحتقار والازدراء والتنقص والدخول في أمور جانبية ليس لها علاقة بالمسألة المردود عليها، كل هذا ليس من الأدب ولا من الإنصاف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «فإنَّ الرَّدَّ بمجرَّد الشَّتم والتَّهويل لا يعجز عنه أحَد» اهـ.

---

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٧/ ١٨٢).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ١٨٦).

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أحب أن يفتح الله قلبه ويرزقه العلم فعليه بالخلوة وقلة الأكل وترك مخالطة السفهاء وبعض أهل العلم الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب» اهـ

وقال علّامة الجزائر الشيخ فركوس حفظه الله[(٢)]: «الشَّتيمةُ والوقيعة والتَّهجُّم عند النِّقاش حيلةُ العاجز وبضاعةُ المُفلِس» اهـ

وقد ذكر الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحد عشر سببًا تقريبًا تؤدي إلىٰ عدم العدل والإنصاف في الرد علىٰ المخالف[(٣)].

(١) «بستان العارفين» ص (٥٣)، «المجموع» (١/ ١٣)، «تهذيب الأسماء» (١/ ٥٥).
(٢) «الكلمة الشهرية» رقم (١٢٦).
(٣) «أدب الطلب ومنتهىٰ الأدب» ص: (٤٠-١١٩).

(٤٤) عدم ضبط بعض المسائل العلمية الاجتهادية التي يكثر فيها الخلاف وبسببها تتمزق الدعوة بين الفينة والأخرىٰ

هناك بعض المسائل التي يكثر فيها الخلاف والنزاع والخصومات وتتمزق بسببها الدعوة بين الفينة والأخرىٰ، تحتاج من طلاب العلم والدعاة إلىٰ الله إلىٰ وقفة علمية جادّة، وتحرير هذه المسائل تحريرًا دقيقًا وضبطها ضبطًا وثيقًا وإماتتها دراسة وبحثًا من جميع جوانبها، كمسألة التبديع والتحزيب والهجر والجمعيات والمؤسسات الخيرية وبقية المسائل التي يكثر فيها الخلاف والخوض منذ ثلاثة عقود تقريبًا، وبهذا تهدأ الدعوة ويذهب صداعها وتصدعها إن شاء الله، ويُحكَم علىٰ كل مسألة بما تستحق، أما أن تبقىٰ مثل هذه المسائل مُهْمَلَة، وكل واحد يأخذ بالفتوىٰ التي تروق له من فتاوىٰ علمائنا المعاصرين، فهذا نقص واضح وعيب فاضح.

قال شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «صحيح يا إخوان أن بعض إخواننا إذا لم تكن علىٰ ما يهوىٰ سماك حزبيًا!!! لعلكم قرأتم كلام ابن بطة في «الاعتصام» للشاطبي ينقل أنه يتوجع من أهل عصره، إن قنت قالوا: «شفعوي» من الشافعية، وإن قال: الدعاء للحكام وذِكْرُ الحكام في الخطبة ليس بصحيح قالو: «خارجي»!

فرضا الناس غاية لا تُدرَك، فينبغي أن نتقي الله سبحانه وتعالىٰ، وأنتم تعرفون أن أعداء الدعوة يحرصون غاية الحرص علىٰ تفرقة أهل السنة: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» بعضهم أدنىٰ

---

(١) «من فقه الإمام الوادعي» (١/ ٥١).

حاجة! تنظيم من أجل عمل يتعلق بالدعوة يقولون حزبية وهكذا! والله المستعان! أنتم ترموننا بالحزبية وماذا فعلتم للإسلام؟!» اهـ.

﴿٤٥﴾ الهجر بغير قواعد علمية وضوابط شرعية ومراقبة رب البرية أرهق الدعوة السلفية إرهاقًا عظيمًا

لقد قرر كبار علماء السلف والخلف أن الهجر وسيلة وليس غاية، وهو دواء إذا نفع المريض نفعًا راجحًا أعطي هذا الدواء، وإذا أضر به ضررًا راجحًا فلا يعطىٰ له وإنما يعطىٰ دواء آخر.

وإليك خلاصة كلام كبار أهل العلم في هذا العصر في هذه المسألة:

قال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)] في هجر من لم ينتفع بالهجر قولته المشهورة في قصة العاصي الذي ذهب إلىٰ المسجد لأول مرة ليصلي فيه فوجده مغلقًا فقال: «أنت مسكّر وأنا مبطّل» منك يا مسجد وليس مني. وله كلام نفيس جدًا في هذه المسألة.

وقال الإمام الفقيه المفسّر ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «الواجب علىٰ من كان له قرناء فيهم بدعة أن ينصحهم ويبين لهم أن ما هم عليه بدعة لعل الله أن يهديهم علىٰ يديه حتىٰ ينال أجرهم.

فإن أصروا علىٰ ما هم عليه من البدعة: فإن كانت البدعة مكفرة وجب عليه هجرهم والبعد عنهم.

وإن لم تكن مكفرة، فلينظر: هل في هجرهم مصلحة؟ إن كان في هجرهم مصلحة هجرهم، وإن لم يكن في هجرهم مصلحة فلا يهجرهم؛ وذلك لأن الهجر دواء؛ إن كان يرجىٰ نفعه فليفعل، وإن لم يرجَ نفعه فلا يفعل» اهـ.

---

(١) شريط «من هو الكافر وما هي البدعة المكفرة».

(٢) «فتاوىٰ نور علىٰ الدرب» (٤/ ٢)، «شرح رياض الصالحين» (٤/ ٢١٩-٢٢٠).

وشن العلامة المحدّث مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ هجومًا قويًا علىٰ من يتوسع في مسألة الهجر، وقال(١): «هذه فكرة خارجية».

وقال العلامة عبد المحسن العبّاد حفظه الله(٢): «إذا لم تترتب علىٰ الهجر مصلحة فوجوده مثل عدمه».

وقالت اللجنة الدائمة برئاسة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «إذا لم يكن في الهجر ردع له ويخشىٰ أن يزيد شرّه فإنه لا يُهجر ولكن يُستمر معه في النصيحة...» اهـ.

قلت: فلا أدري أين ذهب الشباب المتحمس في مسألة الهجر بفتاوىٰ كبار علماء العصر.

---

(١) «غارة الأشرطة» (٢/ ٨٧-٨٨)، «الأجوبة السديدة في فتاوىٰ العقيدة» ص (١٦٨-١٦٩)و(١٩٨-١٩٩).

(٢) «شرح سنن أبي داود» باب: «حكم الصلاة في ثياب تشف البشرة».

(٣) «فتاوىٰ اللجنة الدائمة» (٢٥/ ٣٢٦) رقم الفتوىٰ (١٥٩٣١).

(٤٦) سلسلة هجر من لم يَهْجُر

هذه المسألة شبيهة بالماس الكهربائي[١]، فلو أن شخصًا وضع يده علىٰ سلك مجروح فإن الكهرباء تمسكه، ومن مسك فيه؛ مسكته الكهرباء وهكذا، سلسلة ليس لها نهاية، وهذه القاعدة يعترض عليها **من وجهين**:

الوجه الأول: أنه قد يكون المهجور مبتدعًا عندك أو فاسقًا عندك غير مبتدع ولا فاسق عندي؛ لأن الحكم علىٰ الأشخاص الذين لم يتفق أهل السنة علىٰ تبديعهم مسألة اجتهادية، فلماذا أُطالَب بهجره وأنا غير مقتنع بتبديعه[٢].

ثانيًا: قد يكون مبتدعًا أو فاسقًا فسق شهوة، لكن أختلف أنا وأنت في تقدير المصلحة في هجره وعدم هجره حسب تقدير المصالح والمفاسد.

قال العلامة مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللهُ[٣] إجابة علىٰ سؤال قال فيه السائل: ما حكم هجر من لم يَهْجُر؟

فقال رَحِمَهُ اللهُ: «أن تهجر الذي لم يهجر المبتدع، توسعت بارك الله فيك، ما عندك دليل من لم يهجر المبتدع هجرناه، حتىٰ المثال الذي يقال: من لم يكفر الكافر فهو كافر أيضًا ليس بمستقيم، بل من لم يكفر الكافر المتفق عليه مثل أن يقول اليهودي ما هو كافر أو النصراني ما هو كافر مثل هذا يكفر؛ لأنه مكذب للقرآن فإن الله قد كفرهم في القرآن، لكن شخص يقول:

---

(١) كما قال ذلك فضيلة الشيخ عبد العزيز البرعي حفظه الله.

(٢) كلامي هنا ليس علىٰ المبتدع المتفق علىٰ تبديعه، وإنما علىٰ المختلف فيه بين علماء أهل السنة والجماعة المعتبرين، أما من اتفقوا علىٰ تبديعه أو تفسيقه أو تكفيره فليس لأحد أن يخالف هذا الاتفاق.

(٣) «الأجوبة السديدة في فتاوىٰ العقيدة» (١/ ١٦٧-١٦٩).

تارك الصلاة ليس بكافر. وآخر يقول: تارك الصلاة كافر. فهي مسألة اختلف فيها علماؤنا رحمهم الله تعالى» اهـ.

(٤٧) سلسلة تبديع من لم يبدِّع

لقد اشتهرت هذه المقولة أو هذه القاعدة في أوساط بعض طلاب العلم، وأقول: هذه القاعدة ليست علىٰ إطلاقها، بل يُفَصّل في ذلك، فإذا كان المبتدع متفقًا عليه بين أهل العلم أنه مبتدع محارب للسنة وأهلها فنعم، أما إذا كان مختلفًا فيه فبعض العلماء يبدعونه وبعض العلماء لا يبدعونه فهذه القاعدة لا تنسحب عليه تمامًا كقاعدة من لم يكفر الكافر فهو كافر، هل هي علىٰ إطلاقها؟

الجواب: لا، وإنما المراد من لم يكفر الكافر الأصلي كاليهودي أو النصراني فهذا كافر، أو لم يكفر الكافر المتفق علىٰ كفره، كمن أتىٰ ناقضًا من نواقض الإسلام، كَسَبِّ الله مثلًا، أما الشخص المختلف في تكفيره كتارك الصلاة مثلًا فالذي يرىٰ تكفير تارك الصلاة لا يكفر من لا يرىٰ تكفيره وهكذا، أما إذا التزمنا بهذه القاعدة فإنه يحصل بالتزامها مفاسد كثيرة وخطيرة، كإلزام العلماء وطلاب العلم والعامة بها، وامتحان الناس بهذا الشخص المختلف فيه، وإقامة الولاء والبراء علىٰ هذه المسألة، وتمزيق نسيج المجتمع المسلم علىٰ هذه الأوهام وهذه الجهالات، والدعوة إلىٰ التقليد الأعمىٰ الذي نجىٰ الله الدعوة السلفية منه، وقد رد علىٰ هذه القاعدة الباطلة العاطلة كبار علماء العصر.

فقد سئل العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذه المسألة، حيث قال السائل[(١)]:

---

(١) «سلسلة الهدىٰ والنور» رقم الشريط (٧٧٨).

وهكذا رد علىٰ هذه القاعدة وأبطلها:

العلامة مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شريط «الدرر في أجوبة عبس وشفر».

=

هناك بعض القواعد يا شيخ يعمل بها بعض الشباب ومن ضمنها قاعدة «من لم يكفر الكافر فهو كافر» ثم «من لم يبدع المبتدع فهو مبتدع» وقاعدة أخرىٰ «من لم يكن معنا فهو ضدنا» ما رأيك في هذه القواعد يا شيخ؟

فأجاب الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أين جاءت هذه القواعد ومن قعدها؟ هذا يذكرني بنكتة تروىٰ في بلادنا الأصيلة ألبانيا حكاها في بعض المجالس والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، القصة تقول بأن رجلًا عالمًا زار صديقًا له في بيته ثم لما خرج من عنده كفره قيل له لم؟ عندنا عادة في بلادنا وهي عادة أظن مطردة في بلاد الأعاجم، يعظّمون أو يحترمون أو يوقرون العلماء ببعض الأعراف والتقاليد التي تختلف باختلاف البلاد، منها الرجل مثلًا دخل الغرفة ونزل عليه، فهو حين يخرج ينبغي أن يدار النعل بحيث أن العالِم لا يتكلّف أن يلف ويدور كأنه داخل وإنما يجد النعل مهيئًا ليدخل قدميه فيه، فهذا العالِم لما زار صديقه وخرج وجد النعلين كما هما، يعني ما احترم الشيخ تركهما كما هما، فقال الرجل العالِم: إن هذا كفر، لماذا؟ لأنه لم يحترم العالِم، والذي لا يحترم العالِم لا يحترم العلم، والذي لا يحترم العلم لا يحترم الذي جاء بالعلم، والذي جاء بالعلم هو محمد ﷺ، وهكذا سيوصلها إلىٰ جبريل، إلىٰ رب العالمين، فإذًا هو كافر، هذا سؤال أو هذه قاعدة ذكرتني بهذه الخرافة، ليس شرطًا أبدًا أن من كفر شخصًا وأقام عليه

والعلامة عبد المحسن العباد حفظه الله فقد قُدّم له سؤال: من لم يبدع المبتدع هل يلحق به؟ (صوتي).

والعلامة صالح السحيمي حفظه الله فقد قُدّم له سؤال: قاعدة من لم يبدع المبتدع فهو مبتدع. وقد ذكر لها عدة ضوابط جيدة (صوتي).

والعلامة صالح الفوزان وفقه الله في شريط مسجل بعنوان «دروس التفسير بالحرم» بتاريخ ١٤ رجب ١٤٣٣ هـ. وغيرهم كثير.

الحجة أن يكون كل الناس معه في التكفير؛ لأنه قد يكون هو متأولًا، ويرىٰ العالِم الآخر أنه لا يجوز تكفيره، كذلك التفسيق والتبديع، فهذه في الحقيقة من فتن العصر الحاضر، ومن تسرع بعض الشباب في ادعاء العلم، فالمقصود أن هذا التسلسل أو هذا الإلزام غير لازم أبدًا، هذا أمر واسع، قد يرىٰ عالِم أمرًا واجبًا، ويراه الآخر ليس كذلك، وما اختلف العلماء من قبل ومن بعد إلا لأن باب الاجتهاد لا يلزم الآخرين بأن يأخذوا برأي، الذي يوجب الأخذ بالرأي الآخر إنما هو المقلد الذي لا علم عنده فهو من يجب عليه أن يقلد، أما إذا كان عالِمًا كالذي كفّر أو فسّق أو بدّع ولا يرىٰ مثل رأيه فلا يلزمه أبدًا أن يتابع ذلك العالِم، الظاهر مصيبة لأنها إن شاء الله ما انتشرت بعد من بلادكم إلىٰ بلاد أخرىٰ» اهـ.

وسئل الشيخ صالح الفوزان وفقه الله(١): ما حكم الذين يلزمون الناس بتبديع بعض الدعاة وبناء الولاء والبراء علىٰ ذلك وهجر من لم يبدع؟

فأجاب بقوله: «لا تلتزم بهذا ولا تطعهم في هذا، قل أنا بريء من هذا ومعافيني الله من هذا ولا أدخل فيه، ولا أعرف عنه [شيئًا] » اهـ.

(١) شريط مسجل بعنوان «دروس التفسير بالحرم» بتاريخ ١٤ رجب ١٤٣٣ هـ.

(٤٨) عدم ضبط وفهم متىٰ يخرج الرجل من دائرة أهل السنة والجماعة

هذه المسألة من أخطر المسائل في أوساط الدعوة والدعاة، وهي جديرة بأن تحرر تحريرًا كافيًا شافيًا وافيًا في غير هذا المختصر، **والخلاصة**: أن العلماء رحمهم الله قالوا: يخرج الرجل من دائرة أهل السنة والجماعة **بأمرين**:

١- أن يخالف أصلًا من أصول أهل السنة والجماعة فيبدَّع بذلك.

٢- أن يخالف في جزئيات كثيرة تُنَزَّل منزلة ذلك الكلّي فيبدَّع بذلك، كل ذلك إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع.

قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «ويجري مجرىٰ القاعدة الكلية كثرة الجزئيات، فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة عاد ذلك علىٰ كثير من الشريعة بالمعارضة، كما تصير القاعدة الكلية معارضة أيضًا» اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «من خالف الكتاب المستبين والسنة المستفيضة أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافًا لا يعذر فيه فهذا يعامل بما يعامل به أهل البدع» اهـ.

وقال علماء اللجنة الدائمة[(٣)]: «...أمارة هذه الفِرَقِ -يعني: الثنتين والسبعين- التي بها تُعرَف: مفارقة **الكتاب والسنة والإجماع** بلا تأويل يتفق مع لغة القرآن وأصول الشريعة ويُعْذَرُ به صاحبه فيما أخطأ فيه» اهـ.

فإدخال من ليس من أهل السنة في دائرة أهل السنة، وإخراج من كان

---

(١) «الاعتصام» (٢/ ٧١٢).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٤/ ١٧٢).

(٣) «فتاوىٰ اللجنة الدائمة» المجموعة الأولىٰ (٢/ ٢٢٣).

من أهل السنة من دائرة أهل السنة أمر شديد، والحكم على الأديان أشد من الحكم على الأبدان[1].

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «إخراج الناس من السنة أمر شديد» اهـ.

---

(١) انظر كلام العلماء في ضابط هذه المسألة الخطيرة: «الاعتصام» للشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣/ ١٣٩)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٩/ ٣٢٧)، «مجموع الفتاوىٰ» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣/ ٣٤٦) (٤/ ١٥٥) (١٠/ ٣٨٣-٣٨٤) (٢٤/ ١٧٢) (٣٥/ ٤١٤)، «سلسلة الهدىٰ والنور» الصوتية للإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٧٨٥/ الوجه الثاني)، «تحفة المجيب» للإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص (١١١)، و«غارة الأشرطة» (١/ ١٥٦)، «فقه العبادات» للإمام ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص (٨١)، و«فتاوىٰ أركان الإسلام» ص (٢٢-٢٦)، و«مجموع فتاوىٰ ورسائل العثيمين» (١/ ٣٨-٤١)، «شرح الأفنان والعمل الأسنىٰ» (صوتي) للعلامة زيد بن هادي المدخلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) رواه الخلال في كتاب «السنة» (٢/ ٣٧٣).

﴿٤٩﴾ التبديع بالمعاصي

لا شك أن المعاصي فسوق ويسمىٰ أهلها فساق الشهوات، والبدع كذلك فسوق ويسمىٰ أهلها فساق الشبهات، والبدعة تسمىٰ بدعة ومعصية، والمعصية تسمىٰ معصية ولا تسمىٰ بدعة، وفساق الشبهات أشد خطرًا من فساق الشهوات.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قبور أهل السنة من أهل الكبائر روضة، وقبور أهل البدعة من الزهاد حفرة، فُسَّاق أهل السنة أولياء الله، وزهاد أهل البدعة أعداء الله» اهـ.

فمن وقع في المعاصي كشرب الخمر مثلًا، أو الزنىٰ، أو غير ذلك من المعاصي لا يقال عنه: مبتدع وإنما يقال: هو عاص وفاسق بشهوته، أما من وقع في البدع كأن يكون خالف أصلًا من أصول أهل السنة والجماعة أو أغرق في الجزئيات؛فإنه يُبَدَّع إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع.

---

(١) «طبقات الحنابلة» (١/ ١٨٤).

(٥٠) الخلاف بسبب الترحم علىٰ بعض أهل البدع

لقد اشتهر نكير بعض الدعاة علىٰ بعضٍ في مسألة الترحم علىٰ أهل البدع، والحق أن يقال: إن **الميت من أهل البدع لا يخلو من حالين**:

الأولىٰ: من كانت بدعته مكفّرة، وقد قامت عليه الحجة: فهؤلاء لا يجوز الترحم عليهم؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٨٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة:١١٣].

والحال هذه ليست محل البحث والخلاف.

الثانية: من كانت بدعته غير مكفّرة، ولا تخرجه بدعته عن الإسلام:

فهذا حكمه حكم عامة المسلمين تجوز الصلاة عليه، ويُدعىٰ له بالمغفرة والرحمة في الصلاة علىٰ الجنازة وخارجها.

ولا أعلم أحدًا من أهل السنة قال بمنع الترحم علىٰ أهل البدع مطلقًا، فهذا قول الخوارج المارقين وأهل الضلال المنحرفين عن الحق المبين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «**لا خلاف** في جواز الترحم علىٰ المؤمنين» اهـ وفساق الشبهات من المؤمنين.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «فكل مسلم لم يُعلم أنه منافق جاز الاستغفار له والصلاة عليه، وإن كان فيه بدعة أو فسق» اهـ

وقال العلامة ربيع المدخلي حفظه الله[(٣)]: «أما الترحم علىٰ أهل البدع،

---

(١) «جلاء الأفهام» ص (١٥٩).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٥/ ٢٣٥).

(٣) «مجموع كتب ورسائل وفتاوىٰ الشيخ ربيع بن هادي المدخلي» (١٤/ ١٥٩).

فإنه يجوز الترحم عليهم، وهذا شيء عليه السلف الصالح ومنهم أحمد بن حنبل، ودل علىٰ ذلك نصوص من كتاب الله تبارك وتعالىٰ ومن سنة رسول الله ﷺ، والذي ينازع في هذا جاهل ضال» اهـ

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تفصيل بديع في هذه المسألة حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «من علم منه النفاق والزندقة فإنه لا يجوز لمن علم ذلك منه الصلاة عليه.

وإن كان مظهرًا للإسلام فإن الله نهىٰ نبيه عن الصلاة علىٰ المنافقين، فقال: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة:٨٤].

وقال: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ [المنافقون:٦].

وأما من كان مظهرًا للفسق مع ما فيه من الإيمان كأهل الكبائر، فهؤلاء لا بد أن يصلي عليهم بعض المسلمين، ومن امتنع من الصلاة علىٰ أحدهم زجرًا لأمثاله عن مثل ما فعله، كما امتنع النبي ﷺعن الصلاة علىٰ قاتل نفسه، وعلىٰ الغالّ، وعلىٰ المدين الذي لا وفاء له، وكما كان كثير من السلف يمتنعون من الصلاة علىٰ أهل البدع كان عمله بهذه السنة حسنًا.

فإذا كان في ذلك مثل هذه المصلحة الراجحة كان ذلك حسنًا، ومن صلىٰ علىٰ أحدهم يرجو له رحمة الله، ولم يكن امتناعه مصلحة راجحة، كان ذلك حسنًا، ولو امتنع في الظاهر ودعا له في الباطن ليجمع بين

(١) «الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٣/ ١٨).

ومن العلماء المعاصرين الذين نصوا علىٰ جواز الترحم علىٰ أهل البدع:

الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «سلسلة الهدىٰ والنور» شريط رقم (٦٦٦).

والإمام ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في فتاوىٰ الحرم المكي (١٤١٢هـ) شريط رقم (١٥).

والإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مجموع فتاوىٰ ومقالات الشيخ ابن باز» (١٣/ ١٦١).

المصلحتين كان تحصيل المصلحتين أولىٰ من تفويت إحداهما.

وكل من لم يعلم منه النفاق وهو مسلم يجوز الاستغفار له، والصلاة عليه، بل يشرع ذلك، ويؤمر به، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [محمد:١٩].

وكل من أظهر الكبائر فإنه تسوغ عقوبته بالهجر وغيره، حتىٰ ممن في هجره مصلحة له راجحة فتحصل المصالح الشرعية في ذلك بحسب الإمكان، والله أعلم» اهـ(١).

(١) قال الشيخ عبد العزيز البرعي حفظه الله معلّقًا علىٰ هذه الفقرة: «وأيضًا فإن الترحم علىٰ المبتدع والعاصي ليس لإجلاله بل رحمة به لعل الله أن يغفر له، فليس قولك في شأن مبتدع أو فاسق: رحمه الله، كقولك: قال البخاري رحمه الله».

﴿٥١﴾ الخلاف في وسائل الدعوة هل هي توقيفية أم اجتهادية؟

يحصل بين بعض الدعاة خلاف شديد في هذه المسألة وهي مسألة اجتهادية يسوغ فيها الخلاف، وقد اختلف فيها كبار علماء العصر، فمن العلماء من قال: وسائل الدعوة توقيفية وهو قول أكثرهم[١]، ومن العلماء من قال: وسائل الدعوة اجتهادية[٢]، ومن العلماء من قال بالتفصيل[٣] وهو الحق، فالوسائل المشروعة التي لا تخالف الكتاب والسنة مشروعة، والوسائل التي تخالف الكتاب والسنة ممنوعة[٤].

---

(١) انظر: رسالة «الحجج القوية علىٰ أن وسائل الدعوة توقيفية» للشيخ عبد السلام بن برجس رَحِمَهُ اللَّهُ، وقال في خلاصة الرسالة: «وممن قال إن وسائل الدعوة توقيفية: شيخ الإسلام ابن تيمية، والتويجري، وبكر أبو زيد، والألباني، وابن باز، وغيرهم، رحمة الله علىٰ الجميع».

قلت: وكذلك الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «لقاء الباب المفتوح» لقاء رقم (١٣٥).

(٢) كالشيخ عبد المحسن العبّاد علىٰ سبيل المثال. صوتية (هل وسائل الدعوة توقيفية).

(٣) كالشيخ مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «قمع المعاند» (٢/ ٣٩٦-٣٩٧)، والشيخ صالح الفوزان كما في «الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة» ص (٢٤-٢٥) حيث قال: «مناهج الدعوة توقيفية، أما الوسائل التي جدّت فيستفاد منها» ففرّق بين المناهج والوسائل، والشيخ صالح آل الشيخ قال: «من قال: إن وسائل الدعوة توقيفية فقد أخطأ، ومن قال: إن وسائل الدعوة اجتهادية فقد أخطأ، والصواب التفصيل»(صوتي).

(٤) قال الشيخ عبد العزيز البرعي حفظه الله معلّقًا علىٰ هذه الفقرة: «الذي يظهر أن الخلاف صوري، فمن قال: وسائل الدعوة اجتهادية قال: يشترط أن لا تصدم بنص، والذين قالوا: هي توقيفية، جعلوا كل فرع مرتبطًا بأصل، فجعلوا أشياء كثيرة من المستجدات الدعوية داخلة ضمن أدلة نشر العلم أو ضمن أدلة الدعوة إلىٰ الله هي نفسها يسميها الآخرون اجتهادية، فالتقىٰ الجميع والحمد لله» اهـ

﴿٥٢﴾ عدم الموازنة في فقه المفاسد والمصالح وفقه المآلات

لا شك أن تقدير المصالح والمفاسد والموازنة بينهما في الدعوة ليس أمرًا هيّنًا، بل هو دقيق جدًا كدقة ميزان الذهب، وهو والحمد لله منضبط بضوابط الشَّرع ونصوصه وقواعده، ولا يصلح أن يقوم به إلا أهل العلم والخبرة، الذين عرفوا نصوص الكتاب والسنة، ودرسوا مقاصد التشريع الإسلامي وميَّزوا بين أولويات الأحكام، وعرفوا كما قال شيخ الإسلام خير الخيرين وشر الشرين حتىٰ يقدِّموا عند التزاحم خيرَ الخيرين ويتركوا شر الشرين في العمل[١]، فليس كل ما يُعلم يقال، ولا كل ما يقال قد جاء زمانه، ولا كل ما جاء زمانه جاء مكانه، ولا كل ما جاء زمانه ومكانه جاء رجاله، ولا كل ما حضر رجاله حضرت أحواله، ولا كل ما حضرت أحواله أُمِن عواره[٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إن الشريعة مبناها علىٰ تحصيل المصالح بحسب الإمكان، وأن لا يفوت منها شيء، فإن أمكن تحصيلها كلها حصلت، وإن تزاحمت ولم يمكن تحصيل بعضها إلا بتفويت البعض، قُدِّم أكملها وأهمها وأشدها طلبًا للشرع» اهـ.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٠/ ٥١٢)، و«الاستقامة» (١/ ٤٣٩).

(٢) «نفائس الأصول في شرح المحصول» للقرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٦/ ٢٦٩٠) بتصرف.

تنبيه: هناك دورة علمية نفيسة في فقه الموازنة بين المفاسد والمصالح للشيخ سليمان الرحيلي حفظه الله، أنصح بسماعها (أقيمت الدورة في الإمارات، وتجدها في موقع الإمام الآجري رحمه الله).

(٣) «مفتاح دار السعادة» (ص: ٣٤٧).

(٥٣) مسابقة الصغار للكبار في التبديع والتفسيق والهجر، وغير ذلك من المسائل العظام

إن من يعيش في الساحة الدعوية يرىٰ ويسمع هذا الواقع الذي ليس له من دون الله دافع، وهذه الراجفة التي ليس لها من دون الله كاشفة، وهي مسابقة الصغار للكبار في مسائل قد يحتار فيها الكبار، وتتساقط فيها عمائم الأحبار، فتجد صغار طلاب العلم يبدّعون فلانًا من الناس قبل أن يبدّعه العلماء الكبار، ويأمرون بهجره قبل أن يأمر بهجره العلماء الكبار، بل قد يحكم الطالب الصغير علىٰ شيخه بالبدعة، كل ذلك بالجهل والهوىٰ.

والحكم علىٰ الأشخاص من المسائل الاجتهادية التي يجب إرجاعها إلىٰ العلماء، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾ [النساء:٨٣](١).

فهذه المسألة قد راجت وماجت وشرّقت وغرّبت ومزقت الدعوة وسببت لها الصداع المزمن، فأصبح يتكلم في مسألة الجرح والتعديل الكبار والصغار، والرجال والنساء، والعلماء والجهّال، علىٰ كل المقاسات(٢) وعلىٰ جميع المستويات، مع أن علماء الجرح والتعديل علىٰ مر العصور عددهم محصور أوصلهم الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣) إلىٰ (٧١٥)،

(١) هناك صوتية للشيخ سليمان الرحيلي حفظه الله بعنوان «الصغار يحكمون علىٰ المشايخ الكبار» فاسمعها غير مأمور.

(٢) للشيخ عبد العزيز البرعي حفظه الله كلام نفيس في هذا الموضوع اسمعه غير مأمور (صوتي)، حيث قال حفظه الله: «أصبح الجرح والتعديل في هذا الزمن علىٰ جميع المقاسات، رجالي، ونسائي، وولادي».

(٣) «ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل» مطبوع ضمن كتاب «أربع رسائل في علوم الحديث» للإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهذا العدد من علماء الجرح والتعديل علىٰ مر سبعة قرون من الزمن علىٰ اختلاف عصورهم وأمكنتهم عدد قليل بالنسبة لتلك العصور المزدهرة بالرواية والتي كانت فيها شدة الحاجة للجرح والتعديل، أما اليوم فهذا العدد من المجرّحين والمعدّلين قد يوجد في بلد واحد وفي زمن واحد.

(٥٤) اختلاف المتشدد مع المتوسط والمتساهل في مسائل الجرح والتعديل في هذا العصر

العلماء ليسوا علىٰ مستوىٰ واحد في العلم والعقل والدِّين، وكذلك في المنهج، فمناهج المحدّثين علىٰ سبيل المثال متفاوتة، فمنهم المتشدد ومنهم المتوسط ومنهم المتساهل، ولم يشنّع علماء كل طبقة علىٰ الطبقة الأخرىٰ ويخطئها، وهكذا في عصرنا نرىٰ كبار علمائنا الأجلاء منهم من يشد علىٰ أهل البدع والأهواء والأحزاب الضالة، ويتخصص في الردود عليهم، ويُشكَر علىٰ ذلك، ومنهم من لم يكن مثله في الردود علىٰ أهل البدع والأهواء وإنما اشتغل بالتأليف والتحقيق والتصحيح والتضعيف ويُشكَر علىٰ ذلك، ومنهم من اشتغل بالتدريس وعلم الفقه والعقيدة والتفسير ونفع الله به نفعًا عظيمًا، ومنهم من جمع الله له ما تفرق عند غيره، ومع هذا يحب بعضهم بعضًا ويحترم بعضهم بعضًا ويشيد بعضهم ببعض ويثني بعضهم علىٰ بعض، وخرجوا من هذه الدنيا وهم علىٰ ذلك، ولكن بلينا ببعض الشباب الذين يريدون من الدعاة والعلماء أن يكونوا علىٰ نفس طريقتهم ومنهجهم وأسلوبهم في التحذير من أهل البدع رفعًا وخفضًا وإلا رُمِيْتَ بالتميّع والتساهل والغفلة[١]...

ومن العجيب الذي نشاهده في هذا العصر أن بعضهم شديد علىٰ المخالفين بلسانه وفي واقعه خلاف ذلك، وبعض من يقال عنه من

---

(١) قال الشيخ عبد العزيز البرعي حفظه الله معلّقًا علىٰ هذه الفقرة: «وهذه الطريقة غير صحيحة بل خاطئة، بحيث طغت مادة الخصومة علىٰ الجرح والتعديل» اهـ

المتساهلين تجده في الواقع من أبعد الناس عن أهل البدع والأهواء وإن كان كلامه فيهم قليلًا، فالشدة علىٰ المخالف بالقول فقط ليست ميزانًا يُحْكَم علىٰ من خالفها بالتساهل.

(٥٥) التميّع والذوبان مع أهل البدع والأهواء والأحزاب الضالة وعدم التميز عنهم منهج ضال، مخالف للقرآن والسنة وما عليه سلف الأمة

قال تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران:١٧٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[هود:١١٣].

وقد حذر النبي ﷺمن جليس السوء حيث قال ﷺ: «مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»[(١)].

وقد **أجمع** سلفنا الصالح علىٰ وجوب مجانبة أهل البدع ومخالطتهم[(٢)].

فالتميّع وعدم التميّز عن أهل البدع والأهواء فيه مفاسد عظيمة، منها:

١- تغرير الناس البسطاء بأصحاب هذه الفرق والجماعات، فيتأثرون بمناهجهم وعقائدهم وسلوكياتهم، خاصة عندما يكون هذا المبتدع داعية إلىٰ بدعته ومنهجه وطريقته الفاسدة.

٢- عدم التميز عن أهل البدع والأهواء فيه اغترار أصحاب هذه المناهج

---

(١) متفق عليه: «البخاري» (٥٥٣٤)، «مسلم» (٢٦٢٨) عن أبي موسىٰ الأشعري ﷺ.
وقد ذكرت هذه المسألة في كتابي: «السطور الذهبية في بيان أهداف وثمار دور الحديث السلفية في الديار اليمنية» ص (٦٩) تحت فقرة «التَّميُّز عن بقيَّة الدَّعوات المخالفة لدعوة أهل السُّنة والجماعة السَّلفيِّين»، وكتابي: «أقوال العلماء المعاصرين في حكم التعاون مع المخالفين».

(٢) لمزيد الفائدة: انظر «عقيدة السلف» للصابوني، وكتاب «إجماع العلماء علىٰ الهجر والتحذير من أهل الأهواء» لخالد بن ضَحوي الظَّفيري.

والفرق المبتدعة بأنفسهم فيظنون أنهم علىٰ حق، وأنهم يحسنون صنعًا.

٣- عدم التميز عن أهل البدع يوجب الألفة والمحبة مع الوقت والسكوت عن منكراتهم، وهذا فيه تعطيل لمسألة الولاء والبراء وهو أصل من أصول الدِّين.

٤- إذا لم يكن هناك تميّز عن أهل البدع فلن تكون هناك سنة صافية من الكدر، ويصبح الناس في أمر مريج لا يميّزون بين السنة والبدعة والحق والباطل.

٥- عدم التميز عن أهل البدع فيه تقوية لهم وللباطل الذي عندهم.

٦- كيف لا يُتَمَيَّز عن أهل البدع وهم يحملون أفكارًا مسمومة، تُغَذَّىٰ بها عقول الناشئة من أبناء المسلمين، فمنهم من يُكَفِّر المسلمين، ومنهم من يطعن في العلماء الناصحين، ومنهم من يرىٰ الخروج علىٰ ولاة أمور المسلمين، ومنهم من يرىٰ التنظيمات السرية والبيعات والعهود والاغتيالات والتفجيرات، ونحن نبرأ إلىٰ الله من هذه الأفعال المخالفة للدِّين ونحذّر المسلمين من مغبة الوقوع في هذه الانحرافات، أو أن يسلّموا عقولهم وعقول أبنائهم لمن كان هذا حاله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يبين أنواع المخالطة[(١)]:

«القسم الرابع: من مخالطته الهلك كله ومخالطته بمنزلة أكل السم فإن اتفق لآكله ترياق وإلا فأحسن الله فيه العزاء، وما أكثر هذا الضرب في الناس لا كثرهم الله وهم أهل البدع والضلالة الصادون عن سنة رسول الله الداعون إلىٰ خلافها ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا ﴾ [الأعراف:٤٥]» اهـ

وقال شيخنا الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «وننصح أهل السنة أن يتميزوا وأن يبنوا

---

(١) «بدائع الفوائد» (٢/ ٢٧٥).

(٢) «تحفة المجيب» (٢٠٨).

لهم مساجد ولو من اللبن أو سعف النخل؛ فإنهم لن يستطيعوا أن ينشروا سنة رسول الله ﷺ إلا بالتميز، وإلا فالمبتدعة لن يتركوهم ينشرون السنة».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «لا تقوم السنة ولا تقوم لها قائمة إلا إذا حصل تَميُّز، وتَميَّزَ أهل السنة من أهل البدعة» اهـ

هذه بعض مفاسد التميّع وعدم التميز عن أهل البدع والأهواء، وهناك مفاسد أخرىٰ تركناها للاختصار[(٢)].

---

(١) «غارة الأشرطة» (٢/ ١٨٨).

(٢) قال الشيخ عبد العزيز البرعي حفظه الله معلّقًا علىٰ هذه الفقرة: «إن عدم التميز فيه تغرير بالبسطاء وطلبة العلم المبتدئين بأولئك المبتدعة، فيحضر دروسهم ومحاضراتهم، ويملأ جواله من كلامهم، ويشتري كتبهم، ويحث علىٰ السماع لهم بحجة أنه لم ير من أهل السنة تحذيرًا منهم» اهـ.

٥٦ تلميع بعض أهل البدع بحجة الوسطية والاعتدال

إن مسألة الوسطية والاعتدال تعلّق بها القريب والبعيد والمحق والمبطل،

وكــلٌّ يَــدَّعِي وَصْــلًا بليلــىٰ ... ولــيلىٰ لا تُقِــرُّ لهــم بِــذَاكَا

من ذلك أنك تجد بعض الدعاة يلمّع بعض رموز أهل البدع والأهواء والأحزاب الضالة، ويستدل بأقوالهم ويَذُرُّ الرماد في العيون بقوله: مع التحفظ علىٰ بعض أخطائهم، أو علىٰ بعض كتبهم، أو علىٰ بعض مقالاتهم، وإن كنت أخالفهم في بعض الأمور. إلىٰ غير ذلك من هذه العبارات المطاطة والكلمات الدبلوماسية التي لا يتفطن لها البسطاء من الناس، فإذا نصحته قال: دعك من الغلو، وعليك بالوسطية والاعتدال.

أقول: الوسَطيَّة هي الاعتدال في جميع الأمور، والتوسُّط بين الإفراط والتفريط(١).

فالإفراط: هو الغلو، ومجاوزة الحد في الشيء.

والتفريط: هو التقصير في الشيء أو تضييعه وتركه.

فليس من الغلو ولا من الهوىٰ ترك ذكر حسنات أهل البدع والأهواء المخالفين للكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة، **كما قال الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «من عظّم صاحب بدعة فقد أعان علىٰ هدم الإسلام» اهـ

وقال رافع ابن الأشرس رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «من عقوبة الفاسق المبتدع أن لا تذكر محاسنه» اهـ.

---

(١) انظر: «الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٦/ ٢٦).
(٢) «شرح السنة» للبربهاري ص (١٣٧).
(٣) «الصمت» لابن أبي الدنيا ص (٢٦٠).

فمدح أهل البدع والأهواء وذكر محاسنهم وتلميعهم يُمنع منه بقصد إخماد بدعته وإطفاء ناره، كما قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١).

بل قد نبتت نابتة مدسوسة أو محسوبة علىٰ الدعوة السلفية لم يستطيعوا النجاح واللمعان والظهور في المدارس السلفية لقوة مناهجها العلمية وقوة تمسك أهلها بالحق، فبقيت أجسادهم في الدعوة السلفية ورحلوا بأهوائهم وقلوبهم إلىٰ أهل البدع والأهواء، فتجدهم يلمّعون أهل البدع بجميع أشكالهم وأصنافهم وألوانهم ليلًا ونهارًا سرًا وجهارًا، ويصفونهم بأساطين العلماء والفقهاء -أي: الفقه المذهبي-، وأنهم من المسندين وعندهم إجازات وأسانيد عالية إلىٰ غير ذلك، ويذهبون للتتلمذ علىٰ أيديهم ودراسة الفقه علىٰ طريقة المذاهب(٢)، مع أن هؤلاء الفقهاء ربما يكونون من البسطاء في العلم جدًا، ناهيك عن الخلل في المعتقد من تصوف وبدع وشرك وخرافات وبغض لأهل السنة، وهذا المغفل أو المتغافل يرضع من هذه القاذورات ثم يمج ما ارتضعه منهم في وجوه أهل السنة ويتقيأ منهجهم الخبيث بغضًا لمراكز أهل السنة ومدارسهم ودُورهم ودعوتهم، وفي مراكز ومدارس أهل السنة فرسان في كل فن، وكل الصيد في جوف الفرا، فمنهم: العق العسل ولا تسل، ولله الحمد والمنة، ولكن كما يقال: المرعىٰ أخضر والعنز مريضة، ومن خفيت علينا بدعته لم تخف علينا ألفته(٣).

---

(١) فيما نقله عنه السخاوي في «فتح المغيث» (٢/ ٦٤).

(٢) نحن لا نمانع أن يدرس الطالب الفقه علىٰ مذهب بلاده ويتدرج فيه، بشرط أن يكون المدرس من علماء أهل السنة لا من علماء أهل البدع، وأن يتجرد الطالب للدليل من أول دراسته ولا يتعصب لهذا المذهب الذي يدرسه ويحقِّر من المخالفين له.

(٣) قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حلية طالب العلم (ص:١٦٥-١٧٠): «التلقي عن المبتدع: احذر «أبا الجهل» المبتدع، الذي مسه زيغ العقيدة، وغشيته =

=
سحب الخرافة، يحكم الهوىٰ ويسميه العقل، ويعدل عن النص، وهل العقل إلا في النص؟! ويستمسك بالضعيف ويبعد عن الصحيح، ويقال لهم أيضـًا: «أهل الشبهات»، و«أهل الأهواء»، ولذا كان ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ يسمىٰ المبتدعة: «الأصاغر».

وعن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «لا يؤخذ العلم عن أربعة: سفيه يعلن السفه وإن كان أروىٰ الناس، وصاحب بدعة يدعو إلىٰ هواه، ومن يكذب في حديث الناس، وإن كنت لا أتهمه في الحديث، وصالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يحدث به» اهـ.

فيا أيها الطالب... لا تأخذ عن مبتدع: رافضي، أو خارجي، أو مرجئ، أو قدري، أو قبوري...، وهكذا، فإنك لن تبلغ مبلغ الرجال -صحيح العقد في الدين، متين الاتصال بالله، صحيح النظر، تقفو الأثر- إلا بهجر المبتدعة وبدعهم.

وكتب السير والاعتصام بالسنة حافلة بإجهاز أهل السنة علىٰ البدعة، ومنابذة المبتدعة، والابتعاد عنهم، كما يبتعد السليم عن الأجرب المريض، ولهم قصص وواقعيات يطول شرحها، لكن يطيب لي الإشارة إلىٰ رؤوس المقيدات فيها:

فقد كان السلف رحمهم الله تعالىٰ يحتسبون الاستخفاف بهم، وتحقيرهم ورفض المبتدع وبدعته، ويحذرون من مخالطتهم، ومشاورتهم، ومؤاكلتهم، فلا تتوارىٰ نار سني ومبتدع.

وكان من السلف من لا يصلّي علىٰ جنازة مبتدع، فينصرف، وقد شوهد من العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم (م سنة ١٣٨٩ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، انصرافه عن الصلاة علىٰ مبتدع.

وكان من السلف من ينهىٰ عن الصلاة خلفهم، وينهىٰ عن حكاية بدعهم؛ لأن القلوب ضعيفة، والشبه خطافة.

وكان سهل بن عبد الله التستري لا يرىٰ إباحة الأكل من الميتة للمبتدع عند الاضطرار؛ لأنه باغ، لقول الله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ﴾ الآية [البقرة:١٧٣]، فهو باغ ببدعته.

وكانوا يطردونهم من مجالسهم، كما في قصة الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ مع من سأله عن كيفية الاستواء، وفيه بعد جوابه المشهور: «أظنك صاحب بدعة»، وأمر به، فأخرج.

وأخبار السلف متكاثرة في النفرة من المبتدعة وهجرهم، حذراً من شرهم، وتحجيمًا لانتشار بدعهم، وكسرًا لنفوسهم حتىٰ تضعف عن نشر البدع، ولأن في معاشرة السني للمبتدع تزكية له لدىٰ المبتدئ والعامي -والعامي: مشتق من العمىٰ، فهو بيد من يقوده غالبـًا-.

ونرىٰ في كتب المصطلح، وآداب الطلب، وأحكام الجرح والتعديل: الأخبار في هذا.
=

=

فيا أيها الطالب كن سلفيًا على الجادة، واحذر المبتدعة أن يفتنوك، فإنهم يوظفون للاقتناص والمخاتلة سبلًا، يفتعلون تعبيدها بالكلام المعسول -وهو: (عسل) مقلوب- وهطول الدمعة، وحسن البزة، والإغراء بالخيالات، والإدهاش بالكرامات، ولحس الأيدي، وتقبيل الأكتاف... وما وراء ذلك إلا وحم البدعة، ورهج الفتنة، يغرسها في فؤادك، ويعتملك في شراكه، فو الله لا يصلح الأعمى لقيادة العميان وإرشادهم.

أما الأخذ عن علماء السنة، فالعق العسل ولا تسل، وفقك الله لرشدك، لتنهل من ميراث النبوة صافيًا، وإلا فليبك على الدين من كان باكيًا.

وما ذكرته لك هو في حالة السعة والاختيار، أما إن كنت في دراسة نظامية لا خيار لك، فاحذر منه، مع الاستعاذة من شرّه، باليقظة من دسائسه على حد قولهم: «اجن الثمار وألق الخشبة في النار»، ولا تتخاذل عن الطلب، فأخشى أن يكون هذا من التولي يوم الزحف، فما عليك إلا أن تتبين أمره وتتقي شرّه وتكشف ستره.

ومن النتف الطريفة أن أبا عبد الرحمن المقرئ حدّث عن مرجئ، فقيل له: لم تحدث عن مرجئ؟ فقال: «أبيعكم اللحم بالعظام».

فالمقرئ رَحِمَهُ اللَّهُ حدّث بلا غرر ولا جهالة إذ بين فقال: «وكان مرجئًا».

وما سطرته لك هنا هو من قواعد معتقدك، عقيدة أهل السنة والجماعة، ومنه ما في «العقيدة السلفية» لشيخ الإسلام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (م سنة ٤٤٩ هـ)، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين، ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالأذان وقرت في القلوب، ضرت وجرت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرت وفيه أنزل الله عزّ وجلّ قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام:٦٨]» اهـ

والنووي رَحِمَهُ اللَّهُ قال في كتاب «الأذكار»: «باب: التبري من أهل البدع والمعاصي».

وذكر حديث أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بريء من الصالقة، والحالقة، والشاقة. متفق عليه.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا براءته من القدرية. رواه مسلم.

والمبتدعة إنما يكثرون ويظهرون، إذا قل العلم، وفشا الجهل. وفيهم يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن هذا الصنف يكثرون ويظهرون إذا كثرت الجاهلية

=

٥٧ التحذير من الساكت في الحكم علىٰ بعض الدعاة أو المتوقف فيهم للتبيّن خطأ بيّن

أقول: إن الدعاة علىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: إمام في الضلالة متفق عليه، فهذا يجب التحذير منه ومن شرّه قولًا واحدًا.

القسم الثاني: إمام في السنة متفق عليه، فهذا من حذّر منه يُحَذَّر منه.

القسم الثالث: ليس بإمام في السنة ولا إمام في البدعة وإنما هو لا يعدو أن يكون طالب علم وداعية اختلفت فيه أقوال العلماء، فمنهم من يبدّعه ومنهم من يسنّنه، فمن بدّعه بعلم لا يُنْكَر عليه، ومن لم يبدّعه بعلم لا يُنْكَر عليه، ومن توقّف فيه لا يُنْكَر عليه؛ لأنه خلاف في شخص وهو خلاف سائغ، إلا إذا اتفق علماء السنة علىٰ ضلاله.

قال الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «وقد اختلف الأئمة من أهل العلم في تضعيف الرجال كما اختلفوا في سوىٰ ذلك من العلم» اهـ.

وقال المنذري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في رسالة في الجرح والتعديل**[(٢)]: «اختلاف هؤلاء كاختلاف الفقهاء كل ذلك يقتضيه الاجتهاد» اهـ.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «فقد يعتقد أحد المجتهدين ضعف رجل، ويعتقد الآخر ثقته وقوّته، وقد يكون الصواب مع المضعِّف؛ لاطلاعه علىٰ سبب خفي علىٰ الموثّق، وقد يكون الصواب مع الآخر؛ لعلمه بأن ذلك

=

وأهلها، ولم يكن هناك من أهل العلم بالنبوة والمتابعة لها من يظهر أنوارها الماحية لظلمة الضلال، ويكشف ما في خلافها من الإفك والشرك والمحال» اهـ

فإذا اشتد ساعدك في العلم، فاقمع المبتدع وبدعته بلسان الحجة والبيان، والسلام» اهـ

(١) «العلل الصغير» ص (٧٥٦).

(٢) «رسالة في الجرح والتعديل» ص (٤٧).

(٣) «الصواعق المرسلة» (٢/ ٥٥٦).

السبب غير قادح في روايته وعدالته...» اهـ.

وقال العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللهُ **في شريط «الدرر في أجوبة عبس وشفر»:** «نحن متفقون علىٰ جرح أصحاب البدع والحزبيين، متفقون علىٰ هذا، بقي في أناس هم عند شخص من المجروحين، وعند آخر ليسوا من المجروحين، هذا حدث علىٰ عهد السلف؛ فرُبّ راوٍ يقول فيه أحمد بن حنبل: ثقة، ويقول فيه يحيىٰ بن معين: كذاب، أو العكس، وهكذا البخاري وأبو زُرعة وأبو حاتم.

والمهم لا يقلّد بعضهم بعضًا؛ فإذا اختلفنا في توثيق شخص وتجريحه فليس معنىٰ هذا أننا مختلفون في العقيدة! وليس معنىٰ هذا أننا مختلفون في الاتجاه» اهـ.

قلت: لله درّك، نعم الأصل أن الاختلاف في الأشخاص المختلف فيهم ليس اختلافًا في الاتجاه والسنة(١)، وامتحان الناس إنما يكون بالقرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، والإجماع الصحيح، وعقيدة أهل السنة والجماعة، وفهم الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، وأصول أهل السنة والجماعة، والأئمة الأعلام، كالإمام أحمد، ومالك، والإمام ابن باز، والألباني... ومن كان مثلهم، هذا هو الميزان السلفي.

---

(١) قال الشيخ عبد العزيز البرعي حفظه الله معلّقًا علىٰ هذه الفقرة: «الرجل المختلف فيه إذا كان حيًا فهذا الغالب الأغلب فيه الانحراف؛ لأنه لم يرحم الدعوة ولا علماءها، فهو يراهم مختلفين فيه وهو واضع رجلًا علىٰ أخرىٰ وكأن الأمر لا يعنيه، وكان يقدر أن يجلو حاله لهم ويقول لهم: دعوتي دعوتكم وأنا أخوكم وليس عندي سوىٰ ما عندكم، ثم يزورهم ويستزيرهم ويحاضرون عنده ويخطبون ويحاضر عندهم ويخطب وينتهي كل شيء، إذًا سكوته دال علىٰ لوث» اهـ.

﴿٥٨﴾ إن لم تكن معي فأنت ضدي مطلقًا بغير قواعد علمية أو ضوابط شرعية

لا شك أن هذا مبدأ فاسد لو كان هذا حاصلًا بين أهل الحق من أهل السنة والجماعة، فقد اختلف الصحابة في مسائل كثيرة، ولم يقل واحد منهم: إن لم تكن معي فأنت ضدي. واختلف الأئمة الأربعة، أصحاب المذاهب المتبعة، في مسائل كثيرة، ولم يقل واحد منهم: إن لم تكن معي فأنت ضدي. واختلف علماء الحديث، كالبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وأبي داود، ولم يقل واحد منهم: إن لم تكن معي فأنت ضدي. واختلف الألباني، والباز، والعثيمين، والوادعي، في مسائل كثيرة، اختلفوا في الحكم علىٰ بعض الرجال، واختلفوا في مسائل علمية فرعية، واختلفوا في مسائل فقهية، واختلفوا في التصحيح والتضعيف، واختلفوا في مسائل كثيرة، ولم يقل واحد منهم للآخر إن لم تكن معي فأنت ضدي.

وصدق العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ حينما قال عن هذا المبدأ[(١)]: «ومبدأ (من ليس معي فهو عليّ) مبدأ خبيث» اهـ

أي: إذا كنت معي فأنت قدّيس، وإذا كنت ضـدّي فأنت إبليس.

ولسان حالهم يقول: إذا لم تتفق معي في كل تفاصيل حياتي ودعوتي وأحكامي وحبي وبغضي وأسلوبي وطريقة اجتهادي فأنت ضدي في الهدف والرسالة والمنهج.

فلم يكن الأمر سجالاً علميًا بين المختلفين يصوّبه الدليل، ويزيّنه

(١) «مجموع فتاوىٰ ورسائل العثيمين» (٢٦/ ٢٣٩).

الأدب، ويحتويه الحلم والعلم؛ بل هي شهوات وشبهات؛ ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠].

وصدق النبي ﷺ حينما قال عندما ذُكر عنده الدجال: «لَفِتْنَةُ بَعْضِكُمْ أَخْوَفُ عِنْدِي مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ...»(١).

وكان شيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **يقول:** «أخوف ما أخاف على الدعوة من أهلها».

(١) **صحيح** رواه «أحمد» (٢٣٣٠٤)، و«ابن حبان» (٦٨٠٧) عن حذيفة رضي الله عنه، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٣٠٨٢)، وشيخنا الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (٣٠٦).

(٥٩) عدم ضبط وفهم أنواع الخلاف

من المسائل المهمة التي يحتاجها الداعية ويتشبع بفهمها ودراستها وتحقيقها ضبط وفهم أنواع الخلاف بأقسامه الثلاثة: خلاف التنوع، وخلاف الأفهام، وخلاف التضاد.

١- **خلاف تنوع**: وهو الخلاف بسبب ورود النص بهذا وهذا، تخييرًا وتوسعة للمسلمين، فهو خلاف مشروع، والأفضل العمل بهذا أحيانًا وبهذا أحيانًا، ومن اقتصر علىٰ عمل أحدهما فلا بأس.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «والقاعدة: أن العبادات الواردة علىٰ وجوه متنوِّعة، ينبغي للإنسان أن يفعلها علىٰ هذه الوجوه، وتنويعها فيه فوائد:

أولاً: حفظ السُّنَّة، ونشر أنواعها بين النَّاس.

ثانيًا: التيسير علىٰ المكلَّف، فإن بعضها قد يكون أخفَّ من بعض فيحتاج للعمل.

ثالثًا: حضور القلب، وعدم مَلَله وسآمته.

رابعًا: العمل بالشَّريعة علىٰ جميع وجوهها» اهـ.

٢- **خلاف أفهام**: وهو الخلاف الذي يكون بسبب الاختلاف في فهم الدليل، أو الاختلاف في ثبوته، أو في نسخه، أو في الجمع بينه وبين غيره من الأدلة، وهذا النوع من الخلاف جائز، كل واحد يرجح ما يراه بالدليل ويعمل بالراجح، فمن أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر، وللأسف الشديد أكثر خلاف أهل السنة في هذا النوع من أنواع الخلاف.

---

(١) «الشرح الممتع» (٢/ ٥٦-٥٧).

٣- **خلاف تضاد:** وهو مخالفة النص الصحيح الصريح بلا تأويل سائغ، وهذا النوع الثالث من أنواع الخلاف هو المذموم والمحرّم لما فيه من المشاقة لله ورسوله واتباع لغير سبيل المؤمنين[(١)].

(١) ومن العلماء من قال: الخلاف ينقسم إلىٰ قسمين:

١- خلاف تنوع ٢- خلاف تضاد.

وخلاف التضاد ينقسم إلىٰ قسمين:

١- خلاف سائغ معتبر، وهو خلاف الأفهام، وهو جائز.

٢- خلاف غير سائغ ولا معتبر، وهو المذموم المحرّم.

فالأول إنما هو اختلاف في الفهم، لا يصادم نصًّا ولا إجماعًا، والثاني لا يعتمد علىٰ الأدلة الشرعية، وإنما يعتمد في الغالب علىٰ الهوىٰ والرأي المجرد، أو الأدلة الضعيفة البعيدة المأخذ.

انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/ ١٤٩-١٥٣).

﴿٦٠﴾ الخلاف علىٰ تشييخ فلان وعدم تشييخه

في بعض الأحيان يحصل بسبب هذه الجزئية اليسيرة خلاف بين الدعاة، فمن الدعاة من يقول: فلان شيخ. ومن الدعاة من يقول: ليس بشيخ. وقد تحصل بين الدعاة فتنة بسبب هذه المسألة، وضابط هذه المسألة أن يقال والله أعلم: إنها تقاس علىٰ قول العلماء المتقدمين في معرفة الراوي الثقة أو غير الثقة وأنه **يُعْرَف بواحد من اثنين**:

الأول: بتنصيص العلماء أنه ثقة أو غير ثقة، فإذا نص العلماء أن الراوي فلانًا ثقة فهو ثقة، وإذا نصوا أنه غير ثقة فهو غير ثقة.

الثاني: بالشهرة والاستفاضة بين الناس، فإذا اشتهر واستفاض بين الناس أن الراوي ثقة فهو ثقة، وإذا اشتهر واستفاض بين الناس أن الراوي فلانًا غير ثقة فهو غير ثقة[١].

وهذا معلوم عند أهل العلم، فنسحب هذه المسألة علىٰ مسألة التشييخ، فإذا نص العلماء وقالوا: فلان شيخ؛ فهو شيخ.

أو إذا استفاض بين الناس من أهل السنة استفاضة كبيرة واسعة أنه شيخ فهو شيخ.

وهناك قياس آخر نقيس عليه هذه المسألة: وهي دراسة الطالب في المدارس النظامية، فإنه يدرس اثنتي عشرة سنة للتأسيس والتأصيل، وهي الابتدائي والمتوسط والثانوي، ثم يدرس بعدها دراسات عليا مثلها في الزمن أو أقل منها بقليل وهي الجامعة والماجستير والدكتوراه، ثم يحصل

---

(١) قال في «اختصار علوم الحديث»: (ص:٩٣): «وتثبت عدالة الراوي باشتهاره بالخير والثناء الجميل عليه، أو بتعديل الأئمة، أو اثنين منهم له، أو واحد علىٰ الصحيح، ولو بروايته عنه في قول».

بعد ذلك علىٰ لقب الدكتوراه بدون منازع، فلتكن هذه مثل هذه علىٰ أقل تقدير مع وجود الفرق الواسع والبون الشاسع بين الدراسة في المدارس والدراسة في المساجد، فالدراسة في المساجد عند التحقيق أكثر نظامًا وأنضج دراسة في السابق واللاحق.

ويقال كذلك: كما أنه يقال للشخص: طالب وهو في المراحل الأولىٰ من الدراسة بلا نكير، مع أن الطلاب درجات، فهناك طالب علم مبتدئ، وطالب علم متوسط، وطالب علم متقدم قوي، لكن تجمعهم كلمة طالب علم، كذلك يقال مثل هذا في كلمة شيخ(١).

(١) **تنبيه**: تطلق كلمة شيخ علىٰ عدة معان:

١- **شيخ في علم الشريعة، وهو في اصطلاحنا المعاصر: من بلغ مرتبة في العلم والخطابة، يصلح أن يكون قدوة للناس، وكل شيخ بحسبه.**

٢- **شيخ لكبير السن**، ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص:٢٣].

٣- **شيخ القبيلة.**

٤- **شيخ**، وهي في المرتبة الرابعة والأخيرة من مراتب التعديل، ومنهم من جعلها في المرتبة الثالثة. انظر: «تدريب الراوي» (١/ ٤٠٤)، «الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح» (١/ ٢٦٨).

٥- **يقال للوجيه في قومه شيخ**. ولا مشاحة في الاصطلاح.

تنبيه آخر: العالِم في الاصطلاح هو: المؤهل للفتوىٰ ومنصب التعليم. وقد عقد ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «إعلام الموقعين» (١/ ٣٧) فصلًا لكلام الأئمة في أدوات الفتيا، وشروطها، ومن ينبغي له أن يفتي، فكان مما قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال الشافعي فيما رواه عنه الخطيب في كتاب «الفقيه والمتفقه» له: «لا يحل لأحد أن يفتي في دين الله إلا رجلًا عارفًا بكتاب الله، بناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وتأويله وتنزيله، ومكيه ومدنيه، وما أريد به، ويكون بعد ذلك بصيرًا بحديث رسول الله ﷺ، وبالناسخ والمنسوخ، ويعرف من الحديث مثل ما عرف من القرآن، ويكون بصيرًا باللغة، بصيرًا بالشعر وما يحتاج إليه للسنة والقرآن، ويستعمل هذا مع الإنصاف، ويكون بعد هذا مشرفًا علىٰ اختلاف أهل الأمصار، وتكون له قريحة بعد هذا، فإذا كان هكذا فله أن يتكلم ويفتي في الحلال والحرام، وإذا لم يكن هكذا فليس له أن يفتي» اهـ.

=

(٦١) أخذ العلم من الكتب دون المشايخ من غير المتأهل زلل

يقول الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «الأصل في الطلب أن

تنبيه آخر: العالِم في الحقيقة الشرعية لا يطلق إلا علىٰ العامل بعلمه الذي يخشىٰ الله تعالىٰ. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «من كان عالمًا بما أمر الله تعالىٰ به وما نهىٰ عنه فهو عالم بالشريعة، ومن لم يكن عالمًا بذلك فهو جاهل» اهـ «المستدرك علىٰ مجموع الفتاوىٰ» (١/ ١٢٨)، «مختصر الفتاوىٰ المصرية» ص (٥٨٦).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا في «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٢١): «ومما يدل علىٰ هذا المعنىٰ: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨] والمعنىٰ: أنه لا يخشاه إلا عالم؛ فقد أخبر الله أن كل من خشي الله فهو عالم كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:٩]. اهـ.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا في «مجموع الفتاوىٰ» (١١/ ٥١٣): «وكم من مُدَّعٍ للمشيخة وفيه نقص من العلم والإيمان ما لا يعلمه إلا الله تعالىٰ» اهـ.

(١) «حلية طالب العلم» ص (١٥٨).

تنبيه: تعليق بعض العلماء علىٰ المقولة المشهورة «**من كان شيخه كتابه فخطؤه أكثر من صوابه**»:

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «مجموع فتاوىٰ ابن باز» (٧/ ٢٣٩-٢٤٠): «المعروف أن من كان شيخه كتابه فخطؤه أكثر من صوابه هذه هي العبارة التي نعرفها، وهذا صحيح: أن من لم يدرس علىٰ أهل العلم، ولم يأخذ عنهم، ولا عرف الطرق التي سلكوها في طلب العلم، فإنه يخطئ كثيرًا، ويلتبس عليه الحق بالباطل، لعدم معرفته بالأدلة الشرعية، والأحوال المرعية التي درج عليها أهل العلم، وحققوها وعملوا بها.

أما كون خطئه أكثر فهذا محل نظر، لكن علىٰ كل حال أخطاؤه كثيرة، لكونه لم يدرس علىٰ أهل العلم، ولم يستفد منهم، ولم يعرف الأصول التي ساروا عليها فهو يخطئ كثيرًا، ولا يميز بين الخطأ والصواب في الكتب المخطوطة والمطبوعة.

وقد يقع الخطأ في الكتاب ولكن ليست عنده الدراية والتمييز فيظنه صوابًا، فيفتي بتحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله، لعدم بصيرته؛ لأنه قد وقع له خطأ في كتاب، =

يكون بطريق التلقين والتلقي عن الأساتيذ، والأخذ من أفواه الرجال لا من الصحف وبطون الكتب، وقد قيل: من دخل في العلم وحده خرج وحده؛ أي: من دخل في طلب العلم بلا شيخ؛ خرج منه بلا علم، إذ العلم صنعة، وكل صنعة تحتاج إلىٰ صانع، فلا بد إذاً لتعلمها من معلمها الحاذق، وهذا يكاد يكون محل إجماع من أهل العلم؛ إلا من شذ» اهـ.

وطلب العلم علىٰ أيدي المشايخ والعلماء له فوائد كثيرة، من أهمها:

=

مثلًا: لا يجوز كذا وكذا، بينما الصواب أنه يجوز كذا وكذا، فجاءت لا زائدة أو عكسه: يجوز كذا وكذا والصواب: ولا يجوز فسقطت لا في الطبع أو الخط فهذا خطأ عظيم.

وكذلك قد يجد عبارة: ويصح كذا وكذا، والصواب: ولا يصح كذا وكذا، فيختلط الأمر عليه لعدم بصيرته، ولعدم علمه، فلا يعرف الخطأ الذي وقع في الكتاب، وما أشبه ذلك» اهـ.

وقال الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ **في هذه المقولة**: «هذا إذا لم يحسن اختيار الكتاب» اهـ «أسئلة أهل العراق» (صوتي).

قلت: هذه المقولة فيها تفصيل:

١- **إذا كان القارئ ذكيًّا فطنًا متأهلًا**، فهذه المقولة ليست له.

٢- **إذا كان القارئ مبتدئًا غير مميز وغير فطن وقرأ في كتب أهل الضلال**، فهذه المقولة تكون خاصة به.

٣- **إذا كان القارئ مبتدئًا وقرأ في كتب أهل السنة والجماعة المحققة**، خاصة في كتب الوعظ والإرشاد والآداب، كرياض الصالحين، والترغيب والترهيب للمنذري، وغيرهما، فقد يكون صوابه أكثر من خطئه إن شاء الله، لماذا؟ لأن كتب أهل السنة والجماعة تبين الأحاديث الصحيحة من الضعيفة، وعقيدتهم صحيحة ومنهجهم صحيح والحمد لله، وليس عندهم بدع ولا خرافات، والكلمات الغريبة تكون في الغالب مبينة إما في الشرح أو في الحواشي، وما أشكل عليه يسجله في مفكرة خاصة ثم إذا التقىٰ ببعض أهل العلم يسألهم عما أشكل عليه.

٤- **إذا كان القارئ مبتدئًا وقرأ في علوم الآلة**، كالنحو والصرف والمصطلح والأصول وغيرها، فهذا لا شك أن خطأه يكون أكثر من صوابه، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

١- **يختصر لك العمر باختصار الوقت**، يعني: أن الشيخ يلخص لك الكتب، فإنك إن سألت الشيخ عن مسألة من المسائل التي طال فيها الكلام وأُلِّفَت فيها المؤلَّفات فيعطيك الجواب في كلمات يسيرة، وربما يكون الشيخ الذي سألته بحث هذه المسألة عمرًا طويلًا وأنت أخذت منه زبدة المسألة.

٢- **يصحح ويسدد لك الفهم** ويبيّن لك الأخطاء، وكما قيل: «إن العلم كان في صدور الرجال، ثم انتقل إلىٰ الكتب، وصارت مفاتحه بأيدي الرجال»(١).

٣- **تكتسب منه الآداب والأخلاق**، وهذا أفضل ما ينتفع به طالب العلم وهو الأدب، أما الذين يقرؤون من الكتب فقط؛ فإن هذه الثمرة العظيمة تفوتهم فلا يتأدبون بآداب العلماء إلا من رحم الله.

ثم طالب العلم مع الكتاب والشيخ علىٰ ثلاث مراحل:

المرحلة الأولىٰ: بداية الطلب، تكون ملازمة الطالب للشيخ أكثر من ملازمته للكتاب.

المرحلة الثانية: عند توسط الطالب في طلب العلم، يساوي بين الكتاب والشيخ من حيث الملازمة.

المرحلة الثالثة: طالب العلم المتقدم المتأهل، تكون علاقته بالكتاب أكثر من علاقته بالشيخ ولا غنىٰ له عن العلماء حتىٰ يتوفاه الله، قال تعالىٰ: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦]، وما قصة موسىٰ عليه السلام مع الخضر عنكم ببعيد.

---

(١) «الموافقات» للشاطبي (١/ ١٤٠).

(٦٢) كثرة الدخول علىٰ السلطان

قال ﷺ: «مَنْ بَدَا جَفَا، وَمَن اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتَىٰ أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتُتِنَ، وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا، إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا»(١).

فالإكثار من الدخول علىٰ السلطان غير صحيح،

وجفاء السلطان وعدم القرب منه مطلقًا غير صحيح،

والوسط: القرب منه أحيانًا إذا كان في القرب مصلحة راجحة من نصيحة وغيرها برفق ولين، والبعد إذا كان في البعد مصلحة راجحة مع حفظ مكانة ولي الأمر وإجلاله في حدود الشرع(٢)، وكذلك مع حفظ كرامة الدعوة بعدم التنازل عن شيء منها، فهي عندنا أغلىٰ من الدنيا وما فيها، وكما أن السلطان رجل دولة يخاف علىٰ دولته ومكانته فأنت رجل دعوة تخاف علىٰ دعوتك أعظم من خوفه علىٰ دولته ومنصبه، و«كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»(٣).

---

(١) **صحيح** رواه «أحمد» (٨٨٣٦) عن أبي هريرة وابن عباس والبراء رضي الله عنهم، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (١٢٧٢)، و«صحيح الجامع» (٦١٢٤)، وانظر التعليق علىٰ هذا الحديث وكلام العلماء فيه: كتابي «سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب» الطبعة الثالثة ص (٣٠٩-٣١١).

(٢) يقول ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن أورد الأحاديث والآثار الواردة في النهي عن المجيء إلىٰ السلاطين: «معنىٰ هذا كله في السلطان الجائر الفاسق، وأما العدل منهم الفاضل فمداخلته وعونه علىٰ الصلاح من أفضل أعمال البر، ألا ترىٰ أن عمر بن عبد العزيز إنما كان يصحبه جلّة العلماء» اهـ «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٦٤١).

ولمزيد الفائدة انظر كتاب: «ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلىٰ السلاطين» للسيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ. وغيره من الكتب المؤلَّفة في هذا الباب.

(٣) متفق عليه: «البخاري» (٢٥٥٤)، «مسلم» (١٨٢٩) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٦٣ غفلة بعض الدعاة عن أن الدعوة السلفية الآن تمر بمرحلة الدعوة المكية في الضعف

من المهم جدًا أن يتنبه الدعاة الحذّاق الأذكياء النبلاء أن الدعوة السلفية في هذا العصر تمر بمرحلة الدعوة المكية في الضعف، فليس من الحكمة أن نستخدم في الرد علىٰ المخالف كلمات وعبارات وألفاظ بعض علماء القرون الثلاثة المفضلة(١) التي كانت السنة فيها قاهرة ظاهرة، وأهل البدع والأهواء في ذلة وصغار، فإن الوضع اليوم عكس ما كان عليه البارحة(٢)، فمن الحكمة مراعاة الزمان والمكان والأحوال في اختيار الألفاظ وغيرها في الطرح في المحاضرات والخطب والمواعظ والرد علىٰ المخالف بِرَدٍّ يؤدي الغرض ولا يُدخل الدعوة في مرض، ولا يؤلِّب عليك وعلىٰ دعوتك العامة والرأي العام(٣).

---

(١) قال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الآثار السلفية إذا لم تكن متضافرة متواترة فلا ينبغي أن يؤخذ عن فرد من أفرادها منهج» «سلسلة الهدىٰ والنور» شريط رقم (٦٦٦).

(٢) لا يفهم من هذا تكفير من حولنا من الحكومات والشعوب، حاشا لله، فنحن من أبعد الناس عن هذا ولله الحمد، وإنما القصد أن القوة والظهور الآن للفرق والدعوات المسلمة المخالفة للكتاب والسنة.

(٣) وقد ذكرت هذه المسألة في كتابي «السطور الذهبية في بيان أهداف وثمار دُور الحديث السلفية في الديار اليمنية» ص (٦٢) تحت فقرة «الرِّفق واللِّين والحكمة في تبليغ العلْم والخير للمسلمين وغير المسلمين، فإنَّ الرفق في الأمور كالمِسْكِ في العطور».

وهناك كلام نفيس حول هذه المسألة لشيخ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله روحه في «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٢٠٦و٢١٠و٢١٢).

الفصل الثالث

ضعف العقل عند الداعية يسبب زغلًا كثيرًا في الدعوة

أذكر منه ما يلي:

٦٤ من كان علمه أكبر من عقله ضرّ نفسه وأضرّ الآخرين

اعلم رحمني الله وإياك، أنه إذا مَنَّ الله تبارك وتعالىٰ علىٰ عبد بالعقل فقد أعظم له المِنَّة وعاش مستريحًا في نفسه مريحًا لغيره، سلّم نفسه وسلّم الناس من شرّه وغوائله، ومن كان خفيف العقل كان بعكس ما تقدم، ولذلك قالوا: **العلماء من حيث العقل والعلم علىٰ ثلاث مراتب:**

١- **عالم عقله أكبر من علمه**، أي: عنده علم قليل، ولكن عنده عقل كبير وحكمة وبصيرة في توجيه الناس وإرشادهم إلىٰ ما يكون فيه خير كثير، وإذا نزلت به النوازل، أو أحاطت به الكروب أحسن إدارتها، وأحسن التخلص منها.

٢- **عالم علمه أكبر من عقله، قال ابن مفلح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وكان يقال: إذا كان علم الرجل أكثر من عقله؛ كان قَمِنًا -أي: حريًّا- أن يضره علمه» اهـ.

أي: إذا كان الرجل عنده علم كثير يحفظ ويقرأ، ولكنه لا يحسن وضع الأمور في نصابها، فهذا يرهق نفسه ويرهق الدعوة معه، ويجب أن نفرق بين الدعوة والداعية، ولا نحمّل الدعوة أخطاء الداعية، كما أننا لا نحمّل الإسلام أخطاء المسلمين، فأفراد المسلمين ليسوا بمعصومين وإن علا كعبهم في العلم.

٣- **عالم استوىٰ علمه وعقله**، أي: علمه كثير وعقله كبير، وهذه مرتبة الكمال[٢].

قال يزيد بن هارون رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «من كان علمه أكثر من عقله خشيت عليه، ومن كان عقله أكثر من علمه رجوت له» اهـ.

---

(١) «الآداب الشرعية» (٢/ ٢١١).

(٢) انظر: «معالم تربوية لطالبي أسنىٰ الولايات الشرعية».
قلت: ويمكن أن تكون القسمة رباعية بإضافة من يكون عقله صغيرًا وعلمه قليلًا.

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٤٣٦٥).

ويروىٰ أن الخليل بن أحمد لقيَ ابن المقفع؛ ففاوضه وكلَّمه، فلما افترقا سُئل كلٌّ عن كلٍّ، فكان الجواب هكذا:

قال ابن المقفع: رأيتُ رجلًا -يعني: الخليلَ بن أحمد- عقلُه أكبرُ مِن عِلمه.

وسُئل الخليلُ عن ابن المقفع، فقال: رأيتُ رجلًا عِلمه أكبرُ من عقلِهِ، ويوشك ذلك أن يقتله. فقُتل بعد علىٰ الزندقة.

٦٥ الشدة في موطن اللين، واللين في موطن الشدة

من الدعاة من لا يحسن وضع الأمور في نصابها فيسيل في موضع الجمود ويجمد في موضع السيلان، فالشدة في موضعها حكمة، واللين في موضعه حكمة، ولا ينبغي أن يُفهَم أن الدعوة إلىٰ الرفق تتعارض مع مواطن الشدة والحزم، بل لكل منهما مكانُه وموضعه.

قال سفيان ابن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ **لأصحابه**[١]: تدرون ما الرفق؟ قالوا: قل. قال: أن تضع الأمور مواضعها، الشدة في موضعها، واللين في موضعه، والسيف في موضعه، والسوط في موضعه.

قال بعض العلماء: وهذه إشارة إلىٰ أنه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق.

ووضعُ الندىٰ في موضع السيف بالعُلا   مُضرٌّ كوضع السيفِ في موضع الندىٰ

فالمحمود هو الوسط، لكن لَمَّا كانت الطباع إلىٰ الجد والعنف أميلَ، كانت الحاجة إلىٰ ترغيبهم في الرفق أكثر، والحاجة إلىٰ العنف يقع علىٰ ندور» اهـ.

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «الشريعة الكاملة جاءت باللين في محله والشدة في محلها، فلا يجوز للمسلم أن يتجاهل ذلك، ولا يجوز أيضًا أن يوضع اللين في محل الشدة، ولا الشدة في محل اللين، ولا ينبغي أيضًا أن

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الغضب» كما في «إتحاف السادة المتقين» للزبيدي (٨/ ٤٨).

تنبيه: البعض يعزو هذه المقولة لسفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو خطأ، كما نبه عليه الزبيدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وانظر كذلك: «فيض القدير» للمناوي (٤/ ٥٧).

(٢) «مجموع فتاوىٰ ابن باز» (٣/ ٢٠٤-٢٠٥).

ينسب إلىٰ الشريعة أنها جاءت باللين فقط، ولا أنها جاءت بالشدة فقط، بل هي شريعة حكيمة كاملة صالحة لكل زمان ومكان ولإصلاح جميع الأمة، ولذلك جاءت بالأمرين معًا، واتسمت بالعدل والحكمة والسماحة، فهي شريعة سمحة في أحكامها وعدم تكليفها ما لا يطاق؛ ولأنها تبدأ في دعوتها باللين والحكمة والرفق، فإذا لم يؤثر ذلك وتجاوز الإنسان حده وطغىٰ وبغىٰ أخذته بالقوة والشدة وعاملته بما يردعه ويعرفه سوء عمله، ومن تأمل سيرة النبي ﷺوسيرة خلفائه الراشدين وصحابته المرضيين وأئمة الهدىٰ بعدهم عرف صحة ما ذكرناه...» اهـ.

٦٦ خوف بعض الكبار من الصغار في إظهار الحق والقول به

يقول ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ...»(١).

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ ﵁: أَمَرَنِي خَلِيلِي ﷺبِسَبْعٍ: -وذكر منها-: وَأَنْ أَقُولَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا...(٢).

وكان ﷺيستعيذ بالله دبر كل صلاة من الجبن فيقول: «...اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ...»(٣).

وبايع الصحابة النبي ﷺعلىٰ أن يقولوا بالحق أينما كانوا، لا يخافون في الله لومة لائم(٤).

قال بعض العلماء: العالِم يحتاج مع علمه إلىٰ شجاعة؛ حتىٰ ينتشر علمه ويؤثّر في الناس، وخاصة ونحن نعيش في زمن الظلمات، وأيام الفتن المدلهمات، لذلك يكون لصوت الحق قيمة، ولصيحة العالِم في وجه الباطل أثر، فكم من كلمة حق غيّرت مجرىٰ التاريخ، وكم من موقف مشرّف لعالِم من علماء الأمة قد أزال من طريق الدعوة ركام الباطل، والناس في زمن الفتن والصراعات ينتظرون كلمة حكيمة من علمائهم لتكون لهم بمثابة النور الذي ينير لهم الطريق.

---

(١) رواه «مسلم» (٢٦٦٤) عن أبي هريرة ﵁.

(٢) صحيح. رواه «أحمد» (٢١٤١٥)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢١٦٦).

(٣) رواه «البخاري» (٢٨٢٢) عن سعد بن أبي وقاص ﵁.

(٤) متفق عليه: «البخاري» (٧١٩٩)، «مسلم» (١٧٠٩) عن عبادة بن الصامت ﵁.

ولكن للأسف فإن إرهاب الصغار أخاف بعض الكبار، فيخاف الكبير من كلمة الحق التي تنفع ولا تضر، فيحجم عن الكلام حتىٰ لا يقال عنه: متشدد أو مميع، أو يُهْجر أو تترك دروسه ومحاضراته، فهو يخاف ممن دونه من الأتباع؛ لأننا في عصر العقوق والجفاء.

١- فالأب يخاف من أبنائه، كما جاء في الحديث: «...اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَلَدٍ يَكُونُ عَلَيَّ ربًا»[١]، أي: أستعيذ بك أن ترزقني ولدًا يكون عليَّ مالكًا؛ لعقوقه وعدم برّه، وتسلّطه عليَّ كأنه هو المالك السيد، وأنا العبد المملوك عنده.

٢- والعالِم يخاف من طلابه حتىٰ لا يتكلموا فيه أو يتركوه.

قال شيخنا الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وما رفع اللّه شأن أهل العلم إلا لأنَّهم يقفون أمام الباطل ويقولون للمصيب: أنت مصيب، ولصاحب الباطل: أنت مبطل» اهـ

٣- والحاكم يخاف من شعبه حتىٰ لا يخرجوا عليه بالمظاهرات والاعتصامات، فاللهم سلّم سلّم، قال ﷺ: «مَنْ أَرْضَىٰ اللهَ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ، وَمَنْ أَسْخَطَ اللهَ بِرِضَا النَّاسِ وَكَلَهُ اللهُ إِلَىٰ النَّاسِ»[٣].

---

(١) **جيّد**. رواه الطبراني في «الدعاء» (١٣٣٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وجوّد إسناده الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٣١٣٧).

(٢) «تحفة المجيب» (ص:٢٧٣).

(٣) **صحيح** رواه «ابن حبان» (٢٧٧) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التعليقات الحسان» (٢٧٧)، و«السلسلة الصحيحة» (٢٣١١).

٦٧ عدم التثبت في نقل الأخبار

إن التثبت في نقل الأخبار خلق عظيم، أمر به رب العالمين، وسيد المرسلين ﷺ، وأجمع عليه العلماء السابقون واللاحقون؛ لأن فيه حفظًا للأرواح، وصيانة للدماء، وحماية لحقوق المسلمين وأعراضهم، وقطعًا لدابر الفتن والصراعات، فبالتثبت يعرف الحق من الباطل، والمليء من العاطل فيما يروج من أخبار وإشاعات.

فالتثبت صفة من صفات أصحاب العقل والرزانة، بخلاف العجلة فإنها من صفات أصحاب الرعونة والطيش.

والتثبت دليل علىٰ رجاحة العقل وسلامة التّفكير، أما العجلة فدليل علىٰ نقص في العقل وخلل في التفكير.

والتثبت فضيلة، والنقل من غير تثبّت رذيلة.

فما أحوجنا إلىٰ هذا الخلق الكريم؛ في زمن تُرمىٰ فيه التهم جزافًا، وتنقل فيه الإشاعات دون تثبت ولا تبيّن.

قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات:٦].

وفي قراءة صحيحة: (فتثبّتوا)، من التثبّت، وهو الأناة وعدم العجلة، والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد حتىٰ يتضح ويظهر بالبينات الواضحات[١].

قال العلامة عبدالرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «من الغلط الفاحش

---

(١) سبب نزول هذه الآية حسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «السلسلة الصحيحة» (٣٠٨٨) فانظره غير مأمور.

(٢) «الرياض الناضرة» ص (٢٣٤).

الخَطِر؛ قبول قول الناس بعضِهم في بعض، ثم يبني عليه السامع حُبًّا وبغضًا ومدحًا وذمًا، فكم حصل بهذا الغلط أمور صار عاقبتها الندامة، وكم أشاع الناس عن الناس أمورًا لا حقائق لها بالكلية، أو لها بعض الحقيقة فنمِّيَت بالكذب والزور، وخصوصًا مَن عُرفوا بعدم المبالاة بالنقل، أو عرف منهم الهوىٰ، فالواجب علىٰ العاقل التثبت والتحرز وعدم التسرّع، وبهذا يُعرف دين العبد ورزانته وعقله» اهـ

قال ﷺ: «كَفَىٰ بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»[(١)].

وعلماء الحديث لا يقبلون قول: حدثنا الثقة، بل لا بد من تسميته، فقد يكون ثقة عندك، غير ثقة عند غيرك.

وإذا رمت الإصلاح بين الخصوم فاجمع بين القائل والمقول فيه، هذا توجيه النبي ﷺ، حيث قال ﷺ: «إِذَا تَقَدَّمَ إِلَيْكَ خَصْمَانِ، فَلا تَسْمَعْ كَلامَ الْأَوَّلِ، حَتَّىٰ تَسْمَعَ كَلامَ الْآخَرِ، فَسَوْفَ تَرَىٰ كَيْفَ تَقْضِي» قَالَ: فَقَالَ عَلِيٌّ: فَمَا زِلْتُ بَعْدَ ذَلِكَ قَاضِيًا[(٢)].

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)]: «التثبت والثبات: ومن أهم الآداب التي يجب أن يتحلىٰ بها طالب العلم: التثبت فيما ينقل من الأخبار، والتثبت فيما يصدر من الأحكام، فالأخبار إذا نقلت فلابد أن تثبت أولًا، هل صحت عمن نقلت إليه أو لا؟ ثم إذا صحت فتثبت في الحكم، ربما يكون الحكم الذي سمعته مبنيًا علىٰ أصل تجهله أنت، فتحكم أنه خطأ،

---

(١) رواه «مسلم» في المقدمة (٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) **حسن**. رواه «أحمد» (٦٩٠)، و«الترمذي» (١٣٣١) عن علي رضي الله عنه، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإرواء» (٢٦٤٧)، و«صحيح الجامع» (٤٣٥)، وصححه أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ في تحقيق المسند (٦٩٠).

(٣) كتاب «العلم» (ص:٣٩)، «مجموع فتاوىٰ ورسائل العثيمين» (٢٦/ ٩٣).

والواقع أنه ليس بخطأ، ولكن كيف العلاج في هذه الحال؟

العلاج: أن تتصل بمن نسب إليه الخبر وتقول: نقل عنك كذا وكذا، فهل هذا صحيح؟ ثم تناقشه، فقد يكون استنكارك ونفور نفسك منه أول وهلة سمعته؛ لأنك لا تدري ما سبب هذا المنقول، ويقال: إذا علم السبب بطل العجب. فلابد أولًا: من التثبت في الخبر والحكم، ثم بعد ذلك تتصل بمن نقل عنه وتسأله هل صح ذلك أم لا؟ ثم تناقشه: إما أن يكون هو علىٰ حق وصواب فترجع إليه، أو يكون الصواب معك فيرجع إليه...» اهـ

وقال شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللهُ[1]: «الواجب علىٰ المسلم إذا بلغه خبر من الأخبار فيما يختص بالدعاة إلىٰ الله وفيما يختص بالمصلحين عليه أن يتحرىٰ في هذا الأمر، لا سيما ونحن في مجتمع كثر فيه الكذب، وكثرت فيه الدعايات الخبيثة» اهـ

وقال والدنا العلامة الوصابي رَحِمَهُ اللهُ **في وصيته**: «أوصي إخواني أهل السنة جميعًا بالتثبت فيما يُشاع عن أهل العلم أو غيرهم من طلبة العلم؛ فإن كثيرًا من الناس يُشيعون عن العلماء وطلبة العلم إشاعات كثيرة لا أصل لها» اهـ.

---

(١) «المصارعة» (ص:٢٨).

(٦٨) عدم تغافل بعض الدعاة عن عثرات إخوانهم الدعاة أصحاب المنهج الواحد

اعلم رحمني الله وإياك، أن التغافل[(١)] من أحسن الأخلاق والآداب، وهو من أدب السادة وأخلاق القادة.

قال أيوب السختياني رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «لا يسود العبد حتىٰ يكون فيه خصلتان: اليأس مما في أيدي الناس، والتغافل عما يكون منهم» اهـ

فعلىٰ الإنسان إذا أراد أن يعيش سعيدًا مسرورًا محبوبًا معدودًا في جملة الكبار أن يتحلىٰ بهذا الخلق الكريم، فبهذا الخلق تبقىٰ بإذن الله العلاقات، وتنمو المحبة، وتزدهر الدعوة، وتقوىٰ أواصر الأخوة.

أما السُّوقة فلا يعرفون مثل هذه الآداب، ولذلك تراهم لدنوِّ همتهم وخسة طباعهم يحصون الصغيرة قبل الكبيرة، ويجعلون من الخيط جبلًا، ومن الحبة قبة، ومن القبة مزاراً.

قال بعض العلماء: «ما يزال التغافل عن الزلات من أرقىٰ شيم الكرام؛ فإن الناس مجبولون علىٰ الزلات والأخطاء فإن اهتم المرء بكل زلة وخطيئة تعب وأتعب غيره، والعاقل الذكي من لا يدقق في كل صغيرة وكبيرة مع أهله وأحبابه وأصحابه وجيرانه» اهـ

---

(١) **التغافل هو**: تكلف الغفلة مع العلم والإدراك لما يتغافل عنه تكرمًا وترفعًا عن سفاسف الأمور.

فالمتغافل يعلم عن هذا الخطأ ويستطيع معاقبة المخطئ ولكنه يتغافل عن ذلك ليبقيَ حبل المودة، ويعالج الأمور بالتي هي أحسن للتي هي أقوم في الوقت المناسب والمكان المناسب والحال المناسب.

(٢) «حلية الأولياء» (٣/ ٥).

وروىٰ البيهقي[(١)] عن عثمان بن زائدة قال: الْعَافِيَةُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ، تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي التَّغَافُلِ. قَالَ: فَحَدَّثْتُ بِهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، فَقَالَ: الْعَافِيَةُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ، كُلُّهَا فِي التَّغَافُلِ.

وكانت العرب تردِّد هذا البيت كثيرًا:

لَيسَ الغبيُّ بسيّدٍ في قومِهِ   لكنَّ سيّدَ قومِهِ المُتَغَابى[(٢)]

وفي حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَلَسَتْ إحدىٰ عَشْرةَ امرأةً، فتعاهَدْنَ وتعاقَدْنَ أنْ لا يَكْتُمْنَ من أخبارِ أزواجهنَّ شيئًا. وقالت إحداهن: زوجي إذا دَخَلَ فَهِد، وإذا خَرَجَ أَسِدَ، ولا يَسْأَلُ عَمَّا عَهِدَ[(٣)].

وهي بهذا تمدح زوجها بالتغافل؛ لأن من أبرز صفات الفَهْدِ التغافل.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[(٤)]: «ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعًا أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل ومأجور لاجتهاده؛ فلا يجوز أن يتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين» اهـ

وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ[(٥)]: «ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعلم تحريه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتباعه، يغفر له زلله، ولا نضلله ونطرحه وننسىٰ محاسنه، نعم، ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك» اهـ

---

(١) «شعب الإيمان» (٨٠٢٨).
(٢) «ديوان أبي تمام» (ص:٢٨).
(٣) متفق عليه: «البخاري» (٥١٨٩)، «مسلم» (٢٤٤٨).
(٤) «إعلام الموقعين» (٣/ ٢٢٠).
(٥) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٧١).

وقال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «فلا بد من النظر في أمور تنبني علىٰ هذا الأصل، منها: أن زلة العالم لا يصح اعتمادها من جهة ولا الأخذ بها تقليدًا له؛ وذلك لأنها موضوعة علىٰ المخالفة للشرع، ولذلك عدت زلة، وإلا فلو كانت معتدًّا بها؛ لم يجعل لها هذه الرتبة، ولا نسب إلىٰ صاحبها الزلل فيها، كما أنه لا ينبغي أن ينسب صاحبها إلىٰ التقصير، ولا أن يشنع عليه بها، ولا ينتقص من أجلها، أو يعتقد فيه الإقدام علىٰ المخالفة بحتًا؛ فإن هذا كله خلاف ما تقتضي رتبته في الدين» اهـ.

قلت: فالتغافل عن سفاسف الأمور من أخلاق الكبار، والكَيِّس العاقل هو الفَطِن المتغافل عن الزلات، وسَقَطَات اللسان وغيرها إذا لم يترتب علىٰ ذلك مفاسد، وقد قال ﷺ: «أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ»[٢].

وختامًا: تذكّرْ أيها الداعي إلىٰ الله ما مرّ بك من مواقف في حياتك مع أهلك، أو أصدقائك، أو طلابك، أو معلميك، أو عامّة الناس، هل تعاملت معهم بالتغافل عن أخطائهم؟ أم حاسبتهم عليها حساب الشريك لشريكه؟

إذا كان الثاني فتأكد أنه لن يبقىٰ لك صاحب ولا صديق ولا داعية علىٰ الطريق؛ لأن العصمة انقطعت يوم دفن النبي ﷺ، و«كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ...»[٣].

ولكل جواد كبوة، ولكل سيف نبوة، ولكل داعية هفوة، والماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث، والعدل من كثر خيره علىٰ شره.

---

(١) «الموافقات» (٥/ ١٣٦-١٣٧).

(٢) **صحيح**. رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٦٥)، و«أحمد» (٢٥٤٧٤)، و«أبو داود» (٤٣٧٥) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٦٣٨)، و«صحيح الجامع» (١١٨٥).

(٣) **حسن**. رواه «الترمذي» وغيره (٢٤٩٩) عن أنس رضي الله عنه، وحسنه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح سنن الترمذي» (٢٤٩٩)، و«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٣٩).

ومَنْ ذَا الذي ما سَاءَ قَطْ ومَنْ له الحُسْنَىٰ فَقَطْ
وَمَن ذا الَّذي تُرضىٰ سَجاياهُ كُلُّها كَفىٰ المَرءَ نُبلاً أَن تُعَدَّ مَعايِبُهْ

وإذا أردتم أنه لا يأمر بالمعروف ولا ينهىٰ عن المنكر ولا يدعو إلىٰ الله إلا من لا يخطئ، فمعناه: إغلاق باب الدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولن يدعو علىٰ وجه الأرض أحد.

(٦٩) خلط بعض الدعاة بين المداراة والمداهنة أدّىٰ إلىٰ ترك المداراة

حاجة الناس عامة وأتباع الرسل خاصة إلىٰ المداراة لا تدانيها حاجة، فهي من أخلاق المؤمنين الصالحين، ومن أقوىٰ أسباب الألفة بين المسلمين، وأنجح وسيلة لدفع شر أعداء الدعوة عن الدعوة.

فالدعوة إلىٰ الله عزّ وجلّ وظيفة الأنبياء والمرسلين، والدعاة إلىٰ الله هم أتباع الأنبياء والرسل، لذا لابد لأتباع الرسل من سلوك سبيلهم، واقتفاء نهجهم في الدعوة، فإذا احتاج الرسل والأنبياء إلىٰ سلوك سبيل المداراة مع أعداء دعوتهم فمن باب أولىٰ أتباع الرسل في هذا الزمن، فهم بحاجة إلىٰ مداراة خصوم الدعوة، بل وإلىٰ مداراة إخوانهم الدعاة الذين معهم في الصف الواحد؛ ليستقيم الصف ويكون كالبنيان المرصوص.

فإذا كان الداعية حريصًا علىٰ نجاح دعوته، دارىٰ المدعوين وعاملهم بما يحبون، حتىٰ لو كان مضطرًا إلىٰ قسر نفسه علىٰ ذلك ما دام يظن أن عاقبة الأمر إلىٰ خير، والداعية الذي لم يدار المدعوين سوف يملُّونه، وينفضّون من حوله، ويخسر كثيرًا في حياته الدعوية.

وقد خلط بعض الدعاة بين المداراة والمداهنة، فَتَرَكَ المداراة خوفًا من الوقوع في المداهنة، والفارق واضح بين المداهنة والمداراة، فليس في المداراة تنازل عن شيء من الدين، ولا غض الطرف عن محرّم، بعكس المداهنة، قال تعالىٰ: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾ [القلم:٩][1].

---

(١) **قال ابن بطال** رَحِمَهُ اللَّهُ: «المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس ولين الكلمة وترك الإغلاظ في القول، وذلك من أقوىٰ أسباب الألفة، وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة فغلط؛ لأن المداراة مندوب إليها، والمداهنة محرمة، والفرق: أن
=

فالحدّ الذي لا يتجاوزه الداعية في مراعاته للمدعوين هو معاصي الله، وما يكرهه تعالىٰ، فيبذل للمدعو من الرفق والمعاملة الحسنة ما يجلبه إلىٰ الهداية، ويميل قلبه إلىٰ الحق دون الوقوع في مداهنته.

إذًا فالمداراة معناها: إظهار الحَسَن في مقابلة القبيح؛ لاستدعاء الحسن مع سلامة الدين.

وقد ثبت في الصحيحين[(١)] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «ائْذَنُوا لَهُ، بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ، أَوِ ابْنُ العَشِيرَةِ» فَلَمَّا دَخَلَ أَلَانَ لَهُ الكَلَامَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْتَ الَّذِي قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الكَلَامَ؟ قَالَ: «أَيْ عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ، أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ، اتِّقَاءَ فُحْشِهِ».

ومن أمثلة مداراة النبي ﷺ كذلك: مداراته لأهل مكة، حين تلطف بهم في خطابه، وعفوه عنهم بلا منّة، رغم ما لقيه منهم، وتلطفه بالمنافقين في المدينة، وغير ذلك كثير.

المداهنة من الدهان، وهو الَّذي يظهر علىٰ الشيء ويستر باطنه، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه، والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه، حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، لا سيَّما إذا احتيج إلىٰ تألفه، ونحو ذلك» اهـ انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩/ ٣٠٥-٣٠٦)، «فتح الباري» (١٠/ ٥٢٨).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **في كتابه «الروح» (ص:٣١٩)**: «المداراة صفة مدح والمداهنة صفة ذم، والفرق بينهما: أن المداري يتلطف بصاحبه حتىٰ يستخرج منه الحق أو يردّه عن الباطل، والمداهن يتلطف به ليقرّه علىٰ باطله ويتركه علىٰ هواه، فالمداراة لأهل الإيمان، والمداهنة لأهل النفاق» اهـ.

(١) «البخاري» (٦٠٥٤)، «مسلم» (٢٥٩١).

وعلىٰ منهاج الأنبياء سار الصحابة والسلف الصالح، فدفعوا بالمداراة كثيرًا من الشرور، ونالوا مقصودهم بأقل مجهود، وكفوا مؤونة أعدائهم، واتقوا مكرهم، وتخلصوا من لجاجهم.

فهذا أبو الدرداء ﷺ يقول: «إِنَّا لَنَكْشِرُ -أي: نبتسم- فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ، وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنُهُمْ»[1].

قال ابن مفلح رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «وقول أبي الدرداء هذا ليس فيه موافقة علىٰ محرّم ولا مداهنة في كلام، وإنما طلاقة وجه خاصة للمصلحة» اهـ

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «التَّوَدُّدُ إِلَىٰ النَّاسِ نِصْفُ الْعَقْلِ»[3].

ويروىٰ عن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال[4]:

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَىٰ أَحَدٍ ... أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ
إِنِّي أُحَيِّي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ ... لِأَدْفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ
وَأُظْهِرُ الْبِشْرَ لِلْإِنْسَانِ أَبْغَضُهُ ... كَأَنَّهُ قَدْ حَشَىٰ قَلْبِي مَحَبَّاتِ
وَلَسْتُ أَسْلَمُ مِمَّنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ ... فَكَيْفَ أَسْلَمُ مِنْ أَهْلِ الْمَوَدَّاتِ
النَّاسُ دَاءٌ وَدَاءُ النَّاسِ قُرْبُهُمْ ... وفي اعتزالهمُ قطعُ المودَّاتِ
فَجَامِلِ النَّاسَ وَاجْمُلْ مَا اسْتَطَعْتَ وَكُن ... أَصَمَّ أَبْكَمَ أَعْمَىٰ ذَا تَقِيَّاتِ

وقال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ[5]:

---

(١) **صحيح** رواه «البخاري» معلّقًا، انظر: «السلسلة الضعيفة» (٢١٦).

(٢) «الآداب الشرعية» (١/ ٥٠).

(٣) «مداراة الناس» لابن أبي الدنيا (ص:٥٠)، وجاء هذا الأثر أيضًا عن ميمون بن مهران.

(٤) الديوان المنسوب للشافعي (ص:٢١)، «التنوير شرح الجامع الصغير» للصنعاني (٦/ ٢٠٤).

(٥) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٥٤)، «البداية والنهاية» (١١/ ٢٣٧).

مَا دُمْت حَيًّا فَدَارِ النَّاسَ كُلَّهُمُو فَإِنَّمَا أَنْتَ فِي دَارِ الْمُدَارَاةِ
مَنْ يَدْرِ دَارَىٰ وَمَنْ لَمْ يَدْرِ سَوْفَ يرَىٰ عَمَّا قَلِيلٍ نَدِيمًا لِلنَّدَامَاتِ

وقال زهير بن أبي سُلْمَىٰ[(١)]:

ومن لم يُصانعْ في أمور كثيرةٍ يضرّس بأنياب ويُوطأ بمَنْسَم

(١) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٥٤)، «الأمثال والحكم» للماوردي (ص:٢٢٦).

٧٠ الغفلة عن المدسوسين والمنافقين في الدعوة من جهات مختلفة

لا يخفىٰ علىٰ الدعاة أن الدعوة لم تسلم من هؤلاء في زمن التنزيل فكيف بزماننا!!

وقد ذكر الله تعالىٰ لنا في كتابه عداوة الشيطان، وعداوة اليهود، وعداوة النصارىٰ، وعداوة المشركين، وعداوة المنافقين، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠]، وقال سبحانه: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [المائدة:٨٢].

لكنه قال في عداوة المنافقين: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]؛ لأن المنافقين هم أشد أعداء الأمة الإسلامية، وأخطرهم عليها علىٰ الإطلاق، فهم يتلوَّنون تلون الحرباء حسب البيئة، يظهرون بمظهر الأخ المشفق الحبيب الذي يحترق علىٰ الإسلام وعلىٰ الدعوة وعلىٰ السنة، بينما هم ذئاب عليهم ثياب، يحسبهم الظمآن ماء، يظنهم المؤمن عونًا له، وهم عون عليه، يحسبهم له ناصحين، وهم هلاكه ودماره، ساعون في الأرض بالفساد، قلَّما يخلو منهم مجتمع أو ناد، يعملون من وراء الكواليس، ومن خلف الصفوف، ظاهرهم فيه الرحمة وباطنهم من قبله العذاب، خطورتهم أفظع من أن توصف، وأكبر من أن تتسع لها الصفحات وبطون الكتب، يكفيك قول ذي الجلال والإكرام: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة:٤٧]، فاحذروهم يا معشر الدعاة، فإن الله قال: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾.

ولم يكن هناك مجال للنفاق والمنافقين في مكة؛ لقلّة المسلمين، فإذا دخل فيهم من ليس منهم انكشف أمره، فكانوا كالنهر قليل الماء تراه صافيًا له لمعان لم يخالطه شيء، فلما قويت الدعوة في المدينة دخل فيها المنافقون فأصبحت الدعوة كبيرة كالسيل العظيم الذي يأخذ كل ما كان علىٰ جنبتي الطريق من شجر أو حجر.

وهكذا في عصرنا هذا فقد اتسعت الدعوة ولله الحمد اتساعًا عظيمًا؛ لذلك دخل فيها من المنافقين أضعاف أضعاف ما دخل فيها في زمن النبي ﷺ، بقصد الفساد والإفساد فيها، وليسوا من جهة واحدة بل من جهات مختلفة، ومكروا في الدعوة مكرًا كبارًا، مكر الليل والنهار، ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾[إبراهيم:٤٦].

فيا حملة الرسالة اتقوا الله في هذه الدعوة، وحافظوا عليها كما تحافظون علىٰ حدقات أعينكم، فـ«كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»(١).

قال شيخنا الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «يَحذَر أهل السنة من اندساس المنافقين في صفوفهم، قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبة:٤٧]، وكيف يمكنهم معرفتهم؟ يمكن معرفتهم بأن يُسنَد الأمرُ إلىٰ أهل العلم الذين أنار الله بصيرتهم وهم الذين يضعون الأشياء في مواضعها، قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣]» اهـ.

---

(١) متفق عليه: «البخاري» (٢٥٥٤)، «مسلم» (١٨٢٩) عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) «غارة الأشرطة» (١/ ١٣).

(٧١) «إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ»

وَرَدَ ذمّ التنفير في الشرع الحكيم بعبارات كثيرة ومتنوعة؛ وذلك للأضرار التي تترتب علىٰ اتصاف الداعية بهذه الآفة الخطيرة، وقد حفلت السنة النبوية الصحيحة الصريحة بالنهي عن التنفير وذلك في أحاديث كثيرة، من أبرزها: قوله ﷺلمعاذ وأبي موسىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا حين بعثهما إلىٰ اليمن دعاة إلىٰ الله: «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا»[(١)].

وقال ﷺ: «إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ»[(٢)].

وحضّ الشارع الحكيم علىٰ دعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، كما قال تعالىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥].

فتنفير الناس عن الدِّين الحق والدعوة الصافية النقية بسبب سوء الأخلاق، أو سوء التصرف، أو عدم السداد في الخطاب الدعوي أو غير ذلك خطأ فادح، يجب علىٰ الداعية أن يتعلم أسلوب الدعوة قبل أن يدخل هذا الميدان، فدعوة أهل السنة مبنية علىٰ **التأهيل قبل التشغيل**، فكل عمل وكل وظيفة وكل صنعة لا يعمل فيها إلا من أتقنها، إلا الدعوة فإننا نرىٰ أنه يدخل فيها من يحسن ومن لا يحسن، وكثير منهم دخل فيها وما أدخل فيها بل أخرج منها، وحتىٰ أقرّب لك هذا المعنىٰ فإن تجار الدنيا لا يحبون مشاركة من لا يحسن التجارة وينفّر الزبائن[(٣)] ففي مشاركته خسارة له، فكيف بأهل الدِّين والعلم والتقىٰ يشاركون مَن طبعه وطريقته وسلوكه

(١) متفق عليه: «البخاري» (٤٣٤١)، «مسلم» (١٧٣٣).
(٢) متفق عليه: «البخاري» (٧١٥٩)، «مسلم» (٤٦٦) عن أبي مسعود رضي الله عنه.
(٣) **الزبون**: المُشْتَرِي من تَاجر. انظر: «المعجم الوسيط» (١/ ٣٨٩).

التنفير عن الدِّين وعن الصراط المستقيم، عَلِمَ أو لم يعلم، فكل مجال له رجاله وفرسانه، فلا يكن أرباب الدنيا خيرًا منا في هذا الباب، فإنهم يزينون بضائعهم للزبائن بأحسن العبارات، وأرقىٰ الكلمات، مع التبسط والتبسم للزبائن، وإظهار الصدق المزيف إلا من رحم الله، ويصفون بضاعتهم المزجاة كأنها نزلت من السماء، وأنت الخاسر إذا لم تشتر، وأن هذه فرصة والحياة فرص، كل ذلك ترويج لسلعهم وبضائعهم، فأنتم أيها الدعاة أحق وأولىٰ بحسن الأخلاق في الدعوة مع مراعاة الضوابط الشرعية، خاصة وقد أمركم الله بهذا في كتابه فقال: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣]، وقال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٤]، وقال: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء:٥٣]، وأمر النبي ﷺبالإحسان في كل شيء فقال: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ...»[١]، وأنت صاحب حق، والفِطَر مجبولة علىٰ قبول هذا الحق، وأعظم حق تدعو إليه وبه: القرآن والسنة، ومع هذا قال ﷺ: «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»[٢].

قال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ[٣]: «من الأخلاق التي ينبغي لك أن

---

(١) رواه «مسلم» (١٩٥٥) عن شداد ابن أوس رضي الله عنه.

(٢) **صحيح** رواه «أحمد» (١٨٤٩٤)، و«أبو داود» (١٤٦٨) عن البراء بن عازب رضي الله عنه، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح سنن أبي داود» (١٣٢٠)، و«المشكاة» (٢١٩٩)، وشيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللهُ في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١٣٠).

تنبيه: قال الشيخ عبد العزيز البرعي حفظه الله معلّقًا علىٰ هذه الفقرة: «لكن هؤلاء المنفرين لا نخسرهم إذا صحت نياتهم، بل ننصحهم ونعلمهم ونصارحهم بما لديهم، ومن نظر إلىٰ الشباب المبتدئين الغيورين علىٰ الدعوة يجدهم منفرين، ومع الأيام أصبحوا علماء ودعاة عقلاء، فأهم شيء إصلاح النية والاستعداد لقبول النصح والتوجيه» اهـ.

(٣) «مجموع فتاوىٰ ابن باز» (١/ ٣٤٦).

تكون عليها أيها الداعية، أن تكون حليمًا في دعوتك، رفيقًا فيها، متحملًا صبورًا، كما فعل الرسل عليهم الصلاة والسلام، إياك والعجلة، إياك والعنف والشدة، عليك بالصبر، عليك بالحلم، عليك بالرفق في دعوتك، وقد سبق لك بعض الدليل علىٰ ذلك كقوله جلّ وعلا: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥]، وقوله سبحانه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران:١٥٩] الآية، وقوله جلّ وعلا في قصة موسىٰ وهارون: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه:٤٤]، وفي الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: «اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ» خرجه مسلم في الصحيح(١)، فعليك يا عبد الله أن ترفق في دعوتك، ولا تشق علىٰ الناس، ولا تنفرهم من الدين، ولا تنفرهم بغلظتك ولا بجهلك، ولا بأسلوبك العنيف المؤذي الضار، عليك أن تكون حليمًا صبورًا، سلس القياد لين الكلام، طيب الكلام حتىٰ تؤثر في قلب أخيك، وحتىٰ تؤثر في قلب المدعو، وحتىٰ يأنس لدعوتك ويلين لها، ويتأثر بها، ويثني عليك بها ويشكرك عليها، أما العنف فهو منفر لا مقرب، ومفرق لا جامع» اهـ.

---

(١) رواه «مسلم» (١٨٢٨) عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

(٧٢) من الخطأ مشابهة المماحكات الدعوية للمماحكات السياسية أحيانًا

إن من المؤسف له تشابه المماحكات الدعوية بالمماحكات السياسية أحيانًا في بعض الأمور، كالمزاحمة في المحاضرات والدروس والكلمات، فإذا علمنا أن المخالف لنا عنده محاضرة أو كلمة أو درس... في مسجد كذا وحي كذا نعلن محاضرة بجواره في نفس التوقيت من باب الضرار والإضرار وتفريق الناس عنه والتشويش عليه، ولو كان علىٰ معتقدنا وخالفنا في مسألة أو مسألتين يسوغ فيها الخلاف(١).

وهكذا الملاسنة والردود بالصوتيات، فإذا تكلم فلان بصوتية رددنا عليه بصوتيات، وإذا كتب ملزمة (مذكرة) رددنا عليه بملازم، وربما تصل هذه المماحكات والمشاجرات والمهاترات إلىٰ المحاكم والقضاء، ويشمت بدعوتنا الخصوم والأعداء، والقاصي والداني، والقريب والبعيد، «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ»(٢).

---

(١) قال الشيخ عبد العزيز البرعي حفظه الله معلّقًا علىٰ هذه الفقرة: «وبعض طلبة العلم مثل علبة البيبسي إذا رجّها أحد فارت وخرج ما فيها، وهكذا إذا تحرك الحزبيون بمحاضرات أو دروس تحرك مثلهم، وإذا وقفوا وقف، وهذا خطأ، بل نسير بدعوتنا وكأن الخط لنا ليس فيه غيرنا، مع معرفة جميع ما يدور حولنا وأخذ الحذر» اهـ.

(٢) رواه «البخاري» (٢٨٠٥) عن أنس ﷺ.

(٧٣) بعض الدعاة يشعل الفتن ويوجّه بإشعالها، ثم يوجّه بلسان مقاله لا حاله الطلاب بالإقبال علىٰ العلم وترك الفتن،

إن بعض الدعاة والمشايخ ممن قد يختلف مع أخيه في مسألة أو مسألتين يسوغ فيها الخلاف يُشعلون الفتن في أوساط الدعوة، في دروسهم، ومحاضراتهم، ومجالسهم، وكتاباتهم، ثم يقولون بلسان مقالهم لا بلسان حالهم: يا طلبة العلم لا تشتغلوا بالفتن، وأقبلوا علىٰ العلم والدعوة، وهو الزارع لها وهم الحاصدون، وربما هو الذي يطالبهم بتحديد المواقف وهجر من لم يوافقه وربما تبديعه والتحذير منه، وهذا يذكّرنا بالبيت المشهور:

أَلْقَاهُ فِي الْيَمِّ مَكْتُوفًا وَقَالَ لَهُ: إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَبْتَلَّ بِالْمَاءِ

فإن هذا والله مما يحزن القلب ويدمي الفؤاد أن ترىٰ فئامًا من الآباء والمربين والكبار والقدوات، صاروا لا يتورعون أن يقولوا ما لا يفعلون، ولا يستحيون أن ينهوا عما فيه يقعون، وصار الصغار يرون التناقض الواضح الفاضح علىٰ الكبار، مما أوقعهم في حيرة واضطراب، وجعلهم لا يستقرون علىٰ حال، وصار أحدهم يسأل نفسه: ماذا أفعل وهذا أبي؟! وكيف أتصرف وذاك معلمي، أأصدّق حسن أقوالهما أم أقتدي بسيئ فعالهما؟ ربنا لا تجعلنا فتنة للذين ءامنوا[1].

---

(١) قال الشيخ عبد العزيز البرعي حفظه الله معلّقًا علىٰ هذه الفقرة: «وقد أحسن من قال: من الذي غرّر الأغمار وتبرأ من الثمار».

(٧٤) إن وسائل التواصل الاجتماعي في باب الفتن دمّرت وما عمّرت، وأوصلت خلاف الدعوة إلىٰ جميع القارات

اعلم رحمني الله وإياك، أننا نعيش في عصر سهّل الله لنا فيه الصعاب وقرّب البعيد، إنه عصر التواصل والتقنية وتسهيل القريب وتذليل البعيد، عصرٌ أصبح العالَم قرية واحدة؛ لو عطس مَنْ في المغرب لشمّته مَنْ في العالَم والقارات الست، فاللهم أوزعنا شكر نعمك، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم:٣٤].

وإن المصيبة كل المصيبة أن نحوّل هذه النعم إلىٰ نقم، فوسائل التواصل الاجتماعي أصبحت عند البعض وسائل تفاصل وليست وسائل تواصل، وحلقة فصل وليست حلقة وصل، ودمّرت وما عمّرت، وهدمت وما ردمت، وأوجدت التشاحن، والتباغض، والتدابر، والتهاجر، وشتّت الصف، وأصبحت منبعًا للفتن والمحن.

إنها أجهزة ذكية مع عقول غبية -إلا من شاء الله-، فعلينا أن نعلن حالة الاستنفار وأن ندق جرس الإنذار وناقوس الخطر من هذه الوسائل، ونحذر كل الحذر من شرّها، فالدِّين وأحكامه أيها العقلاء النبلاء يُؤخذان من العلماء الربانيين، من علماء الأمة وبقية السلف، وليس من سفهاء النت وشبكات التواصل الاجتماعي التي صارت مرتعًا للفتن؛ فقد سببت هذه الوسائل كثرة الفتن والمحن، سقط في خضمّ هذه الوسائل الأفاضل، وارتفع الأراذل، وتعملق الأقزام، وتقزّم العمالقة، لقد جعلت هذه الوسائل من الحبة قبة، ومن القبة حبة، ومن العالِم جاهلًا، ومن الجاهل عالِمًا، ومن الاجتماع فرقةً، ومن الألفة عداوةً، ومن الصلة انقطاعًا، ومن القوة ضعفًا.

ففي سابق العهد لم تكن تنتشر الفتن بهذه السرعة؛ لأن العالِم قد يقول كلمة ويخطئ فيها، وتبقىٰ الكلمة في محيطه وبين طلابه، وقد تصل إلىٰ أهل المسجد، أو إلىٰ الحي، أو إلىٰ قريته، أو مدينته، أو إلىٰ بلده بعد فترة طويلة من الزمن، وما تخرج إلىٰ البلدان الأخرىٰ إلا بعد زمن طويل، هذا إذا لم تمت الفتنة في مهدها، أما اليوم فإذا أخطأ الشيخ بكلمة أثناء درسه فما ينتهي الشيخ من درسه إلا وقد وصلت هذه الكلمة إلىٰ العالَم، وقد بدأ الناس بالردود عليه، وقد اتسع الخرق علىٰ الراقع وأصبحت الدنيا بلاقع.

(٧٥) الزارعون والحاصدون، فالزارعون للخير هم الدعاة الصادقون، وبعض الحاصدين لبعض هذا الخير هم العابثون في الدعوة

قال ﷺ: «لَا يَزَالُ اللهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ»(١).

وممن غرسهم الله عزّ وجلّ في هذا الدِّين: الدعاة والعلماء الحكماء الرحماء، الذين يجتهدون في نشر التوحيد والسنة والعلم والفضيلة بين الناس، برفق ولين وحكمة، وصبر وجهد واجتهاد، ويبذلون في ذلك الغالي والنفيس، ليلهم ونهارهم، سرهم وجهارهم، ويسافرون من بلد إلىٰ بلد، ومن قرية إلىٰ قرية، ومن مدينة إلىٰ مدينة، ومن دولة إلىٰ دولة، من أجل هذه الغاية النبيلة، حتىٰ إذا استوىٰ الزرع علىٰ سوقه جاء الحاصدون العابثون في الدعوة فحصدوا هذا الخير وهذه الثمرة ورموها لكل ساقطة ولاقطة، ولكل من هَبَّ وَدَرَجَ، وفرّقوا شبابنا وجهدنا علىٰ بقية الجماعات فرضًا وتعصبيًا، وورث شبابنا وأبناؤنا من ليس بوارث وبدون تعب ولا كدّ، وإنما بفعل هذا الحاصد العاطل المتكئ علىٰ أريكته، يهدم هذا الخير بالفيسبوك والتويتر والواتساب ووسائل التواصل الاجتماعي، فلان مميّع، وفلان متشدّد، وفلان أشم منه رائحة البدعة، وفلان اتركوه، وفلان اهجروه...، وتراه في الخير نائمًا، وفي الفتنة قائمًا وهائمًا، لا تسمع له ذكرًا إلا إذا هبّت رياح الفتن لمع فيها نجمه وتردد في المجالس اسمه.

ومع هذا لا نيأس ونقول كما قال بعضهم:

مَتَىٰ يَبْلُغُ الْبُنْيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ ... إِذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ وَغَيْرُكَ يَهْدِمُ(٢)

بل نقول:

بلىٰ يبلغ البنيان يومًا تمامه ... إذا كنت تبنيه وعزمك صارم

---

(١) حسن. رواه «ابن ماجه» (٨) عن أبي عنبة الخولاني رضي الله عنه، وحسنه الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٢٤٤٢).

(٢) انظر: «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٤٤٧)، والبيت لصالح بن عبد القدوس.

(٧٦) تهميش من له سابقية في الدعوة وقدم صدق فيها.

قال تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد:١٠].

هذه الآية تدلنا علىٰ أصل عظيم من أصول الأخلاق، وتؤدبنا بأدب رفيع، ألا وهو احترام السابقين في الخير، كمن أفنىٰ عمره في طاعة الله تعالىٰ، وأفنىٰ عمره في الدعوة إلىٰ التوحيد، والدعوة إلىٰ السنة، والدعوة إلىٰ العلم، والدعوة إلىٰ الفضيلة، فخطَب يوم لم يكن هناك خطيب، وحاضَر يوم لم يكن هناك محاضر، ودرّس يوم لم يكن هناك مدرّس إلا ما ندر، وأمر بالمعروف ونهىٰ عن المنكر، وصبَر وصابر، وجاهد في الله جهادًا عظيمًا في زمن لم يكن له فيه ناصر ولا معين إلا الله، فيجب علىٰ الناس أن يوقّروا من كان هذا حاله، ويقيلوا عثرته إذا زلت قدمه، وأن يُشَاوَر في الأمور، وأن يعرف له الدعاة قدره ومكانته، وهو كذلك ينبغي له أن يحتوي من كان دونه من الدعاة، وأن يرفق بهم، وأن يرحمهم، ويشجعهم، ويؤهلهم ليكونوا خلفاءه بإذن الله في حياته أو بعد موته، فله التوقير منهم، ولهم الرحمة منه؛ لقوله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا-حقّه-»[(١)].

وعلىٰ الناس كذلك أن ينزلوا الناس منازلهم وإن لم يكونوا من أهل العلم، فالرجل الكبير الذي ابيضّ شعره في خدمة الإسلام والمسلمين، وفي نصرة الحق

---

(١) حسن. رواه «أحمد» (٢٢٧٥٥)، و«الحاكم» (٤٢١) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٥٤٤٣)، و«صحيح الترغيب» (١٠١).

وأهله، لا ينبغي أن يُساوىٰ مع من هم أقل منه سنًا أو قدرًا، أو استقامة، فإنزال الناس منازلهم أمر نادت به الشريعة وحفظته الملة، ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [الصافات:١٦٤].

وقال ﷺ: «إِنَّ مِنَ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ...»(١).

(١) حسن. رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٥٧)، و«أبو داود» (٤٨٤٣) عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح الأدب المفرد» (٢٧٤)، و«صحيح سنن أبي داود» (٤٨٤٣).

٧٧ الاعتداد بالرأي وعدم مشاورة أهل المشورة في المسائل التي تحتاج إلىٰ مشورة

الشورىٰ أَمَرَ بها القرآن الكريم، وفيه سورة تسمىٰ بسورة الشورىٰ، ونادت بها السنة النبوية الصحيحة، وسار عليها السلف الصالح أولو الأحلام والنهىٰ، قال تعالىٰ: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وقال سبحانه: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورىٰ:٣٨].

وقال ﷺ: «الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ»[(١)].

والشورىٰ هي ألا ينفرد الإنسان برأيه في الأمور التي تحتاج إلىٰ عقول أخرىٰ لتشاركه؛ فرأيُ الجماعة أقرب إلىٰ إدراك الصواب من رأي الفرد، وقد كان ﷺيستشير ويُستَشار.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «ولهذا كان من سداد الرأي وإصابته أن يكون شورىٰ بين أهله، ولا ينفرد به واحد، وقد مدح الله سبحانه المؤمنين بكون أمرهم شورىٰ بينهم، وكانت النازلة إذا نزلت بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليس عنده فيها نص عن الله ولا عن رسولهﷺ جمع أصحاب رسول الله ﷺ، ثم جعلها شورىٰ بينهم» اهـ.

وقد جاء في أمثال العرب: «**أول الحزم المشورة**»[(٣)]، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها، فالداعية الحازم المسدّد الموفق الذي يشاور

---

(١) **صحيح**. رواه «أبو داود» (٥١٢٨)، و«الترمذي» (٢٨٢٢)، و«ابن ماجه» (٣٧٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» تحت حديث رقم (١٦٤١)، و«صحيح الجامع» (٦٧٠٠)، وشيخنا الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١٤٠٤).

(٢) «إعلام الموقعين» (١/ ٨٤).

(٣) «مجمع الأمثال» (١/ ٥٢).

أهل المشورة في المسائل التي تحتاج إلىٰ مشورة، فإن أصحاب الدنيا يشاورون في تجاراتهم في الصغيرة والكبيرة.

وقد جاء عن الشعبي وقتادة(١): «الناس ثلاثة:

رجُل، ونصف رجُل، ولا رجُل،

فأما الرجل، فذو الرأي والمشورة -أي: هو صاحب رأي ومع ذلك يشاور غيره، هذا الرجل الكامل-،

وأما الرجل الذي هو نصف رجل، فالذي له رأي ولا يشاور -أي: يعتمد علىٰ رأيه فقط ولا يشاور الآخرين-،

وأما الذي ليس برجل، فالذي ليس له رأي ولا يشاور -أي: ليس صاحب رأي ومع ذلك لا يشاور الآخرين».

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): والذي يُشَاوَر لا بد أن تتوفر فيه ثلاثة أمور:

١- أن يكون صاحب دِين؛ حتىٰ يَصْدُقَك النصيحة ولا يخدعك أو يغشك.

٢- أن يكون صاحب علم وخاصة في ما تشاوره فيه، قال تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٩].

٣- أن يكون صاحب عقل ورأي سديد.

وقد أحسن من قال:

خصائصُ مَنْ تشاورُهُ ثلاثٌ ... فـخُذْها مِنْ لساني بالوَثيقَهْ

وِدادٌ خالِصٌ ووُفـــورُ عَقْلٍ ... ومَعرِفَةٌ بحالِكَ بـالحَقيقَهْ

---

(١) «السنن الكبرىٰ» للبيهقي (٢٠٣٠٧)، «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٥/ ٤١٣)، «تلخيص المتشابه في الرسم» للخطيب (١/ ١٦٤).

(٢) «شرح رياض الصالحين» (٤/ ١٥٩)، وذَكَرَ الشرط الثالث في شروح غير رياض الصالحين.

فمن تمت له هذي المعاني فتابِعْ رأْيَهُ واسلك طـريقه

تنبيه: من أبرز فوائد الاستشارة ثلاثة أمور:

أولاً: أنك إذا استشرت رفعت من معنويات المستشارين، وتواضعت لهم، وهذه فائدة عظيمة، حيث يعلمون أنَّ لهم قيمة وقدراً عندك، ولولا ذلك ما استشرتهم، وهذه مصلحة عظيمة بين الدعاة إلىٰ الله، فالنبي ﷺ كان يشاور أصحابه وهو من هو؛ لأجل هذه المقاصد العظيمة، والله عزّ وجلّ يقول له: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩].

ثانيـًا: ربما يكون لديهم رأي خير من رأيك، فلا تحتقرن من الناس أحدًا، فقد يوجد في الأنهار ما لا يوجد في البحار.

ثالثـًا: في مشاورة أهل المشورة إقناعهم برأيك إن كان رأيك هو الصواب فيستقرون ويطمئنون ويقبلون العمل الذي تقوم به أنت وهم بانشراح صدر ولا تحدث فتنة وانشقاقات في الدعوة.

٧٨ قلّة الزيارات والتفقد لأحوال الإخوة والدعاة

إن التزاور بين الإخوة والدعاة من أفضل القربات وأحلىٰ العبادات.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ كَأَنِّي رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ»[(١)].

وقال محمد بن المنكدر رَحِمَهُ اللَّهُ وقد سئل: مَا بَقِيَ مِنْ لَذَّتِكَ؟ قَالَ: الْتِقَاءُ الْإِخْوَانِ، وَإِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَيْهِمْ[(٢)].

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «إخواننا أحب إلينا من أهلينا؛ إخواننا يذكّرونا بالآخرة، وأهلونا يذكرونا بالدنيا»[(٣)].

وقال شيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ[(٤)]: «ولا يستطيع أحد أن يقاوم المجتمع بمفرده، لابد أن يجمع الصالحين حتىٰ يؤازروه، ولابد للدعاة إلىٰ الله أن يتعاونوا **وأن يتزاوروا**، فلا يستطيع أحد بمفرده أن يحقق للإسلام شيئًا» اهـ.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ[(٥)]: «كم من قرية بها رجل يحمل سنة رسول الله ﷺ ويدعو إلىٰ سنة رسول الله ﷺ ويبقىٰ وحيدًا ويظن أهل قريته أنه أتىٰ بدين جديد! فيُحارَب! فإذا أتاه الدعاة إلىٰ الله هذا يأتيه من صعدة، وذاك يأتيه من الحديدة، وذاك يأتيه من تعز، وذاك يأتيه من مأرب، وذاك يأتيه من البيضاء، شعر أهل بلده بأن الرجل ليس وحده.

---

(١) «حلية الأولياء» (٩/ ١٠٩).
(٢) «حلية الأولياء» (٧/ ٢٩٧).
(٣) «قوت القلوب» (٢/ ٣٦٧).
(٤) «قمع المعاند» (٧٠).
(٥) «المصارعة» (٨٦).

هم يظنون أننا أتينا بدين جديد! لكن إذا تعاونا وأظهرنا لهم سنة رسول الله ﷺ فإن أهل الباطل سينكفون وينقمعون» اهـ.

فالتزاور في الله ومن أجل الله بين الدعاة والمصلحين صلة وقربة وعبادة، وله فوائد عظيمة، منها:

١- إن الزيارة في الله تقرّب الدعاة من بعضهم البعض، وتجعلهم جسدًا واحدًا إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالحمىٰ والسهر، وتجعلهم صفًّا واحدًا كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضًا، وهذا الذي يحبه الله ويرضاه.

٢- الزيارة في الله تعرّف كل داعية بمشاكل الداعية الآخر وظروفه وأحواله وهمومه وأحزانه، فلا يكون لقاؤنا فقط في المحاضرات والمناسبات العامة كالعامة.

٣- الزيارة في الله تُكسب الداعية زيادة العلم والمعرفة والبصيرة عند مذاكرة المسائل والمشاكل الدعوية مع بقية إخوانه الدعاة.

٤- الزيارة في الله إصلاح للأوضاع، وسدّ للخلل، والتناصح، والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ.

٥- الزيارة في الله تؤلِّف القلوب، وتزيل الوحشة، وترفع الأوهام، وتزيد الإيمان، وتفرح النفوس، وتدعم أواصر الأخوة، وتقوي الروح الجماعية في أوساط الدعوة والدعاة، وتوسع مجالاتها، وتمد آثارها، وتقوي المودّات، وتزيد من وشائج الصلات.

٦- الزيارة في الله تفوّت علىٰ الخصوم والمدسوسين والمنافقين والشيطان الرجيم أسباب الفرقة والاختلاف، فمن لم يستطع الزيارة فلا

أقل من الاتصال أو الإرسال، قال ﷺ: «بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ»[(١)].

والعلم رحم بين أهله.

وبالجملة فالاجتماع واللقاء بإخوانك الدعاة لقاح، إما للنفس الأمارة بالسوء، وإما للقلب والنفس المطمئنة، والنتيجة مستفادة من اللقاح، فمن طاب لقاحه طاب ثماره.

---

(١) **حسن**. رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٦٠٣) عن أنس رضي الله عنه، وحسنه الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (١٧٧٧).

٧٩ إظهار خلاف الأمر السائد المشهور بين الناس ومخالفة عوائدهم في الأمور التي فيها سعة

إن إظهار خلاف الأمر السائد المشهور بين الناس في الأمور التي فيها سعة يسبب خلافًا شديدًا بين الناس، كخطبة العيد مثلًا، فيأتي الداعية إلىٰ قرية من القرىٰ قد استقر عندهم منذ عقود أن خطبة العيد خطبة واحدة، فيلقي كلمة أو خطبة أو محاضرة أو يُسأل فيقول: خطبة العيد خطبتان عند الجمهور، وهو يعلم أن هذه القرية تخطب خطبة واحدة منذ عقود، ثم يشدّد عليهم في هذا وينقسم الناس إلىٰ قسمين: موافق، ومفارق.

وداعية آخر ذهب إلىٰ قرية أخرىٰ فوجدهم يؤذِّنون للجمعة أذانًا واحدًا فقال لهم: مذهب جمهور العلماء أنه يؤذَّن للجمعة أذانان: الأذان الأول، والأذان الثاني. ثم يشدّد عليهم في ذلك، ويختلف الناس وينقسمون إلىٰ فريقين.

وداعية آخر يذهب إلىٰ قرية أخرىٰ فيجدهم يقولون في أذان الفجر الأول: الصلاة خير من النوم، فيقول: هذا خلاف السنة وما عليه جمهور الأمة، فالصلاة خير من النوم تقال في الأذان الثاني، وهكذا.

فمثل هذه الأمور تحتاج إلىٰ بصيرة وإلىٰ تدرج وإلىٰ تفقيه الناس، وإقناع الداعية الذي يعيش في هذه المنطقة وتُسْنَد مثل هذه الأمور إليه.

وعلىٰ الداعية كذلك أن لا يصطدم بأعراف الناس وعاداتهم، طالما أن ذلك العرف وتلك العادات لا تصطدم بالشريعة في شيء، فإن العرف معتبر في الشريعة، بل لقد عدّه بعض الفقهاء من أدلة الأحكام.

وعندما جاء الإسلام كانت للعرب أعراف مختلفة، فأقرهم الإسلام علىٰ أعرافهم وعاداتهم، إلا ما كان منها مخالفًا لمقاصد الإسلام ومنافيًا لروح الشريعة.

٨٠ الغلو في المدح والجفاء فيه

المدح والثناء من الأمور التي تُسَرُّ بها النفوس، وتحفزها علىٰ زيادة العطاء، فيحتاجه الأب في بيته، والداعية مع طلابه، فيُثْني علىٰ من يستحق الثناء، ويُشيد بعمله تحفيزًا له علىٰ الزيادة والاستمرار فيه، وحثًّا لغيره ليحصل التنافس في العلم والتعلم ونشر الخير، والله يقول: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦].

ولذلك كان المدح وسيلة تربوية فعلها معلم الخير ﷺ مع أصحابه رضوان الله عليهم، وهم في خير الزمان والمكان فكيف بزماننا وغربتنا، وقد اتفقت جميع الملل والفرق والأحزاب وأهل الشر في كل مكان علىٰ الحط من دعوتنا وعلمائنا ودعاتنا، والتغبير عليهم بغبار الشائعات والكذب، فنحن بحاجة إلىٰ هذه الوسيلة الشرعية التربوية لنرفع من معنويات أبناء هذه الدعوة، الذين صمدوا في خندق الحق ضد الباطل بغير مقابل، كل ذلك بالحق ولا نتجاوز الحد فيه.

والمدح منه ما هو ممدوح، ومنه ما هو مذموم:

فالممدوح ما توفرت فيه أربعة شروط كما ذكرها الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح»[1] والنووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح مسلم»، وهي:

١- أن يكون المدح صدقًا.

٢- أن لا يكون فيه مجازفة وغلو.

٣- أن يؤمَن علىٰ الممدوح الإعجاب والفتنة والغرور والكبر.

٤- أن يكون فيه تحفيز وتنشيط للممدوح.

---

(١) «فتح الباري» (١٠/ ٤٧٨-٤٧٩).

وقد جمع النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لمسلم[١] بين الأحاديث المانعة للمدح والمبيحة له فقال: «قال العلماء: وطريق الجمع بينها: أن النهي محمول علىٰ المجازفة في المدح، والزيادة في الأوصاف، أو علىٰ من يخاف عليه فتنة من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح، وأما من لا يخاف عليه ذلك لكمال تقواه، ورسوخ عقله ومعرفته، فلا نهي في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة، بل إن كان يحصل بذلك مصلحة كنشطه للخير، والازدياد منه، أو الدوام عليه، أو الاقتداء به، كان مستحبًا، والله أعلم» اهـ

قلت: ومن صور مدح النبي ﷺ لأصحابه: قوله ﷺ لعبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ» فَكَانَ بَعْدُ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا[٢].

ومن صور مدحه ﷺ لأصحابه كذلك: ما أخرجه الشيخان[٣] عن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ وقف يومًا بين أصحابه، فقال: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﵁: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عَلَىٰ مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَىٰ أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا، قَالَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ».

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «يجوز الثناء علىٰ الناس بما فيهم علىٰ وجه

---

(١) «شرح النووي علىٰ مسلم» (١٨/ ١٢٦).

(٢) متفق عليه: «البخاري» (١١٢٢)، «مسلم» (٢٤٧٩) عن حفصة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(٣) «البخاري» (١٨٩٧)، «مسلم» (١٠٢٧).

(٤) «شرح صحيح البخاري» (٩/ ٢٥٥) بتصرف يسير.

الإعلام بصفاتهم، لتُعرف لهم سابقتُهم وتقدمُهم في الفضل، فينزلوا منازلهم، ويُقدَّموا علىٰ من لا يساويهم، ويُقتدىٰ بهم في الخير، ولو لم يجز وصفُهم بالخير والثناء عليهم بأحوالهم لم يُعلم أهل الفضل من غيرهم، ألا ترىٰ أن النبي ﷺ خصَّ أصحابه بخواص من الفضائل بانُوا بها عن سائر الناس وعُرفوا بها إلىٰ يوم القيامة» اهـ

ومن صور مدح النبي ﷺ لأصحابه كذلك: مدحه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في حضوره حيث قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»(١).

وأما المدح المذموم فهو الذي خالف الشروط المذكورة أو بعضها، كالمغالاة في المدح ومجاوزة الحقيقة، كأن تقول للداعية أو طالب العلم: العلّامة، والإمام، وسماحة الشيخ، وأمير المؤمنين في الحديث، وما إلىٰ ذلك. فهذا كله ليس بصواب.

وقد نهىٰ النبي ﷺ عن ذلك فقال: «لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ»(٢).

ومعنىٰ «لاَ تُطْرُونِي»: أي: لا تجاوزوا الحد في مدحي.

ومن صور المدح المذموم كذلك: مدح من يُخْشىٰ عليه الفتنة، فيعتقد فضله، وربما تطرق لقلبه الكِبْر والرياء، وأن له حقًّا علىٰ الناس وقدرًا، وربما ظن أنه فاق غيره من السابقين واللاحقين في الفضل، فاتكل علىٰ ذلك وترك العمل أو قصَّر فيه، ويحمل عليه حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه أنه قال: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يُثْنِي عَلَىٰ رَجُلٍ وَيُطْرِيهِ فِي المِدْحَةِ، فَقَالَ: «أَهْلَكْتُمْ،

---

(١) متفق عليه: «البخاري» (٣٢٩٤)، «مسلم» (٢٣٩٦) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) رواه «البخاري» (٣٤٤٥) عن عمر رضي الله عنه.

أَوْ: قَطَعْتُمْ ظَهْرَ الرَّجُلِ»(١).

قال المهلب رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «وإنما قال هذا والله أعلم؛ لئلا يغتر الرجل بكثرة المدح، ويرىٰ أنه عند الناس بتلك المنزلة، فيترك الازدياد من الخير ويجد الشيطان إليه سبيلًا، ويوهمه في نفسه حتىٰ يضع التواضع لله» اهـ

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «قال ابن بطال: حاصل النهي هنا: أنه إذا أفرط في مدح آخر بما ليس فيه، لم يأمن علىٰ الممدوح العُجْب لظنه أنه بتلك المنزلة، فربما ضيع العمل والازدياد من الخير اتكالًا علىٰ ما وُصِفَ به» اهـ.

وهنا يتنزل قوله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالتَّمَادُحَ فَإِنَّهُ الذَّبْحُ»(٤).

---

(١) متفق عليه: «البخاري» (٦٠٦٠)، «مسلم» (٣٠٠١).

(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٨/ ٤٨).

(٣) «فتح الباري» (١٠/ ٤٧٧).

(٤) **حسن**. رواه «ابن ماجه» (٣٧٤٣) عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (١٢٨٤)، وشيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في تحقيق تفسير ابن كثير (٢/ ٣٩٩).

٨١ الغلو في بعض العلماء

الغلو محرّم بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

والقصد في كل شيء حسن، وما بُولغ في شيء إلا وقع فيه الكذب، وهذه آفة مزمنة تجدها عند غلاة الطوائف، تارة عن جهل، وتارة عن هوىٰ!

وقد جرَّت المبالغة قومًا إلىٰ تعظيم شيوخهم بالكذب، لذلك **قال المعلمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «من أوسع أودية الباطل الغلو في الأفاضل» اهـ.

والناس يعانون من مشكلة تقديس الأشخاص قديمًا وحديثًا، فهي مشكلة لها أثر وخيم في الأمة الإسلامية وقد بقيت في الأمة كالجرح في الجسد الذي لا يزال الأطباء (أهل العلم) يسعون في علاجه.

وهذه الظاهرة من أسباب الفرقة ووجود المذاهب والأحزاب المبتدعة قديمًا وحديثًا فأهل البدع إما أنهم يتسبون إلىٰ بدعة أحدثوها كالقدرية والخوارج والمرجئة، وإما أنهم ينتسبون إلىٰ شخص قلّدوه وغلوا فيه كالجهمية والأشاعرة والكلّابية. فهذه الفرق ناتجة عن تقديس الأشخاص، وتقديم قول أئمتهم علىٰ النصوص الشرعية.

والناس في العلماء طرفان ووسط: فمن الناس من غلا في العلماء وأنزلهم منزلة القدّيس، ومنهم من ذمّ العلماء وأنزلهم منزلة إبليس، والقصد هو الاعتدال وإنزال العلماء منازلهم التي أنزلهم الله إياها، من الاحترام والإجلال والتقدير والاقتداء بهم في الخير من غير إفراط ولا تفريط.

فالواجب علينا القصد في محبة العلماء والمشايخ وعدم الغلو فيهم،

---

(١) «التنكيل» (١/ ١٨٤).

وإياكم أن تعلقوا أمر دينكم بعالِم من العلماء(١)، في أي واد ذهب كنتم وراءه؛ فهو ليس بنبي، والحي لا تُؤْمَن عليه الفتنة، بل اجعلوا همكم من يوصلكم إلىٰ طريق النبي ﷺ؛ واجعلوا تقليدكم لهدي النبي ﷺ، وسنته،

(١) ومن لطائف ما سمعت وقرأت: ما حصل لشاعر يمدح الشيخ ابن عثيمين رحمه الله ويربط الصحوة به لا بالكتاب والسنة، فقد جاء في «لقاء الباب المفتوح» رقم (٤٧): «قال الشاعر: فضيلة الشيخ: أستأذنكم في قصيدة أتلوها:

يا أمتي! إن هذا الليل يعقبه ... فجر وأنواره في الأرض تنتشر
والخير مرتقبٌ، والفتح منتظر ... والحق رغم جهود الشر منتصر
وبصحوة بارك الباري مسيرتها ... نقية ما بها شوبٌ ولا كدر
ما دام فينا ابن صالح شيخ ... بمثله يرتجىٰ التأييد والظفر

هنا قاطعه الشيخ ابن عثيمين وقال له: أنا لا أوافق علىٰ هذا المدح؛ لأني لا أريد أن يربط الحق بالأشخاص، كل شخص يأتي ويذهب، فإذا ربطنا الحق بالأشخاص معناه: أن الإنسان إذا مات قد ييأس الناس من بعده، فأقول: إذا كان يمكنك الآن تبديل البيت الأخير بقول:

ما دام منهاجنا نهج الأولىٰ سلفوا ... بمثلها يرتجىٰ التأييد والظفر

فهذا طيب، أنا أنصحكم ألا تجعلوا الحق مربوطًا بالرجال: أولاً: لأنهم قد يضلون، فهذا ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «من كان مستناً فليستن بمن مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة»، الرجال إذا جعلتم الحق مربوطاً بهم يمكن الإنسان أن يغتر بنفسه والعياذ بالله من ذلك، ويسلك طرقاً غير صحيحة، فالرجل أولاً لا يأمن من الزلل والفتنة، نسأل الله أن يثبتنا وإياكم.

ثانياً: أنه سيموت، ليس فينا أحد يبقىٰ أبداً ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء:٣٤].

ثالثاً: أنه ربما يغتر إذا رأىٰ الناس يبجلونه ويكرمونه ويلتفون حوله، وربما ظن أنه معصوم، ويدعي لنفسه العصمة، وأن كل شيء يفعله فهو حق، وكل طريق يسلكه فهو مشروع، ولا شك أنه يحصل بذلك هلاكه، ولهذا امتدح رجل رجلاً عند النبي ﷺ فقال له: «ويحك قطعت عنق صاحبك»، وأنا أشكر الأخ علىٰ ما يبديه من الشعور نحوي، وأسأل الله أن يجعلني عند حسن ظنه أو أكثر، ولكن لا أحب المديح.

وهدي أصحابه الكرام وسنتهم؛ فإن حب العلماء إنما هو تبع لحب النبي ﷺوحب دينه وشرعه، وعلىٰ قدر تمسك هؤلاء العلماء بالدِّين والشرع تكون محبتهم.

وقد ذكر لنا النبي ﷺميزانًا في الحب والبغض فقال ﷺ: «أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا»[1].

فكم قد رأينا وسمعنا من ذبح من يحب بالمدح فلما اختلف معه ذبحه بالقدح، ومن لم يعتدل في الرضا لم يعتدل في الغضب والخصومة، فهو يَذبح علىٰ كل حال في السراء والضراء والغضب والرضا.

(١) **صحيح**. رواه «الترمذي» (١٩٩٧) عن أبي هريرة ﷺ، وصححه الألباني ﷺ في «صحيح الجامع» (١٧٨).

(٨٢) الدخول في السياسة

لا خلاف بين المسلمين أن السياسة الشرعية من الدِّين، وباب من أبواب العلم والفقه في الدين، وفي قيادة الأمة وتحقيق مصالحها الدينية والدنيوية، جليل القدر، عظيم النفع، أفرده جماعة من العلماء بالتصنيف في القديم والحديث، وانتشرت كثير من مباحثه ومسائله في بطون كتب التفسير والفقه والتاريخ وشروح الحديث، وهذا الباب خطره عظيم ينتج عن الغلط فيه وعدم الفهم له شر مستطير، والخطأ في التفريط فيه كالخطأ في الإفراط؛ إذ كلاهما يقود إلىٰ نتائج مرذولة غير مقبولة.

وقد عزف من عزف عن السياسة في عصرنا هذا لما اعتراها من الخلط والخبط والكذب والزيف والخداع، ومجانبة السياسة الشرعية إلىٰ السياسة الشيطانية، لذلك **قال العلامة الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «من السياسة الآن ترك السياسة» أي: من السياسة الشرعية ترك السياسة الآن، فالسياسة في الجملة الأولىٰ غير السياسة في الجملة الثانية.

وهذه المقولة وهي «من السياسة الآن ترك السياسة» قالها كذلك **شيخنا العلامة الوادعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ويذكر كذلك عن الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال عن سياسة العصر: «هذه تياسة وليست سياسة» اهـ

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب «أضواء البيان»[(٢)]: «السياسة بنت كلب» أي: سياسة هذا الزمان.

---

(١) «سلسلة الهدىٰ والنور» شريط رقم (٢١٠).

(٢) نقلها عنه الشيخ عبيد الجابري (صوتي).

وقال الشيخ مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «فالسياسة الشرعية هي من الدين، والذين يحاولون فصل الدين عن السياسة معناه: هدم قدر ثلث الإسلام أو أكثر، فنحن لا نحارب السياسة لذاتها، نحارب السياسة بمعنىٰ الكذب والخداع والخيانة، هذه نحاربها، أما فصل الدين عن السياسة فهذا أمر نحن نحاربه ونحذر منه والله المستعان» اهـ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «والذين يريدون أن يفصلوا الدين عن السياسة إنما يحاولون هدم الدين والتخلي عن الدين، أراح الله المسلمين من شرهم» اهـ.

قلت: صدق العلماء رحمهم الله، فالسياسة المتعارف عليها في هذا الزمان نجاسة، فينبغي للأطهار أن لا يقعوا فيها، وأن يشتغلوا بالعلم والدعوة إلىٰ الله[٣].

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ[٤]: «لا ننصح إخواننا السلفيين في أرض الله الواسعة في كل بلد إسلامي أن يعملوا عملًا سياسيًّا، ولو كان هذا العمل نابعًا من أنفسهم، فضلًا عن أن يكونوا فيه أو في هذا العمل تبعًا لغيرهم؛ ما ننصح بهذا أبدًا؛ ذلك لأن العمل السياسي يحتاج في الحقيقة إلىٰ مقدمات كثيرة، واتخاذ أسباب جمّة ليتمكن هؤلاء الذين تأسسوا وتربوا علىٰ هذا المنهج أن يقوموا بالسياسة الشرعية، وفيما نعلم كل الأجواء في البلاد الإسلامية اليوم لا يوجد فيها جماعة، ولنقُلْها لفظة قرآنية «أمة» تكتلت

---

(١) «إرشاد البرية إلىٰ شرعية الانتساب إلىٰ السلفية» ص (١٥٨).
(٢) «غارة الأشرطة» (١/ ٨٣).
(٣) وقد أشرت إلىٰ هذا الموضوع في كتابي: «السطور الذهبية في بيان أهداف وثمار دُور الحديث السلفية في الديار اليمنية» ص (٤٤) تحت فقرة «تقديم الحلول المناسبة للمشكلات العصرية وفق السياسة الشرعية».
(٤) «سلسلة الهدىٰ والنور» شريط رقم (٢٧٠).

وتجمعت علىٰ هذا المنهج الإسلامي الصحيح، ولم يبق لديهم ما ينقصهم من القيام بالواجبات الشرعية إلا العمل السياسي، لا نعلم أن طائفة أو جماعة أو أمة توجد اليوم علىٰ وجه الأرض أنه لا ينقصها إلا العمل السياسي، العمل السياسي في اعتقادي إنما يأتي بعد زمن واستعدادات جمة تقوم بها الطائفة المنصورة التي جاء ذكرها في الحديث المشهور المتواتر عن الرسول ﷺ.

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: لذلك فالاشتغال بالعمل السياسي قبل أن تصل الأمة أو الجماعة إلىٰ مرحلة هذا العمل السياسي ستكون عاقبة أمره أن تنهار الدعوة وأن ترجع القهقرىٰ، وربّ أناس لا يقتنعون بهذه النظرية من الناحية العلمية، وحسبهم أن يلقوا نظرة سريعة في بعض البلاد الإسلامية التي وقعت فيها بعض الأعمال السياسية، فكان عاقبة أمرهم لم يكن ذلك رشدًا، ولم يكن توفيقًا، بل كان عاقبة أمرهم القهقرىٰ، والرجوع إلىٰ الوراء في الدعوة، فقد كانوا ماضين في دعوتهم كما يأمر الشرع، وإذا بهم بسبب النهوض المفاجئ بعمل سياسي، لتكون عاقبة أمرهم وعاقبة نهضتهم أن رجعوا القهقرىٰ» اهـ.

﴿٨٣﴾ دخول الدعاة وإدخال الأتباع معهم في كل فتنة دعوية

لا شك أن من البلية دخول الداعية في كل فتنة دعوية، وهذا يدل علىٰ ضعف العقل والعلم، فقد تكون الفتنة في المشرق وهو في المغرب، ليس له فيها ناقة ولا جمل، ثم يلج فيها، وليته يكتفي بذلك، بل يدخل طلابه وأتباعه فيها، وليته وأتباعه يكتفون بذلك، بل يقحمون العامة في فتن الخاصة، ويتابعونهم في كل مكان، ما موقفك من فلان، وماذا تقول في فلان، لا يتركون المزارع في مزرعته، ولا الفلاح في أرضه، ولا الراعي مع غنمه، ولا المهندس في صنعته، ولا البقال في بقالته، ولا الخباز في مخبزه...، كل هؤلاء العامة يريدون منهم تحديد مواقف من فلان وعلان.

يا رب هيئ لنا من أمرنا رشدًا   واجعل معونتك العظمىٰ لنا سندًا

وقد كان شيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: لا تأتوا بفتنة فلان إلىٰ اليمن، ولا تأتوا بفتنة جنس العمل إلىٰ اليمن، فنحن في سلامة منها.

لله درّك من إمام، فإن نبينا ﷺيقول: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، وَلَمَنِ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا»[(١)].

فتأمل في هذا الحديث الشريف كيف جعل النبي ﷺسعادة المرء المسلم في تجنب الفتن لا في دخولها وأكد ذلك بثلاثة مؤكدات وهي من أقوىٰ المؤكدات:

أولها: (إنَّ)، **وثانيها:** اللام الداخلة علىٰ الاسم المبهم (لمن)، **وثالثها:** التَّكرار ثلاثًا.

---

(١) **صحيح**. رواه «أبو داود» (٤٢٦٣) عن المقداد رضي الله عنه، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٩٧٥)، وحسنه شيخنا الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١١٤٠).

فالواجب عليك أيها الداعية أن تفر من الفتن فرارك من المجذوم أنت ومن معك من الطلاب، لا أن تقحم نفسك وطلابك فيها، فاستجب لنبيك ﷺالذي يحثك علىٰ البعد عن الفتن، لا لشيخك الذي يطلب منك مخالفة الهدي النبوي ويزج بك في كل فتنة.

قال بعض العلماء: مراتب الناس في الفتن سبعة، وهي مستخلصة من مجموع أحاديث النبي ﷺفي الفتن:

١- رجل نائم في الفتنة، بمعنىٰ أنه معرض عنها لا يسمع عنها ولا يراها، وهذا أفضلهم.

٢- رجل مضطجع في الفتنة، أي: ممدد، لا يبالي بها، قد يكون يسمع بها لكنه لا يراها.

٣- رجل قاعد في الفتنة، يراها ويسمعها وهو بعيد عنها، وهذا أيضًا في خير لكنه دون الأول والثاني.

٤- رجل قائم في الفتنة، هذا يخشىٰ عليه؛ لأنه متأهب لها، ومن استشرف لها تستشرفه، وهذا وسط بين الثلاثة المتقدمين والثلاثة المتأخرين.

٥- رجل ماشٍ في الفتنة، يعني: يمشي إلىٰ الفتنة خطوة خطوة، و ﴿لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [النور:٢١].

٦- رجل ساعٍ في الفتنة، يعني: يجري إلىٰ الفتنة جريًا، ببصره ولسانه وقلمه وماله وغير ذلك، والعياذ بالله.

٧- رجل واقع في الفتنة، وهذا شرّهم والعياذ بالله، قال تعالىٰ: ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التوبة:٤٩].

فالأول والثاني والثالث نجوا من الفتنة، والرابع علىٰ خطر، والخامس والسادس والسابع دخلوا في الفتنة بمراتب مختلفة، فالداعية الموفق

الحكيم هو الذي يجنب نفسه وطلابه والناس الفتن، ويشغل نفسه وطلابه بالعلم والدعوة والخير.

قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «قَدْ رَأَيْنَا وَاللهِ أَقْوَامًا يُسْرِعُونَ إِلَىٰ الْفِتَنِ وَيَنْزِعُونَ فِيهَا وَأَمْسَكَ أَقْوَامٌ عَنْ ذَلِكَ هَيْبَةً لِله وَمَخَافَةً مِنْهُ، فَلَمَّا انْكَشَفَتْ إِذِ الَّذِينَ أَمْسَكُوا أَطْيَبُ نَفْسًا وَأَثْلَجُ صُدُورًا وَأَخَفُّ ظُهُورًا مِنَ الَّذِينَ أَسْرَعُوا إِلَيْهَا وَيَنْزِعُونَ فِيهَا وَصَارَتْ أَعْمَالُ أُولَئِكَ حَزَازَاتٍ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ كُلَّمَا ذَكَرُوهَا، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ النَّاسَ يَعْرِفُونَ مِنَ الْفِتْنَةِ إِذَا أَقْبَلَتْ كَمَا يَعْرِفُونَ مِنْهَا إِذَا أَدْبَرَتْ لَعَقِلَ فِيهَا جِيلٌ مِنَ النَّاسِ كَثِيرٌ» اهـ.

---

(١) «حلية الأولياء» (٢/ ٣٣٦).

(٨٤) من الأخطاء الشائعة أنك لن تكون سلفيًا علىٰ الجادّة إلا إذا بينت موقفك من آخر المستجدات والأحداث الخفيّة في الدعوة السلفية

ومما وصلت إليه الدعوة عند بعض الدعاة أنك لن تكون سلفيًا علىٰ الجادّة إلا إذا بينت موقفك من آخر المستجدات والأحداث الخفيّة في الدعوة السلفية، فتجد من يلتقي بك وهو لا يعرف موقفك يبادرك بالسؤال عن آخر فتنة في الدعوة، ثم يقوّمك علىٰ إثر إجابتك له، وهذا من الأخطاء الشائعة والذائعة في الدعوة.

نعم، إذا كانت الأحداث أحداثًا هامة وخطيرة وتحتاج إلىٰ بيان مواقف ومناصرة فنعم، لا بد أن يكون لك موقف واضح منها إذا كان لك ولموقفك أهمية، لكن الأمر علىٰ خلاف ذلك تمامًا، وذلك أن الحادثة الجديدة هي خلاف في شخص، وللأسف الشديد أكثر ما أصاب الدعوة في مقتل هو الخلاف في الأشخاص، إننا نتكلم من واقع مرير، ونحذّر من أسلوب خطير، وهو أسلوب وطريقة بيّن موقفك من فلان وعلّان، ويأتي صغار الطلاب، حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يمتحنون الدعاة والمصلحين بهذه الحادثة الجديدة في الدعوة، وقد يكون هذا الشخص الذي تُطالَب ببيان موقفك منه في أقصىٰ الأرض، لا تعرفه، ولا تعرف دعوته، وليس له تأثير في بلدك، ولا في دعوتك، وتُطالَب بموقفك منه، وقد تتفق أنت وهم في كل شيء إلا في هذا الرجل، فربما تُبَدَّع وتُهْجَر بسببه، فهذه والله مراهقة فكرية، وحركات صبيانية، الدعوة السلفية بريئة من هذه الأمور براءة الذئب من دم يوسف، والله ما رأينا كبار علماء هذه الدعوة يعملون مثل هذا، لا الباز، ولا العثيمين، ولا الوادعي، ولا مَن قبلهم ولا مَن بعدهم، ورحم الله الإمام الوادعي الذي كان يقول: لا تأتوا بفتنة فلان إلىٰ اليمن، ولا تأتوا بفتنة جنس العمل إلىٰ اليمن، فنحن في سلامة منها.

٨٥ خلاف بعض الدعاة في مسألة تعيين المخالف من عدمه

التحذير من المخالفة والمخالف ثابت بالقرآن والسنة وإجماع الأمة، وله **ثلاث مراتب**:

المرتبة الأولىٰ: التحذير العام من المخالفة، وهذا هو الأكثر، كقوله ﷺ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟» ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ -وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا- فَقَالَ: أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ»، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّىٰ قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ[(١)].

المرتبة الثانية: التلميح، وهذا كثير لكنه دون الأول، وهو المتمثل في قوله ﷺ: «مَا بَالُ أَقْوَام»، مثل حديث الثلاثة: قال ﷺ: «مَا بَالُ أَقوَام قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[(٢)].

المرتبة الثالثة: التصريح والتعيين، وهذا فعله النبي ﷺلكنه دون الثاني، من ذلك: قوله ﷺ: «أَمَّا أَبُو جَهْم، فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ، انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ»[(٣)].

فإذا كانت المصلحة تقتضي عدم التعيين أو التلميح؛ تعمّم في النصيحة، وإذا كانت المصلحة تقتضي التلميح؛ تلمّح في النصيحة، وإذا كانت المصلحة تقتضي التعيين؛ تعيّن المخالف وتسميه، وبهذا تجتمع الأدلة في هذا الباب ويحل الإشكال عند من جمع الله له بين العلم والعقل والدِّين.

---

(١) متفق عليه: «البخاري» (٢٦٥٤)، «مسلم» (٨٧) عن أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: «البخاري» (٥٠٦٣)، «مسلم» (١٤٠١) عن أنس رضي الله عنه.

(٣) رواه «مسلم» (١٤٨٠).

لكن هناك تنبيه هام: وهو أنه قد تكون المصلحة الراجحة في تعيين المخالف والتحذير منه في بلد دون بلد، أو في زمن دون زمن، أو في حال دون حال، فلا ينكر هذا علىٰ هذا، ولا هذا علىٰ هذا.

قال الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله تعالىٰ[(١)]: «إن العلماء الفقهاء الناصحين قد يسكتون عن أشخاص وأشياء مراعاة منهم للمصالح والمفاسد، فقد يترتب علىٰ الكلام في شخص مفاسد أعظم بكثير من مفسدة السكوت عنه، فقد سكت رسول الله ﷺ عن ذكر أسماء المنافقين، ولم يخبر بأسمائهم أو بعضها إلا حذيفة رضي الله عنه ومتىٰ كان يصعد علىٰ المنبر ويقول: فلان منافق، وفلان منافق، كل ذلك مراعاة منه للمصالح والمفاسد، وكان قتلة عثمان في جيش علي رضي الله عنه وما طعن كبار الصحابة الباقين في علي رضي الله عنهم، ولا أحد من عقلاء التابعين، وما كانوا يركضون لعلي؛ لأنه لو أخرجهم من جيشه أو عاقبهم لترتب علىٰ ذلك مفاسد عظيمة، منها: الحروب وسفك الدماء وما يترتب علىٰ ذلك من وهن الأمة وضعفها، فهذا العمل منه من باب ارتكاب أدنىٰ المفسدتين لدفع أكبرهما، وهذا ابن تيمية وتلميذه ابن القيم لماذا لم يبينا عقيدة النووي وغيره، وأئمة الدعوة لم يبينوا عقيدة النووي وابن حجر والقسطلاني والبيهقي والسيوطي وغيرهم[(٢)]، فلا تظن أن كل

---

(١) «المجموع الواضح» ص (١٤٣).

(٢) هؤلاء العلماء الأجلاء الذين مثّل بهم الشيخ ربيع حفظه الله بدّعهم الحدّادية (أتباع محمود الحدّاد المصري –وهو معاصر–).

وأهم معالم هذه الفرقة الضالة المعاصرة ما يلي:

١- بغضهم لكبار علماء المنهج السلفي في هذا العصر وتحقيرهم، ثم تجاوزوا ذلك إلىٰ ابن تيمية، وابن القيم، وابن أبي العز شارح الطحاوية، وغيرهم كثير.

٢- غلوهم في محمود الحداد وادعاء تفوقه في العلم ليتوصلوا بذلك إلىٰ إسقاط كبار أهل العلم.

=

=

٣- قولهم بتبديع كل من وقع في بدعة، وابن حجر عندهم أشد وأخطر من سيد قطب.

٤- تبديع من لا يبدع من وقع في بدعة وعداوته وحربه، ولا يكفي عندهم أن تقول: عند فلان أشعرية مثلاً، بل لابد أن تقول: مبتدع، وإلا فالحرب والهجران والتبديع.

٥- تحريم الترحم علىٰ أهل البدع بإطلاق لا فرق بين رافضي وقدري وجهمي وبين عالم وقع في بدعة.

٦- تبديع من يترحم علىٰ مثل أبي حنيفة والشوكاني وابن الجوزي وابن حجر والنووي.

٧- امتازوا باللعن والجفاء والإرهاب لدرجة أن كانوا يهددون السلفيين بالضرب، بل امتدت أيديهم إلىٰ ضرب بعض السلفيين.

٨- لعن المعين حتىٰ إن بعضهم يلعن أبا حنيفة، وبعضهم يكفره!!!.

٩- الكبر والعناد المؤديان إلىٰ رد الحق كسائر غلاة أهل البدع.

١٠- لهم علاقات بالحزبيين وبعضهم بالفساق في الوقت الذي يحاربون فيه السلفيين ويحقدون عليهم أشد الحقد.

١١- التقية الشديدة، فالرافضي يعترف لك بأنَّه جعفري، ويعترف ببعض أصوله وعقائده الفاسدة، وهؤلاء لا يعترفون بأنَّهم حدادية، ولا يعترفون بشيءٍ من أصولهم وما ينطوون عليه.

١٢- يكتبون تحت أسماء مجهولة مسروقة، فإذا مات أحدهم فلا يُعرف له عينٌ ولا أثر(!)؛ وبهذا العمل فاقوا الروافض؛ فإنَّهم معروفون وكتب التاريخ والجرح والتعديل مشحونة بأسمائهم وأحوالهم وإن كانوا يستخدمون التقية والتستر.

١٣- رفضوا أصول أهل السنة في الجرح والتعديل وتنقصوا أئمة الجرح والتعديل وتنقصوا أصوله.

١٤- رفضوا أصول أهل السنة في مراعاة المصالح والمفاسد.

١٥- رفضوا أصول أهل السنة في الأخذ بالرخص في الأصول والواجبات.

١٦- تسترهم ببعض علماء السنة مكراً وكيدًا مع بغضهم لهم ومخالفتهم في أصولهم ومنهجهم ومواقفهم كما يفعل الروافض في تسترهم بأهل البيت!!.

١٧- الدعوة إلىٰ التقليد كما هو حال الروافض وغلاة الصوفية.

١٨- تظاهر بعض المتأخرين منهم بالحماس للإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي والدفاع عنه بعد أن افتعل من العلامة الألباني عدواً لدوداً لا نظير له للإمام محمد ودعوته.

=

تصريح نصيحة ولا كل سكوت غشًّا للإسلام والمسلمين، والعاقل المنصف البصير يدرك متىٰ يجب أو يجوز الكلام، ومتىٰ يجب أو يجوز السكوت» اهـ.

١٩- التدرج الماكر علىٰ طريقة الباطنية، وانظر ما صنعوا بالألباني فقد تظاهروا باحترامه والدفاع عنه ورمي من يصفه بالإرجاء بأنهم خوارج، ثم تحولوا إلىٰ الطعن فيه ورميه بالإرجاء والمخالفة لمنهج السلف.

٢٠- مشابهة الروافض في الكذب وتصديق الكذب وتكذيب الصدق!!.

٢١- التعاون بينهم علىٰ الإثم والعدوان والبغي والتناصر علىٰ الكذب والفجور والتأصيلات الباطلة.

٢٢- الإصرار علىٰ الباطل والتمادي فيه، والجرأة العجيبة علىٰ تقليب الأمور؛ بجعل الحقِّ باطلاً، والباطل حقًّا، والصدق كذبًا، والكذب صدقًا، وجعل الأقزام جبالاً، والجبال أقزامًا.

٢٣- الولاء والبراء علىٰ أناس من أجهل الناس وأشدهم عداوة للمنهج السلفي وعلمائه.

هذه بعض صفات الحدادية ملخصة بتصرف يسير من رسالة: «خطورة الحدادية الجديدة وأوجه الشبه بينها وبين الرافضة»، ورسالة: «منهج الحدادية» للعلامة ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله.

قلت: وأحلف يمينًا لا أحنث فيها أن بعض الدعاة فيهم شبه كبير بالحدادية وإن لم ينتسبوا إليها.

وقد ردّ علىٰ الحدادية وحذّر منهم ومن منهجهم الباطل كبار علماء العصر، كابن باز، والعثيمين، والألباني، والوادعي، والعبّاد، وربيع بن هادي، وصالح السحيمي، وصالح الفوزان، وصالح اللحيدان، وابن غديان، وأحمد بن يحيىٰ النجمي، وزيد المدخلي، ومحمد بن آدم الأتيوبي، ووصي الله عباس، وجميع السلفيين في مشارق الأرض ومغاربها، رحم الله من مات منهم، ومتّع بالأحياء.

(٨٦) تغليب جانب العلم علىٰ الأدب والتربية

إن الدعوة السلفية تقوم علىٰ منهج التصفية والتربية، والمراد بالتصفية: تصفية العقائد من الشرك والخرافة والبدع، وتصفية السنة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وتصفية الفقه من الأقوال الشاذة والمهجورة، وتصفية المنهج من الانحرافات المذهبية والحزبية...، وقد نجحت الدعوة في هذا ولله الحمد نجاحًا كبيرًا، لكن الجانب التربوي حصل فيه شيء من القصور، وهو الجانب الروحي، والجانب السلوكي والأخلاقي، ومصداق هذا ما يروىٰ عن **الشيخ الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أنه قال:** «نجحنا في التصفية ولم ننجح في التربية» اهـ.

وقال الألباني أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «قد يكون الشخص سلفيًّا في عقيدته، ولكنَّه ليس سلفيًّا في تربيته وسلوكه» ا هـ.

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «**العلم لا ينفع إذا خلا من الأدب،** كثير من الشباب اليوم الذين يطلبون العلم تجد عندهم من الصفات ما لا يليق بطالب العلم، إذًا علمه لا ينفعه، يعني: أن طالب العلم وإن كثر علمه إذا لم يكن عنده أدب؛ فإن علمه لا ينفعه، وقليل العلم إذا كان عنده أدب؛ فإن علمه يكون نافعًا له، وحينئذ أحثكم أيها الشباب علىٰ الحرص علىٰ تطبيق الآداب التي علمتموها بعلم، أما أن تتعلموا العلم وتكون آدابكم وأخلاقكم كآداب سوقة الناس الذين لا يعلمون شيئًا فهذا خطأ» اهـ.

فينبغي للداعية والمعلم أن يركّز علىٰ هذا الجانب تركيزًا عظيمًا، وذلك بتدريس كتب الآداب والأخلاق والزهد والورع، والقراءة في كتب

---

(١) «سلسلة الهدىٰ والنور» شريط رقم (٧٨١).

(٢) «فتاوىٰ ودروس المسجد الحرام» (صوتي).

ابن القيم، وابن رجب وغيرهما ممن صفيت عقيدته ومنهجه، ويقرأ في كتب التراجم، وفي قصص الصالحين، وقبل ذلك تدبر كتاب الله، فالخير كله فيه.

وأذكر هنا طائفة من أقوال علماء السلف رضوان الله تعالىٰ عليهم وهم يؤكدون ضرورة تعلم الأدب قبل العلم:

قال الإمام عبدالله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «طلبت الأدب ثلاثين سنة، وطلبت العلم عشرين سنة، وكانوا يطلبون الأدب قبل العلم».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «كاد الأدب أن يكون ثلثي الدين».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «نحن إلىٰ قليل من الأدب أحوج منا إلىٰ كثير من العلم».

ويقول عبد الله بن وهب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «ما تعلَّمنا من أدب مالك أكثر مما تعلّمنا من علمه».

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٥)]: «كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرىٰ ذلك في تخشعه، وبصره، ولسانه، ويده، وصلاته، وحديثه، وزهده».

وقال أبوعبدالله سفيان بن سعيد الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٦)]: «كان الرجل لا يطلب

---

(١) «غاية النهاية في طبقات القراء» (١/ ٤٤٦).
(٢) «صفة الصفوة» (٢/ ٣٣٠).
(٣) «الرسالة القشيرية» لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفىٰ: ٤٦٥هـ) (٢/ ٤٤٧)، «مدارج السالكين» (٢/ ٣٥٦).
(٤) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ١١٣).
(٥) «الزهد» لابن المبارك ص (٢٦).
(٦) «حلية الأولياء» (٦/ ٣٦١).

الحديث حتىٰ يتعبد قبل ذلك عشرين سنة».

وعن أبي زكريا يحيىٰ بن محمد العنبري رَحِمَهُ اللهُ **قال**[1]: «علم بلا أدب كنار بلا حطب، وأدب بلا علم كجسم بلا روح».

وعن عيسىٰ بن حماد بن قتيبة رَحِمَهُ اللهُ **قال**[2]: سمعت الليث يقول وقد أشرف علىٰ أصحاب الحديث فرأىٰ منهم شيئًا، فقال: «أنتم إلىٰ يسير من الأدب أحوج منكم إلىٰ كثير من العلم».

وقال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللهُ[3]: «جلسنا إلىٰ عبيد الله بن عمر فأحطنا به فنظر إلينا فقال: شنتم العلم وذهبتم بنوره، لو أدركني وإياكم عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لأوجعنا ضربًا».

وروىٰ الخطيب في «الجامع» عن إبراهيم بن حبيب الشهيد قال[4]: قال لي أبي: «يا بُني إيت الفقهاء والعلماء وتعلم منهم، وخذ من أدبهم، وأخلاقهم، وهديهم فإن ذاك أحب إلي لك من كثير من الحديث».

وقال مالك بن أنس رَحِمَهُ اللهُ[5]: «كانت أمي تجهز عمامتي وأنا صغير قبل ذهابي لحلق العلم، فتقول: يا مالك خذ من شيخك الأدب قبل العلم».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ[6]: «وأدب المرء عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره، فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجلب حرمانهما بمثل قلة الأدب» اهـ.

---

(١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٨٠).
(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٤٠٥).
(٣) «العزلة» للخطابي ص (٨٣).
(٤) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٨٠).
(٥) «الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب» لابن فرحون المالكي (١/ ٩٨).
(٦) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٦٨).

﴿٨٧﴾ إسقاط رموز الدعوة في العالم لأتفه الأسباب

لقد آتت جهود الدعاة السلفيين المخلصين الصادقين في مشارق الأرض ومغاربها ثمارها ولله الحمد، فكم بذلوا في سبيل تفقيه الأمة والنهوض بها من جهد عظيم، فعلّموا الناس التوحيد وحذّروهم من الشرك، وعلّموا الناس السنة وحذّروهم من البدعة، ورغّبوا الناس في الطاعات ورهّبوهم من المعاصي والذنوب، وعلّموا الناس العلم الشرعي وحذّروهم من الجهل، ونشروا الفضيلة وحاربوا الرذيلة، وبدأ نور التوحيد والسنة يشع في سماء المعمورة، وفرح الموحدون المخلصون الصادقون في مشارق الأرض ومغاربها بهذه الثمرة المباركة المبذولة من آحاد الدعاة، ولكن هبّت رياح مسمومة وإعصار مدمر لشيطنة هؤلاء الأخيار الأبرار فرسان التوحيد والسنة وغرباء هذه الأمة الذين بذلوا الغالي والنفيس من أجل هذه الدعوة السلفية المباركة، ليت هذا التحذير والإسقاط جاء من خصوم الدعوة الذين يكيدون لها بالليل والنهار، ويمكرون بها مكر الفجار، وإنما جاء الإسقاط من إخواننا وبني جلدتنا، وصدق القائل:

وظُلْمُ ذَوِي القُرْبَىٰ أَشَدُّ مَضَاضَـةً ... عَلَىٰ المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّـدِ[(١)]

حقًّا إن ظلم ذوي القربىٰ شديد علىٰ النفس، وهذا إذا وقع بين الأقارب في النسب، فكيف به إذا كان بين الأقرباء في العقيدة والسنة والمنهج، وكيف به إذا تعدىٰ ظلم فرد لمثيله وأصبح فاشيـًا في ظلم مجتمع لمجتمع، أو جماعة لجماعة فهو أشد مرارة، وأكثر ألمـًا، وأعمق حزنًا، وأقسىٰ من كل مصاب تصاب به الدعوة من العدو الخارجي الكافر أو المبتدع الضال؛ لأن المحنة عندما تأتي من إخوة لك في العقيدة والمنهج

(١) «ديوان طرفة بن العبد» (ص:٢٧).

المستقيم، فهذا سيؤدي ولا شك إلىٰ فقدان الثقة عند كثير من الناس بمن يتصدىٰ للدعوة في تلك البلاد، ويؤدي كذلك إلىٰ أن يفقد بعضهم الأمل من قرب استئناف حياة إسلامية صحيحة علىٰ منهاج النبوة؛ لأنه يرىٰ أهل هذا المنهج الصافي النقي يتصارعون فيما بينهم، وسيؤدي كذلك إلىٰ الإحباط وإشاعة روح اليأس عند البعض، وسيكون التساؤل قويـًا وحاضرًا ومُلحًا إذا كان هؤلاء يتخاصمون ولا يتفاهمون، ويتباغضون ولا يتراحمون.

فهل هناك أمل في الإصلاح المنشود؟! فوا عجباه هل أصيب بعض أهل السنة بأمراض المجتمعات وأوبئتها؟ فصاروا مثل غيرهم من الأحزاب المتناحرة، حيث اشتهرت الأحزاب الضالة بممارسة تصفية زملائهم، سواء بالتصفية الجسدية أو الإبعاد أو السجن.

وأخيرًا: أقول لهؤلاء الذين يتشبثون بأنانيتهم وأغراضهم الخاصة، ويدافعون عنها ولو ضعفت الدعوة وتمزق الصف: اتقوا الله في هذه الدعوة، التي تكاثر عليها الأعداء، فلا تكونوا عونًا لهم.

إنهم إخوانكم في العقيدة والسنة والمنهج، اتفقوا معكم في كل شيء إلا في مسألة واحدة أو مسألتين يسوغ فيهما الخلاف، يدرّسون كتب ابن تيمية، وابن القيم، وابن عبد الوهاب، والشوكاني، والصنعاني، والألباني، وابن باز، وابن عثيمين، والوادعي، وجميع كتب العلماء السلفيين، ويحاربون أهل البدع والأهواء والأحزاب والطوائف الضالة، فأسألكم بالله الذي لا إله غيره ولا رب سواه، داعية في قارة من القارات، أو في بلد من بلاد الكفار، أو في بلد مسلم هيمنت عليه البدعة، ليس معه في تلك البلاد معين إلا الله، وهو يجاهد ويدعو إلىٰ التوحيد بمفرده في تلك البلاد المظلمة بالشرك والبدعة والمعصية، يُنبذ نبذ النواة لأتفه الأسباب، إنه والله

نقص في الدين وفي العقل وفي العلم، لقد بعتم هؤلاء الدعاة بيع الرقيق بحظوظ نفس زائفة قليلة، وكنتم فيهم من الزاهدين، أليس من الواجب علينا أن نقف مع هذا الداعية الغريب الوحيد في بلده ونشجعه ونعطف عليه ونرحمه ونسأل عن أحواله ونغض الطرف عن عثرته إن كانت هناك عثرة، ونناصحه بالتي هي أحسن للتي هي أقوم.

واسمعوا لهذا الكلام الكبير من العلماء الراسخين رحمهم الله، الذين كبروا في علمهم وعقلهم ودينهم، كيف تعاملوا مع أهل السنة المخالفين لهم في بعض المسائل:

قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله(١):

«إذا كانت المسألة متعلقة بعالم من أهل العلم في الفتوىٰ في شأنه بأمر من الأمور؛ فإنه هنا يجب النظر فيما يؤول إليه الأمر من المصالح ودفع المفاسد.

لهذا ترىٰ أئمة الدعوة رحمهم الله تعالىٰ من وقت الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن -أحد الأئمة المشهورين إلىٰ وقت الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ- إذا كان الأمر متعلقًا بإمام، أو بعالِم، أو بمن له أثر في السنة؛ فإنهم يتورعون، ويبتعدون عن الدخول في ذلك.

مثاله: الشيخ صدّيق حسن خان القنوجي الهندي المعروف عند علمائنا، له شأن، ويقدرون كتابه «الدين الخالص»، مع أنه نقد الدعوة في أكثر من كتاب له؛ لكن يغضون النظر عن ذلك ولا يصعدون هذا؛ لأجل الانتفاع بأصل الشيء، وهو تحقيق التوحيد ودرء الشرك (أي: في بلاده بلاد الهند).

---

(١) في محاضرة له بعنوان: «الفتوىٰ بين مطابقة الشرع ومسايرة الأهواء»، وانظر: «سلسلة المحاضرات العلمية للشيخ صالح آل الشيخ» (٤ / ٧٠٣-٧٠٥).

المثال الثاني: الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني المعروف، صاحب كتاب «سبل السلام» وغيره، له كتاب «تطهير الاعتقاد»، وله جهود كبيرة في رد الناس للسنة، والبعد عن التقليد المذموم والتعصب وعن البدع؛ لكنه زل في بعض المسائل، ومنها: ما ينسب إليه في قصيدته المشهورة لما أثنىٰ علىٰ الدعوة، قيل: إنه رجع عن قصيدته تلك بقصيدة أخرىٰ يقول فيها:

رجعت عن القول الذي قلت في النجدي

ويعني به: الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ويأخذ هذه القصيدة أرباب البدع -وهي تنسب له، وتنسب أيضًا لابنه إبراهيم-؛ وينشرونها علىٰ أن الصنعاني كان مؤيدًا للدعوة لكنه رجع.

والشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ مقامه أيضًا معروف، الشوكاني له اجتهاد خاطئ في التوسل، وله اجتهاد خاطئ في الصفات، وتفسيره في بعض الآيات فيه تأويل، وله كلام في عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليس بجيد، أيضًا في معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليس بجيد؛ لكن العلماء لا يذكرون ذلك (حتىٰ ينتفع الناس بعلمه في اليمن).

وألّف الشيخ سليمان بن سحمان كتابه «تبرئة الشيخين الإمامين...» -يعني بهما: الإمام الصنعاني والإمام الشوكاني-.

لماذا فعلوا ذلك؟ لأن الأصل الذي يبني عليه هؤلاء العلماء هو السنة.

فهؤلاء ما خالفونا في أصل الاعتقاد، ولا خالفونا في التوحيد، ولا خالفونا في نصرة السنة، ولا خالفونا في رد البدع؛ وإنما اجتهدوا فأخطؤوا في مسائل.

والعالم لا يتبع بزلته -**قلت**: ولعله لا يُتَتَبَّع بزلته: أي: يفضح بزلته- كما أنه لا يُتَّبَع في زلته- أي: لا يُقتدىٰ به فيها - هذه تترك ويسكت عنها، وينشر الحق، وينشر من كلامه ما يؤيد به.

وعلماء السنة لما زل ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ في مسألة الصورة -كما هو معلوم- ونفىٰ إثبات الصورة لله جلّ وعلا ردّ عليه ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بأكثر من

مائة صفحة، ومع ذلك علماء السنة يقولون عن ابن خزيمة: إنه إمام الأئمة، ولا يرضون أن أحدًا يطعن في ابن خزيمة لأجل أن له كتاب التوحيد الذي ملأه بالدفاع عن توحيد الله رب العالمين، وإثبات أنواع الكمالات له جلّ وعلا بأسمائه ونعوت جلاله جلّ جلاله، وتقدست أسماؤه.

والذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «سير أعلام النبلاء» قال: وزل ابن خزيمة في هذه المسألة.

فإذن هنا: إذا وقع الزلل في مثل هذه المسائل؛ فما الموقف منها؟

الموقف: أنه ينظر إلىٰ موافقته لنا في أصل الدين، موافقته للسنة، نصرته للتوحيد، نشر العلم النافع، ودعوته للهدىٰ... ونحو ذلك من الأصول العامة، وينصح في ذلك، وربما رد عليه؛ لكن لا يقدح فيه قدحًا يلغيه تمامًا.

وعلىٰ هذا كان منهج أئمة الدعوة في هذه المسائل كما هو معروف.

وقد حدثني فضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان حفظه الله حينما ذكر قصيدة الصنعاني الأخيرة (رجعت عن القول الذي قلت في النجدي) - التي يقال: إنه رجع فيها، أو أنه كتبها-، قال: سألت شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ عنها: هل هي له، أم ليست له؟

قال: فقال لي الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: الظاهر أنها له.

والمشايخ -مشايخنا- يرجحون أنها له؛ ولكن لا يريدون أن يقال ذلك؛ لأنه نصر السنة ورد البدعة، مع أنه هجم علىٰ الدعوة...

الشوكاني له قصيدة أرسلها للإمام سعود ينهاه فيها عن كثير من الأفعال من قتال، ومن التوسع في البلاد، ونحو ذلك فيه أشياء...

فإذن الشريعة جاءت لتحصيل المصالح وتكميلها، ودرء المفاسد وتقليلها، وهذه **القاعدة المتفق عليها** لها أثر كبير؛ بل يجب أن يكون لها أثر كبير في فتوىٰ المفتي وفي استفتاء المستفتي أيضًا...» اهـ.

قلت: وهكذا خالف الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ الإمام ابن باز والإمام ابن عثيمين في مسائل كثيرة، وحصل ردود من الطرفين، ومع هذا بقي الجبال جبالًا، وبقيت المحبة والمودة والأخوة بينهم لا يزحزحها أحد ولو تلاطمت بين أيديهم الجبال، وكل واحد منهم يثني علىٰ الآخر، ويدعو له بالتوفيق والنجاح، وهكذا الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ خالف أئمة الدعوة النجدية السلفية في مسائل كثيرة، وخالفوه هم أيضًا في مسائل كثيرة، ثم لما حصل له المرض شفع له الإمام ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالدخول إلىٰ أرض الحرمين للعلاج فيها.

ومن هذه المواقف النبيلة بين الكبار: ما حصل بين الإمام ابن باز والإمام الألباني رحمهما الله، فإن الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ طبع كتابه «الذب الأحمد عن مسند أحمد» بعد وفاة الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعشرة أيام، حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فهذا كتاب «الذب الأحمد عن مسند أحمد» أَلَّفْته قبل عشرين عامًا تنفيذًا لطلب كريم من أخ فاضل كريم وهو سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ويشاء الله وله الحكمة البالغة ألّا يصدر هذا الكتاب إلا بعد وفاة الشيخ، فأسأل الله له المغفرة والرضوان، وأن يلحقه بالصالحين من عباده، وأن يجزيه خير ما يجزي به عالمًا عن أمته، وما ذاك الطلب من الشيخ والجواب مني إلا صورة علمية مشرقة تمثل حقيقة تعاون أهل الحديث ودعاة السنة علىٰ البر والتقوىٰ وتواصيهم بالحق والصبر، رحم الله جلّ وعلا أخانا الفاضل سماحة الشيخ عبد العزيز وأحسن عزاءنا فيه، سائلًا ربي أن يجعل هذا العمل في صحيفة حسناته وابتغاء مرضاته، إنه تعالىٰ سميع قريب» اهـ.

---

(١) مقدمة «الذب الأحمد» (ص٥-٦).

قال الفرزدق:

أولَئِـكَ آبـائي فَجِئنـي بِمِـثلِهِم إِذا جَمَعَتنـا يـا جَريـرُ المَجـامِعُ

وقال لبيد:

ذَهَـبَ الَّـذينَ يُعـاشُ في أَكنـافِهِم وَبَقيتُ في خَلفٍ كَجِلدِ الأَجرَبِ

إلا من رحم الله، وهم كثير ولله الحمد.

﴿٨٨﴾ الذي في قلبي علىٰ لساني (صفة الداعية الأحمق)

اشتهرت هذه العبارة علىٰ أن من كان هذا حاله؛ فإنه سليم القلب لا يبقي شيئًا في صدره، حتىٰ وصلت هذه المعلومة المغلوطة إلىٰ بعض الدعاة، فتجده يتكلم بالحق وبالباطل، وبالصحيح والخطأ، ويخبط خبط عشواء، ويقول بلسانه مفتخرًا مادحًا نفسه: **أنا لا أصبر، الذي في قلبي علىٰ لساني**.

وقد يصدّع الدعوة بفتن ليس لها آخر بسبب هذه المقولة المخذولة، وهذا الخُلُق السيء، والحقيقة أن الذي يقول: **الذي في قلبي علىٰ لساني**. علىٰ الإطلاق، ليس بصادق في مقولته هذه، فلو أخرج كل إنسان ما في قلبه لتصافح الناس بالسيوف، وتمزقت الأخوة، وتشرذم المجتمع، إلا ما شاء الله؛ فإن القلب له خطرات وأحوال لا يسلم منها أقرب الناس.

ومن الأدلة التي تردّ علىٰ هذه المقولة: أن النبي ﷺ سمع رجلًا يطرق الباب فقال: «بئس أخو العشيرة» ثم فتح له وهش وبش في وجهه[(١)]، وكم في قلبه ﷺ من ألم من المنافقين الذين عاشوا معه، يكيدون لهذا الدين ليلًا ونهارًا، ومع هذا لم يخرج أسماءهم إلا لحذيفة رضي الله عنه للمصلحة الراجحة.

قال ابن حبان رحمه الله[(٢)]: «وإن من أعظم أمارات الحمق في الأحمق لسانه، فإنه يكون قلبه في طرف لسانه، ما خطر علىٰ قلبه نطق به لسانه، والأحمق يتكلم في ساعة بكلام يعجز عنه سحبان وائل[(٣)]، ويتكلم في

---

(١) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: «بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ، وَبِئْسَ ابْنُ العَشِيرَةِ» فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ، حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ، مَتَىٰ عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ» رواه «البخاري» (٦٠٣٢)، و«مسلم» (٢٥٩١).

(٢) «روضة العقلاء» ص (١١٨-١٢٤).

(٣) سحبانُ بن زُفَرَ بن إياسٍ الوائليُّ، من باهلةَ، خطيبٌ يضرب به المثل في البيان يقال: (أخطب من سحبان) و (أفصح من سحبان)، اشتهر في الجاهلية، وعاش زمنًا في الإسلام، وكان إذا =

الساعة الأخرىٰ بكلام لا يعجز عنه باقل[١].

والعاقل يجب عليه مجانبة من هذا نعته ومخالطة من هذه صفته، فإنهم يجترئون علىٰ من عاشرهم، ألا ترىٰ الزُّطَّ[٢] ليسوا هم بأشجع الناس ولكنهم يجترئون علىٰ الأسد لكثرة ما يرونها.

وقال ابن حبان أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن شيم الأحمق: العجلة، والخفة، والعجز، والفجور، والجهل، والمقت، والوهن، والمهابة، والتعرض، والتحاسد، والظلم، والخيانة، والغفلة، والسهو، والغي، والفحش، والفخر، والخيلاء، والعدوان، والبغضاء.

والأحمق إذا أعرضت عنه اغتمّ، وإن أقبلت عَلَيْهِ اغترّ، وإن حلمت عنه جهل عليك، وإن جهلت عَلَيْهِ حلم عنك، وإن أسأت إليه أحسن إليك، وإن أحسنت إليه أساء إليك، وإذا ظلمته انتصفت منه، ويظلمك إذا أنصفته» اهـ.

اللهم سلّم الدعوة من هؤلاء الحمقىٰ الذين أفسدوا فيها أشد من فساد أعدائها.

=

خطب يسيل عرقًا، ولا يعيد كلمة، ولا يتوقف ولا يقعد حتىٰ يفرغ، أسلم في زمن النبي ﷺ ولم يجتمع به، وأقام في دمشق أيام معاوية، وله شعر قليل وأخبار.

انظر: «الإصابة» لابن حجر (٣/ ٢٠٦)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ٧٩)، «جواهر الأدب» (٢/ ١٢٠-١٢١).

(١) في المثل: أعيا من باقل، هو رجل من ربيعة، كان اشترىٰ ظبيًا بأحد عشر درهمًا، فسئل عن شرائه، ففتح كفيه وأخرج لسانه، يشير بذلك إلىٰ ثمنه وهو أحد عشر، فانفلت الظبي، فضرب به المثل في العي. انظر: «مختار الصحاح» ص (٣٨)، «تاج العروس» (٢٨/ ١٠١).

(٢) الزُّطِّ: جِنْس مِنَ السُّودان والهنُود. انظر «النهاية» لابن الأثير (٢/ ٣٠٢).

﴿٨٩﴾ عدم تحرز بعض الدعاة من مواطن الريبة

الريبة هي الأمر الذي يريب النفوس، ويجعل صاحبها في موضع الريبة والتهمة، فيظن الناس به الظنون السيئة، ولهذا قال ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَىٰ مَا لَا يَرِيبُكَ»[(١)].

وقال ﷺ: «إياك وكل أمر يعْتَذر مِنْهُ»[(٢)].

وَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: «إِيَّاكَ وَمَا يَسْبِقُ إِلَىٰ الْقُلُوبِ إِنْكَارُهُ، وَإِنْ كَانَ عِنْدَكَ اعْتِذَارُهُ» اهـ[(٣)].

لذلك يجب علىٰ الداعية قبل غيره أن يبتعد عن الأمور التي قد يفعلها بحسن نية وطيب قصد وغفلة منه، ولكنه قد يثير الظنون ويبعث علىٰ التهمة ولو بغير حق، فيجب علىٰ العاقل الذكي الحصيف أن يحافظ علىٰ سمعته، ودعوته، ومكانته الاجتماعية، فيجنّب نفسه هذه المواقف وهذه الرّيب، ولا يستهين بأسبابها اعتمادًا علىٰ حسن نيته وسلامة قصده، حتىٰ لا يلصق بنفسه تهمة هو منها بريء، ولا يعرض غيره للوقوع في سوء الظن فيه والاتهام له بالباطل، فيَسْلَم هو ويسلّم الناس من هذا الشر.

والخوف من كلام الناس أيها الدعاة ظاهرة اجتماعية متفشية في المجتمع، تربىٰ عليها الصغير، وشاب عليها الكبير، وأصبحت هاجسًا

---

(١) **صحيح**. رواه «أحمد» (١٧٢٣) عن الحسن بن علي رضي الله عنهما، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٣٣٧٨)، و«المشكاة» (٢٧٧٣)، وشيخنا الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (٣٠٨).

(٢) **حسن**. رواه الضياء في «المختارة» (٢١٩٩) عن أنس بن مالك رضي الله عنه وحسنه الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٣٥٤).

(٣) انظر: «شرح البخاري» للسفيري (٢/ ٣٤٥)، و«المرقاة» (٤/ ١٤٠٠)، و«فتح القدير» للكمال ابن الهمام (٢/ ٣٤٥).

لدىٰ كثير من الناس، ويُحسب لها ألف حساب، وقد اهتم الدين بهذه المسألة وضبطها ضبطًا جيدًا، فإذا لم تكن أنت متسببًا في كلام الناس فيك فلا يضرك شيء وأنت مأجور، وهذه سنة لن تتغير، أما إذا كنت أنت المتسبب في كلام الناس فيك بالوقوع في الشبهات والاقتراب من مواطن الريبة فهذا خطأ واضح.

وقد أمرنا النبي ﷺبترك الشبهات وأماكن الريبة خوفًا من الوقوع في كلام الناس، ولذلك قال ﷺ:«إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَىٰ الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ...»(١).

ومعنىٰ «اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ»: أي: صان عرضه من أن يتكلمَ الناسُ فيه.

وكان ﷺذات يوم معتكفًا في العشر الأواخر من رمضان في مسجده، فزارته ليلًا أم المؤمنين صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ثم قَامَ ﷺمَعَهَا ليوصلها، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ، مَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَىٰ رِسْلِكُمَا، إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ»، فَقَالاَ: سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَىٰ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا»(٢).

فالنبي ﷺدفع عن نفسه الريبة وكلام الناس فيه، لذلك من رؤي مع زوجته في خلوة مريبة فرآه بعض أصحابه عليه أن يخبره بأنها زوجته؛ لئلا يسيء الظن به فيتكلم الناس في عرضه، فعِرض الداعية عِرض الدعوة، لذلك قال يوسف عليه السلام حين أمر الملك بإخراجه من السجن، قال

---

(١) متفق عليه: «البخاري» (٥٢)، «مسلم» (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) متفق عليه: «البخاري» (٢٠٣٥)، «مسلم» (٢١٧٥).

بلسان حاله: لا أخرج من السجن حتىٰ أبرئ ساحتي وعرضي ودعوتي أمام العالم، فقال: ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف:٥٠].

فينبغي للداعية أن يتقي الله ويبتعد عن كل مواطن الريبة، سواء في جوانب النساء، أو في جوانب المال، أو في جوانب المردان الملاح من الصبيان والجلوس معهم، وغير ذلك من مواطن الرّيب.

ولقد كان النبي ﷺيمتنع أحيانًا عن فعل بعض الأشياء خوفًا من كلام الناس، ولكن كان خوفه ﷺلصالح الدعوة الإسلامية وصيانتها من كل شائبة، فقد امتنع ﷺمن قتل بعض المنافقين حتىٰ لا يقال: إن محمدًا يقتل أصحابه[1]، فتتضرر بذلك الدعوة ويمتنع الناس من الدخول في الإسلام.

وذات يوم جاءت امرأة من قُضَاعَةَ تُدعىٰ أمُّ كَبْشَة، فاسْتَأْذَنَتِ النَّبِيَّ ﷺأَنْ تَغْزُوَ مَعَهُ فَقَالَ: «لا». فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُدَاوِي الْجَرِيحَ، وَأَقُومُ عَلَىٰ الْمَرِيضِ. قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اجْلِسِي، لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَغْزُو بِامْرَأَةٍ»[2].

وكان النبي ﷺ حين يأمر الناس بأمر أو ينهاهم عنه، يحرص أن يكون

(١) متفق عليه عن جابر رضي الله عنه: «البخاري» (٣٥٢٨)، «مسلم» (٢٥٨٤).

قال ابن القيم رحمه الله معلّقًا علىٰ هذا الموقف: «كان في ترك قتلهم في حياة النبي ﷺ مصلحة تتضمن تأليف القلوب علىٰ رسول الله ﷺ، وجمع كلمة الناس عليه، وكان في قتلهم تنفير، والإسلام بعد في غربة، ورسول الله ﷺ أحرص شيء علىٰ تأليف الناس، وأترك شيء لما ينفرهم عن الدخول في طاعته، وهذا أمر كان يختص بحال حياته ﷺ» اهـ «زاد المعاد» (٣/ ٤٩٧).

وقال القاضي عياض رحمه الله: «فلو قتلهم النبي ﷺ لنفاقهم وما يبدر منهم، وعلمه بما أسروا في أنفسهم لوجد المنفر ما يقول، ولارتاب الشارد، وأرجف المعاند، وارتاع من صحبة النبي ﷺ والدخول في الإسلام غير واحد...» اهـ «الشفا» (٢/ ٥٠١).

(٢) **صحيح**. رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرىٰ» (٤٢٧٠)، وصححه الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٢٨٨٧).

أهل بيته أول من يعمل بذلك؛ ليكون هو وأهل بيته أسوة للجميع، فلا يترك ثغرة للمنافقين كي يتكلموا فيه أو في أهل بيته أو في دعوته.

ونعلم جميعًا بأن النبي الكريم ﷺ كان زاهدًا ويأمر أهله بالزهد، فذات يوم رأىٰ ابنته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لابسة سلسلة من ذهب أهداها لها زوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال لها النبي ﷺ: «يَا فَاطِمَةُ أَيَسُرُّكِ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ: فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ فِي يَدِهَا سِلْسِلَةٌ مِنْ نَارٍ؟» فَخَرَجَ وَلَمْ يَقْعُدْ،- فَعَمَدَتْ فَاطِمَةُ إِلَىٰ السِّلْسِلَةِ فَبَاعَتْهَا، فَاشْتَرَتْ بِهَا نَسَمَةً فَأَعْتَقَتْهَا، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺفَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي نَجَّىٰ فَاطِمَةَ بِي مِنَ النَّارِ»[1].

---

(١) **صحيح**. رواه «النسائي» (٥١٤٠)، و«أبو داود الطيالسي» (١٠٨٣)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٤١١).

تنبيه

الزغل عند دعاة أهل السنة والجماعة كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود بالنسبة للزغل الموجود عند الجماعات والفرق والأحزاب المخالفة لأهل السنة والجماعة من حيث الكم والوصف.

فهناك زغل كبير وخطير في بقية الدعوات في الأصول وغيرها، لو أردنا بسطها؛ فإن ذلك يطول ويحتاج إلىٰ مؤلفات ومجلدات، ولكن أشير إشارة إلىٰ بعض زغل الدعوات المخالفة لدعوة أهل السنة والجماعة، **من ذلك**:

- عدم الدعوة إلىٰ توحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، والدعوة إلىٰ التوحيد الصافي الصحيح أساس دعوة الأنبياء والمرسلين.
- **ومن زغل الجماعات المنحرفة**: محاربة دعاة التوحيد والإنكار عليهم، كقولهم: تركتم شرك القصور وذهبتم إلىٰ شرك القبور. وقول بعضهم: لا تذكروا أمراض الأمة.
- **ومن زغل الجماعات كذلك**: إحياء البدع وإماتة السنن، ومحاربة أهلها.
- **ومن زغل الجماعات كذلك**: عدم التصفية والتربية الصحيحة.
- **ومن الزغل كذلك**: التنفير عن العلماء والأمراء، ثم التكفير، ثم التفجير، هذه السلسلة الثلاثية المدمرة.

وخصوا بالتنفير العلماء المشاهير الذين لهم قدم صدق في الأمة، كابن باز، وابن عثيمين، والألباني، والوادعي، والفوزان، والعبّاد، ومَن كان قبلهم أو بعدهم وكان علىٰ طريقتهم.

- **وهكذا من زغل الدعوات**: الخروج علىٰ حكام المسلمين بالقول والفعل، كالمظاهرات، والاعتصامات، والثورات، فدمروا البلاد والعباد[١].

---

(١) انظر: كتابي: «الكشاف الجلي في بيان أكثر من مـ(١٠٠)ـائة مفسدة في ثورات الربيع العربي».

● **ومن زغل الدعوات كذلك**: الحزبية المقيتة التي مزقت الأمة وشرذمتها، وما فيها من البيعة، والسرية، والعهود، والمواثيق، والولاء والبراء الضيق، والانصهار مع جميع المبطلين، وابتكار طرق في العبادات والدعوة إلىٰ الله مُحْدَثَة مخالفة للكتاب والسنة.

● **وهكذا من زغل بعض الدعوات**: محاربة العلم والتقليل من شأنه، والدعوة علىٰ جهل.

ولو عددنا زغل الدعوات فإن ذلك يطول ويطول جدًا، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

بهذا القدر أكتفي، وأسأل الله العلي الأعلىٰ أن يكون هذا البحث هاديًا للطريق الأمثل في الاتباع، وسبيلاً موصلًا إلىٰ رضوان الله تعالىٰ لكل من آتاه الله دينًا وعلمًا وعقلًا، فهي نصيحة ﴿وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف:٦٨]، و ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود:٨٨]، والرائد لا يكذب أهله، ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [غافر:٤٤].

وأسأل الله تعالىٰ باسمه الأعظم الذي إذا سُئل به أعطىٰ، وإذا دُعي به أجاب أن يجعل هذا العمل القليل مباركًا خالصًا لوجهه الكريم، مقربًا لمؤلفه، وقارئه، وطابعه، وناشره، من الفردوس الأعلىٰ من الجنة، وأن ينفعني به في حياتي، وبعد مماتي، وأن ينفع به كل من انتهىٰ إليه؛ فإنه تعالىٰ خير مسؤول وأكرم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

كان الانتهاء منه في غرة شهر ربيع الأول ١٤٤١هـ.

من جوار البيت العتيق بمكة المكرمة شرّفها الله

فهرس المحتويات